الدكتور إسلام صبحي المازني

رَوَائِع تَارِيخ الطِّبّ وَالأَطِبَّاء المُسْلِمِين

مَوْسُوعَة للطِّب
فِي عَصْر ازْدِهَار حَضَارَة الإسْلَام

قصص العباقرة من أطباء المسلمين
ومنجزاتهم وألطف أشعارهم



الدكتور إسلام صبحي المازني

روائع تاريخ الطب والأطباء المسلمين

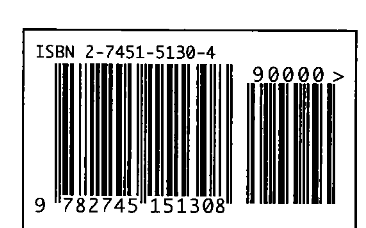
موسوعة للطب
في عصر ازدهار حضارة الإسلام

قصص العباقرة من أطباء المسلمين
ومنجزاتهم وأطرف أشعارهم


DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

الكتـاب :روائع تاريخ الطّب والأطبّاء المسلمين
المـؤلف :الدكتور إسلام صبحي المازني
النـاشر: دار الكتب العلميـة ـ بيروت
عدد الصفحات: 182
سنة الطباعة: 2006 م
بلد الطبـاعة: لبنـان
الطبعـة: الأولى

Title : RAWĀ'I' TĀRĪḪ AL-ṬIBB WAL-'AṬIBBĀ' AL-MUSLIMĪN
(Wonders of Islamic medical treatment and Moslim physicians)
Author : Dr. Islām Ṣubḥi al-Māzini
Publisher : Dar Al-kotob Al-Ilmiyah
Pages : 182
Year : 2006
Printed in : Lebanon
Edition : 1st


ISBN 2-7451-5130-4



المقدمة

الحمد لله رب العالمين،

ونصلي ونسلم على الرسول الأمين ، وعلىآله وصحبه الغر الميامين.

لقد يسر الله تعالى لي وطفت في رحلة جميلة بين جنبات الطب والتاريخ والأدب ، لأضع ذلك البحث الذي أحببته ، ذلك لأنه يزيد الناظر فيه حبًا للدين الحنيف وعلمًا بروائع عقلية وتحليقات نفسية ومتع أدبية.

وأسأل الله تعالى أن يكون خالصًا لوجهه الكريم.

د. إسلام صبحي المازني

تمهيد

الطب علم وفن يبحث في العناية بصحة الحي وبنيانه.

وحين نقول تاريخ الطب الإسلامي تاريخ أطباء رواد جهابذة ، نشأوا في ظل حضارةٍ عظيمة رائعة.

والإسلام هو دين المرسلين كلهم ، ولكننا نعرض هنا تأريخاً لعباقرة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم آخر الرسل المبلغين لرسالة الإسلام إلى أهل الأرض قاطبة.

هدفنا هو الإنصاف أولاً ورد الحق لأهله. ولا ندعي أن قومنا وحدهم تألقوا وبرعوا ، وإنما نوضح أن حضارتنا كما تلقت فقد أعطت وأسست وأينعت ، بل أبدعت أكثر مما ورثت بكثير.

وتركت من العلم والأثر ما بني عليه مجد العلوم المعاصرة كلها ، وتسببت في تقدم البشرية حتى الساعة بفضل الله وحده. ولم تكن - كما قال قائل جاهل - حضارة لم تضف للإنسانية ، وهو لا يعلم أن متاحف بلده بها مخطوطات خرائط ومراجع رائعة لأجدادنا ، فقد كانوا يرسمون خرائط العالم ويجرون جراحات دقيقة. أما قومه وغيرهم - في نفس الزمن- فقد كانوا يسكنون كهوفًا ، ولا يعلم جنوب بلادهم شيئًا عن شمالها من فرط الجهل والتخلف.

وأشير إلى أننا لا نتأسف للمصطلح ولا نقول: الطب واحد ، بل الحقيقة أن هناك طبًا إسلاميًا ، وأن نظرة الإسلام للجسم البشري تختلف عن النظرة المادية وعن الغرور الغربي المادي.

وديننا كما أنه لا يحلق في دجى الخرافة ، لكنه لا ينكر كل ما لا يراه وما لا يدركه - حمقًا أو تجاهلاً أو لأي سبب كان - فهناك روح وهناك جسد، وهناك ما تحت الثرى مما لم يعرف بعد.

فلم يفهم الغرب كل أسرار الحجامة ، ولا الكي ولا شتى العلاجات غير التقليدية كالإبر الصينية ، وإن كان أقر مؤخرا بنفعها ، وفهم بعض طرقها في التأثير.

ودور الطبيب المسلم هو أن ينقح ، ولا يرفض كل غريب بلا برهان ، وهو يسعى للعلاج موقنًا أن الشفاء أعلاه ، ويوقن أن هناك بركة وتوفيقًا أيضاً يؤثران، ماديًا ومعنويًا بلا مرية ، في المريض وفي الدواء...

ويوقن المسلم أن هناك علمًا فوق ما علم ، فمن هنا لا يكل ولا يسأم ولا ييأس من بحث وتقص وتجريب.

إن جو الحضارة الإسلامية جو رائع ، تتفتح فيه الملكات البشرية ، ويوقن فيها العالم أنه عابد لربه بعلمه وبحثه ، فيكون لديه الحافز والدافع.

فلا يوجد فصام بين الدين والعلم ، مثلما حدث مع غيرنا. حين كان رجال الدين هم العدو الأول للباحثين.

والحقبة العلمية الإسلامية في أوجها استغرقت من تاريخ البشرية عدة قرون (من منتصف القرن الثاني الهجري / التاسع الميلادي إلى منتصف القرن العاشر الهجري / الخامس عشر الميلادي).

ولنتحدث قليلاً عن موقف الإسلام من الطب:

نحن مأمورون بالتداوي شرعًا ، وهي مسألة محسومة في السيرة النبوية، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمح للنساء بالتطبيب عند الضرورة.

ويوضح الإمام الذهبي رحمه الله عدم منافاة التطبب والعلاج للتوكل على الله ، فيقول: " التوكل اعتماد القلب على الله، وذلك لا ينافي الأسباب ولا التسبب، فإن المعالج الحاذق يعمل ما ينبغي ثم يتوكل على الله في نجاحه، وكذلك الفلاح يحرث ويبذر ثم يتوكل في نمائه ونزول الغيث، قال تعالى:﴿ خذوا حذركم﴾ (سورة النساء) وقال عليه الصلاة والسلام: " اعقلها وتوكل " .

ومما ينسب إلى الإمام الشافعي قوله: " لا أعلم علمًا بعد الحلال والحرام أنبل

من الطب .

حتى إن الإمام مالك - رحمه الله - جعل علم الطب من العلوم المحترمة بعد علم الشريعة، فلا يجوز امتهان ورق به كلام طبي لشرفه وكرامته.

وتعاليم الإسلام كانت رائدة في النهضة بالصحة العامة للمجتمع والخاصة لكل فرد.

فهذا هو الفيلسوف البريطاني "برنارد شو" في مقدمة كتابه: «حيرة الأطباء Dilemma The Doctors» يقول: أن الاستعمار البريطاني عندما احتل بعض الجزر وضع خطة لتغيير دين السكان ، فأرسل وفود المبشرين ليبعدوهم عن الإسلام.

ثم يقول "برنارد شو" : أن الاستعمار للأسف الشديد قد نجح في ذلك ولكن كانت النتيجة هي تفشي الأوبئة والأمراض الفتاكة بينهم "بسبب بعدهم عن تعاليم الإسلام التي كانت تأمرهم بالطهارة والنظافة على كل شيء إلى حد التدقيق على تقليم الأظافر" .

ونقل الدكتور شوقي الفنجري نصوصًا بديعة توضح بعض ما قدمه الإسلام لمهنة الطب من فضل:

أولاً: فالإسلام أتى بنظرية علمية وواقعية عن مفهوم المرض ويعترف بالطب والأطباء والدواء. فقبل الإسلام كانت الفكرة السائدة في العالم أن المرض شيطان ويدخل جسم الإنسان عقابًا له على معصية ارتكبها في حق الآلهة، وأن السبيل الوحيد للشفاء هو صلاة الغفران لكي تطرد الشيطان، فإذا لم يشف المرض فمعنى ذلك أن إيمانه ما يزال ضعيفًا. وكانت الكنيسة في القرون الوسطى تمنع الناس من التداوي وتحارب العلماء وتحرق كتبهم أو تضعهم على الخوازيق بتهمة السحر والشعوذة وتحدي إرادة الله.

ويصف برنارد شو هذه الحالة قائلاً: "كان الناس يستغنون عن الأطباء ويوكلون العلاج إلى العناية الإلهية، ولم يمكن التخلص من هذا الاعتقاد الذي كان سائدًا في بريطانيا حتى القرن التاسع عشر إلا بسن قانون يقضي بحبس الأب الذي

يموت ولده دون أن يعرضه على الطبيب بحبسه لمدة ستة أشهر".

فلننظر الآن إلى تعاليم الإسلام في هذا المجال:

فعندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة جاءته أسر المرضى يطلبون على يديه الشفاء. فكان يزور المرضى ويدعو لهم بالشفاء ويقول: "تداووا عباد الله. فإن الله تعالى لم ينزل داءً إلا أنزل له الدواء". رواه الترمذي وأبو داود.

ثانيًا: ومن أفضال الإسلام على الطب أنه قد نقى هذه المهنة من الخرافات التي كانت عالقة بها والتي كانت تصاحب العلاج: مثل وضع التمائم من رؤوس الحيوانات ومثل الوشم وقراءة الطالع والنجوم وزجر الطير والاستقسام بالأزلام وضرب القداح.

وفي هذه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من علق تميمة فلا أتم الله له".

وقد بلغ من حزم الإسلام في هذه الأمور قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من أتى كاهنًا أو عرافًا فآمن بما يقوله فقد كفر بما انزل على محمد".

وبذلك وضع الإسلام حدًا فاصلاً بين الطب والكهانة. وكانت كلاهما مهنة واحدة حيث كان الطبيب يسمى الكاهن أو العراف.

وقد أعلن الإسلام حقيقة علمية خطيرة وهي أن كل مرض في هذه الدنيا له علاج يشفيه إلا داءً واحدًا وهو الهرم أي كبر السن، وانه إذا كانت هناك أمراض لا نعرف لها دواء اليوم فذلك راجع إلى قصور في علمنا وان علينا أن نجتهد ونبحث حتى نجد لها العلاج الشافي. وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: "أن الله لم ينزل داء إلا له دواء علمه من علم وجهله من جهل، فإذا أصيب دواء الداء برأ المرض بإذن الله" رواه الترمذي وأحمد.

ثالثًا: والإسلام أمر بالنظافة الشخصية كوسيلة للوقاية الصحية واعتبرها مكملة للإيمان "النظافة شطر الإيمان".

ونفى أن تكون القذارة نوعًا من التواضع لله والتقرب إليه. وقد أشار

الإسلام إلى تلوث الأطعمة والملابس والأيدي، وحبب في الطهارة ونهى عن النجس والقذارة وحدد المواد النجسة فمنها: القيح أي الصديد، والبراز، والقيء، ولعاب الكلب، وجسم الخنزير وكل شيء عفن مثل بقايا الحيوان.

كما أطلق الطهارة على الشيء الخالي من هذه النجاسات وحدد طرق الطهارة بالغسيل بالماء الجاري أو الحرق بالنار أو الغلي في الماء أو التجفيف.

ولم يترك الإسلام تعاليمه عن النظافة بصفة عامة ومطلقة، بل إنه دقق على نظافة كل عضو من جسم الإنسان يمكن أن يكون منفذًا للمرض أو مصدراً له. وعلى سبيل المثال قول الرسول صلى الله عليه وسلم "قلم أظافرك فإن الشيطان يقعد على ما طال تحتها."

والإسلام أول ما أشار إلى الحجر الصحي قبل أن تعرفه الإنسانية. وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يوردن ممرض على مصح" (البخاري). ومعنى الحديث انه لا يجوز أن يختلط المريض بمرض معد بالأصحاء، بل يبقى بمعزل عنهم حتى لا ينقل إليهم العدوى.

ويقول أيضاً صلى الله عليه وسلم: "أن من القرف التلف" رواه أبو داود. والقرف هو مقارفة المريض أي الاختلاط به، والتلف هو الهلاك أي العدوى والمرض.

وقد طبق الرسول عليه الصلاة والسلام هذا المبدأ على المجذومين، فقد جاءه رجل مجذوم لكي يبايعه فلما استأذن بالدخول قال له الرسول: "أبلغوه أنّا قد بايعناه فليرجع" وقال أيضاً: "اجعل بينك وبين المجذوم قدر رمح أو رمحين".

رابعًا: وقد جاء الإسلام بقاعدة علمية في مكافحة الأوبئة كالكوليرا والطاعون والجدري.

إذ يقول عليه السلام: "إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه".

فهذه القاعدة هي نفس ما تطبقه الدول للوقاية من الأوبئة في عصرنا الحديث إذ يمنع الدخول إلى المنطقة الموبوءة كما يمنع من فيها من الخروج منها.

ولكي نعرف قيمة هذا الحديث النبوي الذي جاء في القرن السابع: الميلادي اقرأ الفقرة من كتاب قصة الطب: the story of medicine by Joseph Garland، فعندما ظهر وباء الطاعون في فلورنسا سنة ١٣٤٨ كان الناس في المناطق الموبوءة يأمرون بالفرار منه بأسرع ما يمكنهم وإلى أبعد ما يستطيعون، ولم يكن ذلك الفرار بالبداهة يؤدي إلا إلى ازدياد رقعة الوباء حتى وصل إلى روسيا سنة ١٣٥٢ وكأنه كان حريقاً في غاب لم ينطفئ لهيبه إلا بعد أن أكل ربع سكان أوروبا.

خامسًا: قد جاء الإسلام بأوامر محددة وقاطعة تساير أحدث النظريات العلمية في القضاء على بعض الأمراض المتوطنة. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يبولن أحدكم في الماء الدائم فإن عامَّة الوسواس منه" رواه ابن ماجه.

ويقول أيضاً عليه الصلاة والسلام "اتقوا الملاعن الثلاث التبرز في الظل وفي الموارد وفي طريق الناس".

فمن المعروف مثلاً أن مرض البلهارسيا ينتقل إلى الناس عندما يتبول المريض في الماء وخاصة الماء الراكد (الدائم) وإننا لو منعنا المرضى من التبول في الماء لقضينا على المرض، وهذه حقيقة علمية لم تكن معروفة إلا في القرن التاسع عشر عندما اكتشف العالم الألماني بلهارس دورة حياة البلهارسيا.

طب المسنين

يقول الدكتور جوزيف جارلاند في كتابه: "The story of medicine" أن الفضل في احترام الشيخوخة ورعايتها يرجع الى تعاليم الإسلام.

فقد عكف أطباء المسلمين على ابتكار طب المسنين وهو المسمى اليوم Geriaties وكان أول من أشار إلى ذلك ابن سينا في كتابه « القانون».

وكان في المستشفيات الإسلامية قسم خاص بكبار السن كتب عليه "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا".

وأورد ملخصًا لتنبيه أعجبني للفاضل الدكتور إبراهيم بن مراد من تونس في مبحث له على الشبكة العنكبوتية:

حيث نبه إلى تطور هام نور به الإسلام للطب دربًا ، وهو فصل الطب عن الفلسفة الخرافية الأسطورية.

لأن المتعارف عليه في النظرية اليونانية أن الطب جزء من الفلسفة وعلم من علومها. وقد قوى تلك النظرية جالينوس خاصة، وقد كان طبيبًا وفيلسوفًا، فمزج الطب بالخرافة وبالحكمة وبالأسطورة وببعض الحقائق والنصائح ، كما هو حال الفلسفة، فهي خليط من كل تلك الأمور ، فهي عقول تبحث فيما يصح وفيما لا يصح فتصل حينًا وتضل أحيانًا.

وقد أخذ بعض المسلمين عن اليونانيين ذلك المذهب ، واعتمدوه منذ بدايات إنتاجهم العلمي وكانت لهؤلاء القلة شهرة ، فظن بعض الغربيين أن الطب في الإسلام كان تابعًا مطابقًا للطب اليوناني ، وأنه كان يرى الطب قسمًا من الفلسفة والنظر المنطقي النظري الفرضي فقط ، ولكن بالتمحيص نجد ملاحظتين:

١- أن من دمجوا الطب بالفلسفة زادوا عليه تجريبًا عمليًا وممارسة للصيدلة والجراحة والتشريح بقدر أكثر من اليونانيين بكثير، فلم يكونوا مجرد نقلة ولا مترجمين كتبة.

٢- والنقطة الثانية: التي لاحظها الباحثون ، هي أن هناك الكثير مما لم يحقق ولم يخرج للنور من تراث الأطباء المسلمين ، وهو يملأ المتاحف ودور الكتب والمخطوطات ، ويتحدث عن مشاهير آخرين لم يسلط عليهم الضوء ، وبه أسماء برعت في الطب كعلم حقيقي عملي تجريبي مستقل ، وليس كمزيج من الفلسفة والنظر.

فهناك أمثلة توضح أن المسلمين كانوا يتعاملون مع الطب برؤية علمية كطبنا الحديث ، وفصلوه عن خرافات الفلسفة وعن الأنفة من عمل اليد.

فأبو القاسم الزهراوي (ت ٤٠٤ هـ/ ١٠١٣ م) الذي كان طبيبًا جراحًا ، لم يكن من العامة، بل كان أشهر وأميز القوم ، وقد خص الجراحة بالجزء الثلاثين من موسوعته الطبية " التصريف لمن عجز عن التأليف " .

فسبب الظن بأن المدرسة الإسلامية كانت طبية فلسفية وليست طبية محضة هو ترجمة كتابين كبيرين واعتبارهما يمثلانها وحدهما - وهما كتاب «الحاوي» للرازي وكتاب «القانون » لابن سينا- ترجما في أوروبا بعد نقلهما إلى اللغة اللاتينية ، وكان انتشار ذكرهما وتقدم مؤلفيهما علىمن عداهما من أطباء الإسلام في الشهرة لدى الغرب عاملاً فعالاً في تلك الشبهة.

والواجب أن يتم تنقيح التاريخ لبيان الحق، فقد أبدع السابقون ولكن الغرب ترجم لمن مالوا للفلسفة فقط.

ولنتأمل مثلاً مجالاً عمليًا طبيًا غير الجراحة ، وهو تحضير الأدوية ، حيث يثبت أن قومنا لم يتفرغوا للتفلسف كاليونانيين ، ولم يأنفوا الطب كعلم تجريبي مبني علىحقائق مادية ، والصيدلة لا تنفك عنه بالطبع ولا تنفصل ابدًا.

وقد عني **بمباشرة الدواء** بيده أطباء جهابذة:

أولهم: هو **أبو جعفر أحمد بن الجزار** (ت ٣٦٩ هـ/ ٩٨٥ م). فقد أكثر في كتبه من الإشارة إلى الأدوية التي ألفها بنفسه، منها- مثلا- إشاراته في كتاب "المعدة" إلى شراب ألفه لإنزال المادة الصفراء من المعدة، ودواء ألفه لصاحب القيء الشديد الخ.

وثانيهم: هو **أبو مروان عبد الملك بن زهر** ، وهو نفسه من يأنف أحيانًا العمل اليدوي.

حيث قال مثلاً: " وأما أنا فإن في نفسي مرضًا من أمراض النفوس من حب أعمال الصيدلانيين وتجربة الأدوية والتلطف في سلب بعض قوى الأدوية وتركيبها في غيرها، وتمييز الجواهر وتفصيلها ومحاولة ذلك باليد، ومازلت مغرمًا بذلك مبتلى به " .

وأبو جعفر أحمد الغافقي (ت.٥٦٠ هـ / ١١٦٥م) فقد أشار في مقدمة كتابه " الأدوية المفردة" إلى أن معظم أطباء عصره في الأندلس صيادلة يتولون عمل الأدوية بأنفسهم: " أطباؤنا هؤلاء كلهم صيادلة يتولون بأنفسهم عمل الأدوية

المركبة وجميع أعمال الصيدلة. وما أقبح بأحدهم- لو عقلوا- أن يطلب أدوية مفردة لتركيب دواء فيؤتى بأدوية لا يعلم هل هي التي أراد أم غيرها فيركبها ويسقيها عليله ويقلد فيها الشجارين ولقاطي الحشائش. إن أطباءنا هؤلاء كلهم صيادلة، ولا تكسب لهم ولا معاش إلا من الصيدلة".

فهو يقول إنه عار أن تكتب دواءً فيأتيك المريض به ، وأنت لا تعلم هل هو هو أم لا ، فلابد أن تكون عالمًا بشكله ووصفه ، لكي لا تصبح مثل جامع الحشائش.

وهو تعبير استعمله بعض أساتذتنا في علم الدواء (الفارماكولوجي) في الجامعة.

فالطب لدى هؤلاء الأطباء المسلمين علم يتصل بالكيمياء ، وليس فلسفة جالينوس ولا أساطير إغريقية نقلوها كما هي.

وهو أيضاً علم به تجارب وملاحظات ، فلم يكن حتى الداخلين في بعض الفلسفة منهم كغيرهم ، فالملاحظات السريرية عند الرازي وابن سينا كثيرة جدًا، ومجال تجريب الأدوية كان له وضعه البارز.

فإن الطبيب كان لا يقنع بما تخبره به الكتب عن خصائص الدواء العلاجية، بل كان يتبين نجاحها بنفسه ، كابن الجزار في كتاب «المعدة».

فإن ابن الجزار كثيراً ما يذكر دواءً مركبًا ما ثم يلاحظ أنه قد جربه فحمده. ومن أمثلة ذلك قوله عن الإطريفل _الذي ألفه هو نفسه لأصحاب المعدة الضعيفة المسترخية_ "وقد جربنا وحمدناه"، وقوله عن شراب ألفه آخر لقمع الصفراء المتولدة في المعدة" وقد اختبرناه فحمدناه".

وهناك **أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار** (ت. ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨ م) فقد أبرز في مقدمة كتابه «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» منحاه التجريبي.

فقال في الغرض الثاني: "الغرض الثاني: صحة النقل فيما أذكره عن الأقدمين وأحرره عن المتأخرين. فما صح عندي بالمشاهدة والنظر وثبت لدي

بالخبر (بتسكين الباء) لا الخبر ادخرته كنزًا سريًا ، وعددت نفسي عن الاستعانة بغيري فيه سوى الله غنيًا ».

وما كان مخالفًا في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية في المنفعة والماهية للصواب والتحقيق ، أو أن ناقله أو قائله عدلا فيه عن سواء الطريق، نبذته ظهريًا وهجرته مليًا وقلت لناقله أو قائله لقد جئت شيئًا فريًا. ولم أجاب في ذلك قديمًا لسبقه ولا محدثًا اعتمد غيري على صدقه" .

وقد انتقد ابن البيطار بالفعل أطباء كثيرين قد أخطأوا في الحديث عن خصائص الأدوية العلاجية أو في تحديد ماهياتها.

ومجال عملي آخر هو التشريح:

وفيه نبغ أبو الحسن **علي بن أبي الحزم ابن النفيس القرشي** (ت. ٦٨٧ هـ/ ١٢٨٨ م) وهو من أبرع شراح كتاب «القانون » لابن سينا والمعلقين عليه.

وألف في التشريح كتابًا مستقلاً هو «شرح تشريح القانون »، وقد صوب في هذا الكتاب بعض الكتابات التي أوردها ابن سينا في التشريح.

وصوب كلام جالينوس وابن سينا في نظرية الدورة الدموية الصغرى(الدورة الرئوية).

فقد تنبه ابن النفيس إلى أن اتجاه الدم ثابت وأن حركته ليست حركة مد وجزر - كما كان يظن سابقًا - وقال بأن الدم يمر في تجويف القلب الأيمن إلى الرئة حيث يخالط الهواء، ثم يعود من الرئة عن طريق الوريد الرئوي إلى التجويف الأيسر للقلب.

فقد نقض نظرية جالينوس وابن سينا من بعده في الدورة الدموية الصغرى، بعد استقرار في أذهان العلماء دام حوالي اثني عشر قرنًا (من القرن الثاني إلى القرن الثالث عشر الميلاديين)

وهناك دكتور من أجدادنا أيضاً هو أبي عبد الله **محمد بن عثمان الصقلي** التونسي (ت، حوالي ٨٢٥ هـ/ ١٤١٧ م)، فقد ألف الصقلي كتابًا نافعًا هامًا هو "المختصر الفارسي" نسبة إلى السلطان الحفصي الذي ألفه له وهو أبو فارس عبد

العزيز المتوكل على الله (٧٩٦ هـ/ ٤ ١٣٩ م- ٨٣٧ هـ لم ١٤٣٤ م). وهو ملخص لكتاب «القانون »، لم يقلد فيه الصقلي آراء ابن سينا، بل أضاف إليها إضافات هامة ، خاصة في مبحثين اثنين:

أولهما: هو مرض جرب العين والحكة الملازمة له، وأثبت المؤلف للمرة الأولى: تطور المرض ومراحله وكانت أربع. وهذه المراحل الأربع لم يقع إثباتها من طرف الأطباء إلا في منتصف هذا القرن (العشرين)، فيكون الفضل لمحمد الصقلي في الأسبقية في تحقيقها وترتيبها بستمائة سنة.

وثاني المبحثين: هو مرض السل (الدرن)، فإن القدماء قد تحدثوا عن السل وعرفوه بشكل عام، لا يفصله عن غيره، بأنه " قروح في الرئة " ووصفوا أهم علاماته وهي: السعال ونفث الدم والحمى ونحافة الجسم.

أما الصقلي فقد انتهى إلى تشخيصه للسل بوضوح إذ حدده وحدد أسبابه بقوله: " وسبب السل قرحة في الرئة، فإن الأنسان إذا جاوز في النفث أربعين يومًا صار مسلولاً يعسر برؤه، وقد يكون عن قروح في الصدر والحجاب إذا انخرق، وإذا لم ينخرق يسهل التحام تلك القروح لعدم حركتها. وقد يمتد هذا المرض بصاحبه سنين لاسيما إذا كان في القرحة جفوف وخشكريشة غير ساعية" .

فهنا يتضح أنه اطلع على تشريحات للموتى وسمع بأذنه صدر المرضى، وقد كان ممارسًا في المستشفى الحفصي بمدينة تونس.

من هنا ندعم النصح - كما نصح الطبيب التونسي الفذ - بأن يعنى الباحثون بالنصوص الطبية الإسلامية تحقيقًا ودراسة وتمحيصا، فما نشر منها محققًا تحققًا علميًا فهو أقل من الضئيل.

فقد طمرت إبداعات وغمطت حقها، ولا زالت هناك درر في طرق حفظ الصحة ومسألة التغذية ومسألة الأدوية النباتية.

والبحث المنصف يبين أن الطب الإسلامي كان حلقة أساسية في تاريخ تطور الطب ، ضمن المسار الحضاري الإنساني.

ونبهت مؤتمرات ومواقع تعنى بتاريخ الطب الإسلامي على الأنترنت، مثل

المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية وإسلام أون لاين وغيرها، إلى أن أحد أسباب الظلم هو أن حركة الترجمة الأوروبية كانت في عصر به أهواء مضلة شديدة وتعصب أعمى ، وذلك يعني أن المترجم كان لا يجد حرجًا عندما يسرق نصًا فينسبه لنفسه ، أو يغير من نص ترجمه فيحرفه لأنه يحقد علىالحضارة الإسلامية.

ولنا علىهذا كله مثال جيد للاستدلال، هو **أبو جعفر أحمد بن الجزار القيرواني** في علاقته بمترجمه قسطنطين الإفريقي.

فقد ترجم قسطنطين من كتاب ابن الجزار "زاد المسافر وقوت الحاضر" و"الاعتماد في الأدوية المفردة" و"المعدة وأمراضها ومداواتها" و"مقالة في الجذام" وانتحلها جميعا فنسبها إلى نفسه، وكشف التاريخ التزوير بعد سنين طويلة.

ثم سرقة وانتحال الفضل في نظرية طبية إسلامية، مثل ما حدث مع ميخائيل سرفاي في شرح "تشريح القانون" لأبي الحسن علي بن النفيس في الدورة الدموية الصغرى.

فلقد أخذ سرفاي بنظرية ابن النفيس ونقلها حرفيا في كتابه: «CHRIST-IANSMO RESTITUTIO» الصادر بفيينا سنة ١٥٥٣م وفضحه الله بوضوح التاريخ أيضاً.

تحرر أطباؤنا من رق جالينوس:

وأشار الدكتور/ منصف المرزوقي من تونس إلى ملاحظة أصيغها لكم بلفظي هي أن التخلص من هيبة جالينوس وأبقراط لم يكن شيئًا هينًا ويدل علىمدى الاستقلال الفكري الذي أظهره الأطباء المسلمون تجاه التراث الإغريقي والروماني ، رغم أن اسم جالينوس وحده كان حجة وذريعة ، ولعب نفس الدور الذي لعبه أرسطو في الفلسفة فشل من حركية البحث والتنقيب لتشبث اتباعه بكل ما كتب وصنف، ولإيمانهم الأعمى بأن فيه كل الحقيقة.

ومن النوادر التي تعطينا فكرة عن طغيانه الفكري قول بعض أتباعه بأن بنية الإنسان تغيرت منذ عهده لما اضطروا لتفسير أخطائه المتعددة في علم الأعضاء.

أما المسلمون فإنهم لم يماشوه في كل ما قال، بل نجد عند الكثيرين منهم نقداً حاداً له وتجاوزًا لأقواله ولنظرياته. فنقده الرازي وابن سينا وابن زهر وابن أصيبعة في تاريخه تعريضا. فالاستقلال والمنهجية العلمية يتجليان عند ابن زهر الذي كان يشرّح الموتى غير مقتنع بتشريح جالينوس للحيوان، ومثله ابن النفيس إذ يقول:

" أما منافع الأعضاء فيعتمد في تعريفها على ما يقتضيه النظر المحق والبحث المستقيم، ولا علينا وافق ذلك رأي من تقدمنا أو خالفه "، وكان رفض ابن النفيس تقليد آراء جالينوس حول وظيفة الكبد والقلب والرئتين هو بداية اكتشاف الدورة الدموية الصغرى إذ لم يؤمن بنظريته القائلة بأن الدم ينساب من البطين الأيمن إلى البطين الأيسر عبر ثقوب، وان وظيفة الرئتين الرفرفة فوق القلب لتبريده.

مَنْ لَمْ يصُنْ نفسَهُ ساءَتْ خليقَتُهُ بكــلِّ طَبْــعٍ لئيم غيرِ مُنتَقلِ

فخُذْ مقالَ خبيرٍ قد حَوى حِكَماً إذ صغتُها بعدَ طولِ الخُبرِ في عَمَلي

ليس حديثنا تعصبًا لعروبة، بل هناك من كل الأجناس عباقرة في الطب الإسلامي ، فهناك من إيران وفارس وهناك من أوروبا وهناك الأسمر والأبيض، وتلك عظمة الإسلام وروعته كدين كوني إنساني عالمي.

وبخصوص من كان لهم باع في الطب ولكنهم لم يلتزموا منهج السنة الشريفة - صلى الله على صاحبها وسلم - في كل كتبهم مثل ابن سينا ، فنقول: إن ابن سينا مهما كان من انحراف في معتقده فهو وليد الثقافة الإسلامية والبيئة العلمية التي أنشأها الإسلام، فهو ابن الحضارة الإسلامية والفضل في حاله يرجع بتوفيق الله لتلك الحضارة التي شجعت وأسست الجو العلمي.

والضرر في حال ابن سينا – أو غيره - يرجع لشططه فيما وراء ما سمحت به قيم الإسلام ، حين يعمل المرء عقله فيما وراء ما خلق له فيسقط في مهاوي الفلسفة والجدليات.

وقد وردت توبتهم عن تلك النظرة الفلسفية في مباحث تاريخية وكتب شرعية

عدة ، والله تعالى أعلم.

وقد تحدث الكثيرون عنه قديمًا وحديثًا، منهم مباحث للباحث ألبير زكي اسكندر (من إنجلترا) ودكتور إحسان دوجر وغيرهم.

أيها الأحباب يجب أن ننظر في تاريخنا المشرق ونستلهم منه المستقبل الأفضل الذي نحن أحق وأجدر به إن شاء الله.

لم يكن أجدادنا مغرورين ولا منغلقي التفكير ولا كسالى ولا بعيدين عن روح القرآن وهديه، بل كانوا قممًا في التواضع وآيات في الاستقامة.

ومعلوم أن الأمم تقاس بحضارتها ، فبمقدار ما يكون للأمة من يد على الحضارة بمقدار ما يكون لها من عظمة التاريخ. وكل أمة لا حضارة لها لا حضور لها ولا تاريخ.

والفارق الجوهري بين حضارة الإسلام وغيرها هو أنه مع الرقي المادي كان هناك سمو روحي وقيم إنسانية راقية. وكان لحضارة الإسلام من التفوق في الشأن العقلي والعلمي في كل مناحي الحياة نصيبًا لا يدرك ، وتقاس خيرية الأمم بقدر عطائها ، ومن ناحية العطاء فقد كانت في مرحلة الالتزام خير أمة أخرجت للناس.

ويجب أن يعرف أبناؤنا أننا كنا أفضل شعوب العالم يومًا ما ، وأن يدركوا أنه ليس الطب العباسي فقط هو ما نبغ فيه الجدود.

بل إن الهندسة العباسية بلغت شأوًا عظيمًا وشيدت عمارة متقنة وجسورًا ضخمة وقلاعًا حصينة.

وأن الرياضيات الإسلامية كان لها عصرها الذهبي وأقيمت إدارات للإحصاء والمواريث والمسح، وأن علم الفلك الإسلامي ألغى أوهام الكهان وسحرهم وحدد الاتجاهات في كل بقعة للصلاة وللسفر في البحر ونهضت جغرافيا الخرائط نهضة مذهلة.

كل تلك الأمور في وقت كان العالم فيه متأخرًا بمراحل،

أطفقْتَ تَهْذِي لِلوُجُوْدِ بِمَا تَرَى ... وَظَنَنْتَ أَنْ تَهْدِي لِدَرْبِ صَوابِ

فَجَعَلْتَ غَرْبَ الأَرْضِ دَارَ حَضَارَةٍ وَجَعَلْتَ شَرْقَ الأَرْضِ لِلإِرْهَابِ
وَجَعَلْتَ دَرْبَ الظُّلْمِ دَرْبَكَ سَالِكاً وَجَعَلْتَ دَرْبَ العَدْلِ بَحْرَ سَرَابِ
يَا أَيُّهَا الغَرْبُ الذِي عَبَدَ الْهَوَى رَبّاً، وَتَاهَ عَلَى رُؤَى الإِعْجَابِ
هَلْ غَرَّكَ الْمَالُ الذِي هُوَ مَالُنَا تَخْتَالُ فِيْهِ بِنَاطِحَاتِ سَحَابِ
أَمْ غَرَّكَ العِلْمُ الذِي مِنْ نَبْعِنَا عِلْمُ ابْنِ سِيْنَا فِيْهِ وَالفَارَابِي
أَمْ غَرَّكَ السَّيْفُ الذِي كُنَّا بِهِ فِي حَدِّهِ لِلْحَقِّ فَصْلَ خِطَابِ
إِنِّي أَنَا العَرَبِيُّ وَابْنُ عَقِيْدَةٍ لِلْمُصْطَفَى مِنْ قَاهِرٍ وَهَّابِ
إِنِّي أَنَا العَرَبِيُّ مِصْبَاحُ الدُّجَى نُوْرُ الْهِدَايَةِ لِلْوَرَى الْمُرْتَابِ
اللهُ رَبِّي، وَالرَّسُوْلُ مَحَبَّتِي وَالْحَقُّ دَرْبِي، وَالخِلالُ ثِيَابِي
إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُ عِزَّتِي وَكَرَامَتِي فَلْتَسْأَلِ التَّارِيْخَ عَنْ أَلْقَابِي
أَوْ كُنْتَ تَجْهَلُ فِي النِّزَالِ صَرَامَتِي فَاسْأَلْ صَلاحَ الدِّيْنِ عَنْ إِغْضَابِي
أَنَا لا أَنَامُ عَنِ الْمَهَانَةِ وَالأَذَى حَتَّى وَإِنْ كَلَّتْ يَدِي وَرِكَابِي
اللهُ أَكْبَرُ فَوْقَ كَيْدِ شُرُوْرِكُمْ شَتَّانَ بَيْنَ الْخَانِ وَالْمِحْرَابِ
إِصْدَعْ لِنُوْرِ الْحَقِّ دُوْنَ جَهَالَةٍ فَالنَّصْرُ لِلإِسْلامِ يَا مُتَصَابِي

ونهضة أوروبا الحديثة مدينة للحضارة الإسلامية بلا شك ، وشتان ما بين العقل الوثني اليوناني والعقل الإسلامي. فالإسلام يفتح لك الملكات ويصونك عن الترهات ويشجع العلم ويرفع قيمته، ويحض علىالتثبت، ويحارب الأهواء والخرافة، ويستمد شحنات لا متناهية من المدد الإيماني تدفعه للأمام.

والأجداد الأفذاذ لم يعملوا لكي تكون مؤلفاتهم مصدر كسب ، بل كتبوا شكلاً وموضوعًا احتسابًا للأجر كالخوارزمي في كتاب « الجبر والمقابلة » أو إثباتًا للخالق من خلال المخلوق كالجاحظ في كتابه «الحيوان». وخلت مصنفاتهم من الخرافات

والأساطير ولم تخش الحقيقة والنقد ، كما كان حال أبناء فلسفة اليونان الخرافية.

ولم يأنف أجدادنا أن ينقلوا عن الأمم الأخرى ، فالحكمة ضالة المؤمن ، ولا يضره من أي وعاء خرجت ، وتلك قيمة عظيمة ، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم أقر ما علّمه إبليس لأبي هريرة رضي الله عنه ، ولم ينكره لمجرد أنه من إبليس فهو درس لنفهم أن الحق حق في نفسه.

فالعلوم عند المسلمين لم تنطلق من الصفر إنما بنت علىما وصل إليه اقليدس وجالينوس، وأبقراط، وبطليموس، وأفلاطون، وأرسطو، والأفلاطونية المحدثة وحاكمت ما تركوه ولننظر مثلاً تعريف الطب:

قال ابن خلدون: "هو علم ينظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، لحفظ الصحة عليه أو لشفائه من المرض بالأدوية والأغذية"، فلم يمزجه ابن خلدون بالفلسفة والأساطير كما ورثه عن اليونان وغيرهم، بل بين العباقرة كالرازي أن الطب هو ضروري في المدن أكثر منه في البادية، لأن أصل الأمراض الأغذية الغليظة، ثم الأهوية الفاسدة من تزاحم الناس في المدن وتزاحم فضلاتهم، ثم قلة الرياضة وهو عين ما نقوله الآن.

فكان طبنا متفوقًا صائبًا ، خلافًا لجنوح الطب في شتى الحضارات وخلطه بأمور أخرى ، أما الطب الهندي – مثلاً – فقد اتجه نحو الجانب النفسي الروحانى إلى جانب المزاجي الطبيعي ، فابتكر اليوجا.

أما الطب الإسلامي فلم يهمل المادة ولم يركز علىالنفس ، فلم يكن ما فعله الأجداد نقلاً آليًا عن سابقين ، بل أخذًا ثم تنقيحًا ونقدًا وتحقيقًا وتجربةً، ثم إضافة وتطويرًا وإبداعًا.

وما أثنيت إلا بعد علم   وكم من جاهل أثنى فعابا

وليس بعامر بنيان قوم   إذا أخلاقهم كانت خرابا

أولئك أمة ضربوا المعالي   بمشرقها ومغربها قِبابا

وقد رأينا كم اكتشف العرب عند اليونان من أخطاء طبية ، ثم كيف أصلحوها ، ما بين خطأ في فهم تركيب الجسم ووظيفته ، إلى خطأ في فهم المرض ثم العلاج وطرقه.

وطريقة التشخيص الطبي عند العرب لا تختلف كثيراً عما هو عليه التشخيص الطبي هذا العصر. لقد كان التشخيص العربي للمريض عمليًا وسريرياً ، وكان يعتمد علىمراقبة النفس وجس النبض، ومتابعة الحرارة، وصفات عينة البول من ترسبات ولون.

ومن المناسب أن نتذكر أن الطبيب علي بن العباس المجوسي قد أبطل قول أبقراط بأن الطفل في رحم الأم يتحرك بنفسه تلقائياً ويخرج بواسطة هذه الحركة من الرحم، وقال علي بن العباس بحركة الرحم التي تدفع بالطفل إلى الخروج بواسطة انقباض عضلات هذا الرحم ، والطب الحديث يذهب هذا المذهب بالطبع.

ولم تكن تلك هي البصمة الوحيدة التي أضافها العباقرة العرب فهناك أيضاً اكتشافات طبية كثيرة:

١ - استخدام التخدير بالأفيون وغيره لتخفيف آلام العمليات الجراحية.

٢- استعمال الكاويات لوقف النزيف.

٣- اكتشاف أعراض السل (الدرن) في لون الأظافر وشكلها.

٤- وصف علاج ناجع للصفراء.

٥- معالجة النزيف الدموي بالماء البارد الذي يحدث انقباضاً بالأوعية ويتوقف بواسطته سيلان الدم.

٦ - إصلاح خلل أقواس الأسنان.

٧- اكتشاف أن البواسير ناتجة عن الإمساك كسبب رئيس ، ووصف نظام غذائي لها.

٨- اكتشاف بعض الأمراض السارية أو التي تنشأ بالعدوى، حيث اكتشف ابن سينا أن السل الرئوي تتسرب عدواه إما بواسطة الماء أو التراب.

٩- اكتشف ابن سينا "الدودة المستديرة" ووصف الدودة الخيطية وأعراض الإصابة بها.

١٠- بيّن ابن سينا أعراض داء الفيل الفيلاريا.

١١- اكتشاف بعض الأمراض الوراثية على يد الرازي.

١٢- وصف مسبب الجرب (حشرة مرض الجرب) على يد الطبري في كتابه « المعالجة الأبقراطية ».

١٣- عرف العرب التغذية الفموية الصناعية بواسطة الأنابيب المعدنية المصنعة من الفضة.

١٤- تطوير علم الأمراض النفسية:

فالطبيب ابن عمران وضع كتاب [المالنخوليا] واصفًا الداء والدواء. والرازي تحدث عن العلاج النفسي والحالة المزاجية والعلاج بالإيحاء ومما قال: "على الطبيب أن يوهم مريضه بالصحة ويرجيه بها" .

١٥- فرق ابن سينا بين حصاة الكلية وحصاة المثانة.

١٦- التعرف على الأورام الخبيثة وأن سبيلها هو الجراحة.

١٧- تطوير طب العيون وجراحتها: حيث أجاد ابن الهيثم في وصف العين وتحديد وظيفتها بدقة علمية لم يسبق إليها. ونجح الزهراوي في إخراج الماء الأزرق من العين بعملية جراحية، وألف في طب العين كتاب « نور العين ».

١٨- التشريح والجراحة:

ابن النفيس هو مكتشف الدورة الدموية الصغرى، وللزهراوي كتاب طبي شهير «التصريف لمن عجز عن التأليف » وفيه بسط لكل ما عرف عن الجراحة إلى عهده، وقد تضمن رسوماً لبعض الآلات الجراحية. ومن الآلات التي وصفها الزهراوي ورسمها:

- مبضع قصير نصله مستدير لشق الأورام والتجمعات الصديدية الخراريج.
- مبضع معقوف الطرف أحد أطرافه حاد والطرف الآخر غير حاد يشق به على البواسير.
- جفت لإخراج المواد الغريبة الساقطة في الأذن.
- جفت وله حابس لوقف النزيف.
- سنارة لثني الجلد أثناء الجراحة.

- خافض اللسان لعمليات استئصال اللوزتين.
- مكحت لجفن العين للرمد الحبيبي.
- إبرة مستقيمة لخياطة الجروح.
- إبرة مستديرة لخياطة الجروح.
- علي بن عباس المجوسي وصف عملية الشق لاستخراج الحصاة.
- الرازي وصف استئصال الأورام.

توجد ذخيرة رائعة في الكتب الطبية من عصر ازدهار الحضارة الإسلامية ، بها وصف العديد من الآلات الجراحية التي ابتكروها مثل:

أ - كلاّب: آلة لخلع الأسنان.

ب - جفت: آلة تستعمل لاستخراج العظم المكسور في الفك والأنف والفم.

ج - المرْوَد: يستعمل لوضع الأدوية علىالجروح.

د - الصنّارة: تستخدم في استخراج الأجسام الدقيقة والأشواك.

هـ - الأنابيب: للتغذية وأفضلها من الفضة.

و - بيرم: لتقويم العظم.

فتذوقوا طعم الحياة وأدركوا ... ما في الجهالة من أذى وتباب
العلم في البأساء مزنة رحمة ... والجهل في النعماء سوط عذاب
ولعل ورد العلم ما لم يرعه ... ساق من الأخلاق ورد سراب

التقنية وصناعة الحيل النافعة الطبية في كتب الجراحة

وقد قرأت فصلاً حسنًا بقلم الدكتور سامي خلف حمارنة يتحدث فيه عن عباقرة مثل:

أبي الفرج بن موفق الدين يعقوب بن إسحاق بن الكركي الملكي، والذي ساهم في إحياء وتقدم المهن الصحية. وهو مؤلف كتاب: «جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض» ، هو أول كتاب من نوعه يبحث في أحوال الصحة العامة

والخاصة والوقاية من الأمراض في منهج واضح وأسلوب علمي رصين.

وله بعد ذلك كتاب «العمدة »(تم تأليفه عام ٦٨١ هـ) في الجراحة. يذكر فيه مثلاً الأخطاء الشائعة بسبب عدم معرفة ممارسة المهنة بإتقان وعدم تمييز الأمراض وأسبابها وأعراضها وتركيب الأدوية والأغذية اللازمة للشفاء، وكيف اعتذر آخرون بأنه ليس لديهم كتاب جامع نافع يمكن الرجوع إليه في هذه الصنعة. لذلك كان منهم من أكثر السؤال بلزوم تأليف مثل هذا التصنيف الشامل ليشرح حدود الجراحة وأصول الأمور الطبية والأورام وحدوثها وتقاسيمها وعلاماتها والمفردات البسيطة والمركبة وماهياتها ومعالجة الأمراض فاستجاب لهذا الطب في عشرين مقالة.

ووضح أنه يشترط في الممارس أن يكون عارفًا بالتشريح ليعرف مسالك الأوردة وأوضاعها وما يجاورها، وكيف يحفظ المبضع نقيًا من الصدأ والنمش.

المستشفيات

فقد أنشأ العرب مستشفى مجهزاً تجهيزاً كافياً قبل أن يقوم مثله في العالم الغربي بمئات السنين.

وتأمل حين بني المستشفى الكبير في القاهرة والذي ضم عدة أبنية وحدائق فسيحة، فليس غرفًا ضيقةً ولا محلاً متهالكًا عليه سيماء المرض.

وقد سميت المستشفيات في ذلك الوقت " بالبيمارستان" وهي كلمة تتكون من جزئين " بيمار" معناها مريض و" ستان" ومعناها منزل أو منشأة وقد اختصرت فيما بعد إلى " ماريستان" .

ومن أشهرها :

١ . بيمارستان العتيق أنشيء عام ١١٧٢م وقد أسسه صلاح الدين الأيوبي وكانت لعلاج المرضى وبها قسم لتأهيل المعاقين أيضاً وهو قسم بدأه أجدادنا.

٢ . بيمارستان قلاوون الذي أسسه السلطان المملوكي المنصور قلاوون عام ١٢٨٣م وكان مقسمًا لأقسام. وكان ملحقًا به كلية للطب تدرس نظريًا وعمليًا.

يا قوم ما لي أراكم   قطنتم الجهل دارا

أضـــعتم مجـــد قـــوم شـــادوا الحيـــاة فخـــارا

أبقـــوا سمـــاء المعـــالي بمـــا أضـــاءوا منـــارا

ووصفه د. خالد محمد عزب من مصر بأنه واحدة من أعظم مدارس الطب في العالم الإسلامي، وكان به نبهاء فطناء غيروا مجرى التاريخ ، مثل داود الأنطاكي. حيث نفع بعلم وانتفع بخبرة واكتسب شهرة واسعة.

وقد أسس على يد السلطان المنصور قلاوون، ويذكر النويري أن السلطان قد رتب بالبيمارستان من الحكماء على مختلف تخصصاته من طبائعيين وكحالين وجرائحية ومجبرين لمعالجة أمراض الرجال، والفراشين والفراشات لخدمة المرضى وإصلاح أماكنهم وتنظيفها وغسل ثيابهم وخدمتهم في الحمام. كما جهز البيمارستان بما يحتاج إليه من السرر والفرش والمخدات واللحف والملاءات حتى يكون لكل مريض فرش كامل. وبه قسم لمرضى الحميات، وقاعة للرمد والثانية للجرحى والثالثة: لمن أفرط به الإسهال والرابعة للنساء. وملحقات شملت أماكن لطبخ الطعام والأشربة والأدوية والمعاجين (الصيدلية ومصنع الأدوية) وتركيب الأكحال والمراهم والأدهان وتركيب الترياقات.

غنى النفس لمن يعقل خير من غنى المالِ

وفضل الناس في الأنفس ليس الفضل في الحالِ

وفي العصر العباسي وجه العرب الكثير من عنايتهم للمستشفيات فأنشأوها وطوروها.

كان المسلمون يختارون موقع المستشفى بعد الدرس والبحث (وهو عين ما نفعله الآن). وجاء في كتاب «طبقات الأطباء» أن عضد الدولة استشار الرازي ليختار له مكاناً لبناء مستشفى يحمل اسمه، فطلب الرازي أن علق في كل ناحية قطعة من اللحم من أنحاء بغداد فأصاب العفن بعضها قبل الآخر، فأقام بيمارستانه في الموضع الذي أبطأ فيه سير العفن أكثر من غيره، وبذلك تحقق له المكان الصحي المناسب لبيمارستانه.

المستشفيات عند العرب تشمل النوعين:

- الخاص كمستشفيات العيون والأمراض العقلية.
- والشامل لجميع الأمراض.

ومنها الثابت والمتنقل الموجه للسجون ومناطق الحروب حيث كانت تنقل على الدواب بمستلزماتها وخزائن العلاج. وأولها كان في عهد الوزير علي الجراح وزير الخليفة المقتدر بنصح الطبيب ابن الطبيب (سنان بن ثابت بن قرة).

وأن المجد في الدنيا رحيق إذا طال الزمان عليه طابا

أولئك أمة ضربوا المعالي بمشرقها ومغربها قِبابا

وقد أوضح الدكتور الفاضل حسان شمسي باشا في مقالة طيبة أنه في الوقت الذي كانت فيه المشافي تشاد في كل مدينة من المدن الإسلامية، كانت أوروبا تغرق في ظلام الجهل والتخلف.

وكان من أشهر المشافي في أوروبا في القرون الوسطى مستشفى "أوتيل ديو" في باريس. وقد جاء ذكره في كتاب ألفه « ماكس نوردو » قال فيه عن هذا المستشفى:

"كان يستلقي في الفراش الواحد أربعة مرضى أو خمسة أو ستة. فترى قدمي الواحد في جانب رأس الآخر. وكان الأطفال الصغار إلى جانب الشيوخ الشيب.

حقًا إن هذا لا يصدق، ولكنه الحقيقة والواقع. كانت المرأة تئن من مخالب المخاض إلى جانب رضيع يتلوى من التشنجات، ورجل يحترق في هذيان الحمى إلى جانب مسلول يسعل سعلته الجارحة، ومصاب بإحدى الأمراض الجلدية يمزق جلده الأجرب بأظافره الثائرة.

كانت رائحة الهواء في قاعات المرضى فاسدة حتى أن الزوار ما كانوا يجرؤون على دخولها إلا بعد أن يضعوا على وجوههم إسفنجة مبللة خلا. وتبقى جثث الموتى أربعًا وعشرين ساعة في الفراش. وقد وصفه في القرن الثامن عشر باللي ويتنون ولافوازيه في تقريرهم وصفًا تقشعر منه الأبدان، إذ رأوا الموتى جنبًا إلى جنب مع الأحياء، كما رأوا الناقهين مختلطين في غرفة واحدة مع المحتضرين، وكانت غرفة العمليات حيث الشق والقطع والبتر تأوي الذين تعمل لهم العمليات في الغد. فكانت

تعمل في وسط الغرفة نفسها، وكان المريض يرى أمامه تحضيرات العذاب ويسمع صراخ المعذبين، فإن كان ممن ينتظر دوره في الغد كانت أمامه صورة أوجاعه المقبلة. وإن كان ممن مر بهذا الجحيم كان أمامه منظر يذكره بالأوجاع التي قاساها.

ولم تعمل يد التحسين في هذا المستشفى الذي أنشىء عام ٦٦٠ م إلا بعد الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م.

هكذا كانت حال أحد أشهر مشافي أوروبا في العصور الوسطى كما يصفها الدكتور أحمد شوكت الشطي، فماذا كانت حالة مستشفياتنا التي كان يطلق عليها البيمارستانات.

يقول المؤرخون إن المشافي العربية والإسلامية كانت تكرس للرضيع والوضيع، والملك والمملوك، والجندي والأمير. وكان الخلفاء والأمراء والسلاطين وذوو الجاه يتبارون في بناء المشافي حتى أصبح في كل مدينة من المدن الكبرى في الإمبراطورية العربية الإسلامية مستشفى عام واحد علىالأقل للعناية بالمرضى. وكان البيمارستان مؤسسة حكومية يقوم بنفقاتها أحد الخلفاء أو الأمراء.

كان المرضى يفحصون في المستشفى فيعطى من لا يحتاج إلى الاستشفاء فيه وصفة تحضر في صيدلية المستشفى. أما المرضى الذين يحتاجون إلى دخول المستشفى، فتدون أسماؤهم لقبولهم، ثم يستحمون ويبقون في المستشفى حتى الشفاء التام، وعلامته أكل رغيف من الخبز وفروج كامل، وعندما يخرجونهم يعطونهم ثوبا مع كمية من الدراهم لتقوم بنفقاتهم الضرورية خارج المستشفى.

وكان الناس يتمارضون رغبة منهم في الدخول إلى المستشفى والتنعم بما فيه. وكان الأطباء يغضون الطرف أحيانًا عن هذا التحايل.

قال خليل بن شاهين الظاهري في كتاب « النجوم الزاهرة » بعد أن زار دمشق وبها بيمارستان لم ير مثله في الدنيا: « وعندما دخلت دمشق سنة ٨٣١ هـ كان بصحبتي رجل أعجمي من أهل الفضل والذوق، فلما دخل البيمارستان تمارض وأقام به ثلاثة أيام ورئيس الأطباء يتردد إليه، فلما فحصه وعلم حاله وصف له ما يناسبه من الأطعمة الحسنة والفواكه والحلوى. وبعد ثلاثة أيام كتب له الطبيب كلمة جاء فيها:

"إن الضيف لا يقيم فوق ثلاثة أيام"، وهذا يوحي بأنه أدرك أنه متمارض، ومع ذلك فقد عامله كأحد الضيوف.

وكان لكل مستشفى عام أروقة خاصة للذكور والأناث. وخصصت فيها شعب للحمى والإسهالات والجراحة والتجبير والإصابات العينية وغيرها. وألحق بأكثر المستشفيات حمام عام. ومن أقسام المستشفى صيدلية يشرف عليها صيدلي مجاز، ومجهزة بالأدوية والشرابات والعقاقير المختلفة.

وجهز كل مستشفى بمكتبة تضم المفيد من مخطوط أبقراط وجالينوس وأطباء المسلمين، يجتمع فيها الأساتذة والطلاب بعد جولة الصباح على المرضى.

وكان للمستشفيات أوقاف تعولها، وكانت الإدارة الطبية يرعاها الطبيب الأول: يعاونه رؤساء مختلف الشعب، ويعاون هؤلاء معاونوهم وتلاميذهم.

أما المجاذم: فقد خصصت لعلاج المجذومين، وأول مؤسسة عرفت في بلاد العرب هي مجذمة الوليد بن عبد الملك في دمشق سنة ٨٨ هـ، ثم تعددت المجاذم بعد ذلك.

وتعد المجاذم العربية أول دور عولج فيها المصابون بالجذام معالجة فنية، وكان الدخول إليها غير تابع لقيد أو شرط، بينما كانت المجاذم في الغرب مخصصة لفئة من الناس. وكان على المقبول فيها أن يدفع رسمًا باهظًا وأن يصطحب معه ما يحتاج إليه من مقاعد وأسرة وأواني الطعام والشراب.

وأما **بيمارستانات الأمراض العقلية** فقد تأسست في زمن الأمويين للعناية بالذين أصابهم مس أو اعتراهم ضعف عقلي. فقد كان المسلمون يعتبرون المعتوهين معدمين وعالة على إحسان الدولة، لأن إصابتهم بقضاء من الله وقدره.

ولقد جاء في صك الأوقاف التي حبس ريعها لصالح المستشفى النوري أو العتيق بحلب أن كل مجنون يخص بخادمين فينزعان عنه ثيابه كل صباح، ويحممانه بالماء البارد، ثم يلبسانه ثيابا نظيفة ويحملانه على أداء الصلاة، ويسمعانه قراءة القرآن يقرأه رجل حسن الصوت، ثم يفسحانه في الهواء الطلق.

أما في أوروبا، فكان المجانين يحرمون من دخول المستشفيات، وكانوا يقيدون بالسلاسل في بيوت الجنون، تلك البيوت التي كانت شرًا من السجون، فيبقون فيها

حتى ينتهي أجلهم.

فهل أتاك بعد هذا كله أن الغرب سبق حضارتنا بقرون حين اهتدوا إلى المستشفيات ولعلنا في الختام نذكر كلمة "رينان" التي يقول فيها:

"ما دخلت مسجدًا قط إلا اعتراني خشوع يمازجه أسف على أني لم أكن مسلمًا"، فيتمنى أن يكون مسلمًا من ذلك الطراز: طراز نور الدين وصلاح الدين.

انتهى ما نقله وخطه د حسان مختصرا.

وما أثنيت إلا بعد علم ... وكم من جاهل أثنى فعابا

وليس بعامر بنيان قوم ... إذا أخلاقهم كانت خرابا

أولئك أمة ضربوا المعالي ... بمشرقها ومغربها قِبابا

والحقيقة الثابتة أن الطب الإسلامي كان مصدراً للطب الأوروبي منذ القرن الحادى عشر حتى السادس عشر وجامعة باريس تزدان جدرانها بصورتي العالمين الطبيين: ابن سينا والرازي.

الصيدلة العربية

المسلمون هم مؤسسو الصيدلة الحديثة:

فلم تعد تجارة للعقاقير، بل صارت علم تحضير الأدوية، وإدارة لإقامة الرقابة على الصيدليات والصيدلة، ومدارس خاصة للتعليم، وقد حضر الصيادلة العرب الدواء المسمى الترياق المؤلف من عشرات الأدوية لمقاومة السموم.

وغلف المسلمون بعض الأدوية التي كانت تؤخذ بواسطة البلع ، لتحاشي طعمها الكريه وكان ابن سينا رائدًا في تلك النقطة.

وقد اشتملت المراجع الإسلامية على مئات الأصناف من العقاقير ، دخلت كلها في علم النبات والصيدلة الحديثين، والأسماء العربية لا تزال هي هي عند الغرب مثل الكافور والمسك.

من علماء الصيدلة المسلمين:

ابن وافد الأندلسي ـ الغافقي ـ الإدريسي القرطبي ـ أبو المنصور الصوري

نسبة إلى صور ـ أحمد بن البيطار.

ابن البيطار: توفي ١٢٤٥م وهو من أشهر الصيادلة العرب.

كان يتنقل في البلاد يجمع ما وسعه أن يجمع من أصناف النبات والحشائش الطبية لدراستها.

ألف موسوعته "الجامع لمفردات الأغذية والأدوية". وهي مرتبة على حروف الهجاء، يذكر الدواء ومنافعه وطرق استعماله. أورد أكثر من ألف وأربعمائة عقار.

وترجم الكتاب إلى لغات ثلاث هي: الألمانية، واللاتينية، والفرنسية.

أبو المنصوري الصوري: لقبه الصوري نسبة إلى مدينة صور. كان يسافر لدراسة الأعشاب وتتبع شكلها وخواصها ، وكان دقيقًا وتخصصيًا حتى إنه كان يصطحب معه مصوراً لتصوير النباتات في مختلف مراحل نموها، وكان يسجل لون العشب ووصف شكله ثم منافعه في حال كونه برعمًا أو ناضجًا:

متلطف في النصح غير مُجادل والنصح أضيع ما يكون جدالا

من عادة الإسلام يرفع عاملا ويسود المِقدامَ والفعّالا

ظلمته ألسنة تؤاخذه بكم وظلمتموه مُفرِّطين، كسالى

ولكي ترى مدى الفارق الشاسع والبون العظيم قارن بين الحالين:

أوروبا في العصور المظلمة _ عصور الفتن والحروب والأوبئة، حيث لم تعرف أوروبا النظام الصحي وأهملت كتب أبوقراط وجالينوس وظهرت كتب الدجل، حتى ورد أن الامبراطور شارلمان "٨٦٨- ٨٢٤" لم يأمر بتعليم الطب للشبان إلا في أواخر أيام حياته عندما أحس بشيخوخته_ ودار الخلافة وهي تبني أرقى المستشفيات وكليات الطب والصيدلة.

استحداث التخصصات في الطبّ بعد أن كان شيئًا واحدًا.

(أ) **طبّ العيون:** وقد اختص به ممارسة وتأليفًا جماعة منهم أبو القاسم عمّار ابن على الموصلي الذي ألف بمصر في زمن الحاكم ـ أي بين ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م

و٤١١ هـ / ١٠٢١ م ـ كتاب «المنتخب في علاج العيْن ».

وعلي بن عيسى الكحال (القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) مؤلف كتاب «تذكرة الكحالين ».

ومحمد بن قسّوم الغافقي (القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) مؤلف كتاب «المرشد في الكحل».

وصلاح الدين بن يوسف الكحال (ت. بعد ٦٩٦ هـ / ١٢٩٨ م) مؤلف كتاب «نور العيون وجامع الفنون ».

(ب) **الجراحة**: وقد خصها الزهراوي بالمقالة الثلاثين من كتاب التصريف، فكانت لهذه المقالة الشهرة والانتشار أكثر من باقي الكتاب كله. وهذه المقالة هي المظهرة في الحقيقة لقيمة الزهراوي والدالة علىغلبة الاختصاص في الجراحة عليه.

(ج) **طبّ الأطفال:** وقد خصّه ابن الجزار بكتاب مستقل هو: سياسة الصبيان وتدبيرهم.

(هـ) **طبّ المسنين**: وقد خصّه ابن الجزار بكتاب مستقل أيضاً هو "طبّ المشائخ وحفظ صِحّتهم".

رزق المجد والنجاح دواماً ... من يقضي الحياة في عملِ

ليس من عاش ساعياً في اجتهاد ... كالذي عاش دائم الكسلِ

وعن طِبّ الأطفال في تّاريخنا الإسلامي يتبين للمنصف أن اختصاص طب الأطفال لم يكن صنيعة الغرب كما يسوق البعض لتلك الفكرة ، بل تنبه العباقرة من قومنا لخصوصية أمراض الأطفال عن أمراض الكبار.

وقد أفاد الباحثون في التاريخ بالدليل الملموس أن أول كتاب أُلف في تخصص طب الأطفال هو كتاب «تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم» لأحمد بن محمد ابن يحيى البلدي المتوفى عام ٣٦٨ هـ يعني من أكثر من ألف سنة بفضل الله تعالى.

كذلك وضع "الرازي" رسالة خاصة في مرضى الحصبة والجدري وهما يخصان **الأطفال** أكثر من غيرهم.

بل حتى إن عباقرتنا سبقوا في عمل مؤلفات تعنى بتخصصات دقيقة داخل طب الأطفال كما هو الآن فهناك تخصص حديثي الولادة والتغذية. فقد ألف أحدهم كتابًا عن المولودين لسبعة أشهر وأصول تربيتهم. ومنهم من بحث في شروط المرضعة وأصناف الحليب، وفي علل الأطفال ووسائل معالجتهم.

ومن أبرز من تخصصوا في طب الأطفال "**أبو علي أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه**"، الذي ألف رسالة في هذا التخصص هي "رسالة في أوجاع الأطفال" . وقال الفاضل د. خالد عزب – وهو باحث فاضل في علم التاريخ – أنه لم تصل إلينا ترجمة لهذا الطبيب الحاذق، وكل ما وصل إلينا عنه أنه تُوفّي في عام ٤١٠ هجرية. أما رسالته الموجودة في مخطوط نادر ففيها يسلك "ابن مندويه" المسلك العقلي المرتب فيعرف كل مرض باسمه، ثم يوضح أعراضه وبعدها طرق علاجه، وهو الأسلوب المعتمد حتى الساعة في تأليف الكتب الطبية.

وفي كتابه يشدد على ضرورة تسجيل الحالات الطبية النادرة للاستفادة منها، فهو يكتب في جو علمى رائع جدًا، وحب للبحث ولنفع الغير ، وترك الخير لمن سيأتى من بعد ، وروح التشوف بادية عليه.

ونبه "ابن مندويه" في مخطوطته إلى سابقة في العلاج الطبي، وهي استعمال الشرج لإعطاء الأدوية. وهذه إحدى الطرق التي لا زالت فعالة حتى اليوم ، مثل التحاميل (الأقماع. اللبوس) والحقن الشرجية أحيانًا.

ومن الملفت للنظر ما جاء في الرسالة حول "السُّرَّة" وقطعها، فهو يقول: "إذا ولد الطفل فينبغي أن نقطع سرته أربعة أصابع، وتنظيف المنخرين والفم والأذنين" ونحن نعرف أهمية تلك الأمور لأنه يكون بها بعض السائل المتجمع حول الولد في الرحم وأثناء خروجه من المهبل.

والرائع أنه ينصح باستعمال إصبع مقلمة الظفر حيث إن ذلك لا يؤدي إلى جروح الفم التي تحدث عرضيًا، وهو بذلك رائد في التنبيه لتلك الأمور التي يمتحن فيها الآن طلبة التمريض والطب.

ثم ينصح بربط السرة بصوف نقي وهو بالفعل أمر يمنع الالتهابات والجراثيم التي

تدخل من جرح السرة. ولا ينسى الطبيب الأريب أن ينصح بأن الطفل يجب أن يدفأ جيدًا، حيث إنه وليد جديد ولا قدرة له على تحمل البرد، وهذا ما نمارسه في الأقسام الخاصة بحديثي الولادة من تدفئة في حضانات وأسرة ضوئية ولمبات خاصة ومكيفات دافئة.

سبحان من لو سجدنا بالجباه على حرارة الجمر والمحمى من الإبرِ
لم نبلغ العشر من مقدار نعمته ولا العشير ولا عشرا من العشرِ

تلك هي روعة الحضارة وذاك سموها. الحضارة التي أنشأت الصيدليات ومعامل الكيمياء بالمئات في قرطبة وبغداد والقاهرة وشتى الأمصار.

وظهرت فيه الموسوعات قبل ظهورها في الغرب بأربعمائة سنة، فكانت الموسوعة عبارة عن أبحاث علمية تغطي جميع المعارف في ذلك العصر وتشمل الرياضيات والطب والعلوم الطبيعية والتوحيد.

وأفضلها للنويري Nuwayri الذي عاش في القرن الثالث عشر والمؤلف الآخر هو ابن فضل الله العمري Ibn fadl Allah.

وللقلقشندي موسوعة أخرى طبعت في القاهرة وكانت تضم ١٤ مجلداً.

ومثلها المعاجم كما فعل الصفدي Safidi الذي عاش في القرن الرابع عشر وقبله ابن القفطي له موسوعة ضخمة سميت "طبقات اللغويين والنحاة".

ومثلها "طبقات الأطباء" الذي نتعرض له في كتابنا ذاك.فأمة وصل التطور بها وكثرة العلماء أن تكتب مرجعا في أسمائهم وتاريخهم في فن واحد لهي في قمة المجد، وبدأت جامعة بولونا في إيطاليا، تدرس كتاب «القانون» في الطب لابن سينا وتضعه ركيزة منهجها ومثلها جامعة باريس.

من عاش في الدنيا ولم يستفد خيرًا بها فعُمرُه عَدَم
اليوم يجزون بأعمالهم كل امرئ يحصد ما قد زرع

وسبقت أمتنا العالم بتفصيل اللوائح والنصوص التي تحدد أهمية الخبرة ، وتحمل الطبيب نتيجة الخطأ الفاحش أو الإهمال أو الجهل، و تحدد كيف يكون الترخيص للطبيب، فالقاعدة الموروثة "من تطبب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن".

الترخيص بمزاولة الطب

قام الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة ٣١٩ هـ بمنع سائر المتطببين من التصرف إلا من امتحنه الطبيب سنان بن ثابت بن قره فسبق الخليفة بذلك سائر الأمصار.

ولقد كان أمين الدولة هبة الله بن التلميذ عميدًا لأطباء بغداد يتولى امتحان الأطباء في العراق.

الآداب الطبية

حافظ أطباء الحضارة الإسلامية العربية علىتعاليم أشمل وأفضل مما سطره أبقراط في ميثاقه وبدء كتابه الطب.

فأحكام وآداب الشريعة الإسلامية علىالطبيب المسلم أن يلم بها وأن يحترمها في مزاولته المهنة، وعلىالطبيب أيا كان تخصصه أن يراعيها لدى فحصه المسلمين والمسلمات:

١- أن يبدأ المعاينة والوصفة وتطبيق المعالجات والمداخلات الجراحية ووسائل التشخيص المخبري والشعاعي بقول: "بسم الله" أو "بسم الله الرحمن الرحيم" وذلك قبل كشف العورة إذا اضطر للكشف.

٢- أن لا يكشف من العورة إلا بقدر ما تستدعيه المعاينة، لأن الضرورات تقدر بقدرها.

٣- أن لا يصف دواء من المحرمات لغير ضرورة. والمحرمات في الإسلام ذات أضرار علىصحة الإنسان البدنية أو النفسية أو الاعتقادية.

ومن المعلوم أن الطبيب يفضل اللجوء إلى الدواء الخالي من التأثيرات الجانبية إلا عند الضرورة حيث يفقد الدواء الأمثل ويكون ضرر المرض أشد من ضرر الدواء ذي التأثيرات الجانبية فيعطي هذا مع المراقبة والحذر.

٤- أن لا ينهي حياة مريض ميؤوس من شفائه متعذب من آلامه بأي واسطة، بل يساعده في تخفيف آلامه وتهدئة نفسه حتى يأتي أجله المحتوم.

٥- أن لا يقوم بتعقيم نهائي لغير ضرورة صحية ميؤوس من زوالها.

٦- أن يستند إلى معارفه الطبية والى وضع المريض الصحي العام والى فن المداواة

والى تقوى الله في فتواه للمريض بالفطر في شهر رمضان. فهناك أمراض تستفيد من الصيام، وهناك أمراض لا تتأثر منه، وهناك أمراض تستدعي الإفطار.

٧- أن تراعى تعاليم الإسلام في فحص الجنس للجنس الآخر كما هو موضح فيما يلي من بيان:

ومن الواجب وجود ثالث عند فحص الطبيب للنساء (وبالعكس) تجنبا للخلوة بهن.

ولذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخير المتطوعة للتمريض في الغزوة بين أن تكون في رفقة نساء قومها أو عشيرتها وبين أن تكون في رفقة أم المؤمنين التي وقعت القرعة على خروجها معه عليه الصلاة والسلام، على أنه في الحالات الإسعافية يجوز للجنس معالجة الجنس الآخر بغض النظر عن وجود ثالث فإن الضرورات تبيح المحظورات.

كذا الناس بالأخلاق يبقى صلاحهم ويذهب عنهم أمرهم حين تذهب

وهناك أيضاً مبادرات رائعة أخرى تشبه مبادرة الرازي في الحديث عن الأطباء وواجباتهم المهنية وأخلاق المهنة و"أدب الطبيب".

فأبى عبد الله محمد بن محمد بن الحاج العبدري، المتوفى سنة ٧٣٧ هـ ١٣٣٦م بالقاهرة، كتب كتابه الذي جمع فيه نصائحه ودعوته وهو كتاب "المدخل"، ويشتمل على تفاصيل غاية في الروعة.

وفي نص المدخل "أن يكون الطبيب خالص النية في عمله لله تعالى، حتى يكون عمله من أعظم العبادات لا يريد عليه عوضًا من الدنيا، وأن قصده امتثال السنة المطهرة في التطبيب وكشف الكرب عن إخوانه المسلمين ومشاركتهم في مصائبهم والنوازل التي تنزل بهم كما ينوي الشفقة عليهم"، وهنا الإخلاص والحس والضمير والرقابة الشخصية.

"أما عند مباشرته لمريضه فيتعين عليه أن يؤنسه ببشاشة وطلاقة وجه ويهون عليه ما هو فيه من المرض اقتداء بالسنة المطهرة. وينبغي للطبيب أن يكون أمينا على أسرار المرضى فلا يطلع إذا علم أن المريض لم يأذن له في ذلك، إلا بقصد

استجلاب خواطر الإخوان أو من يتبرك بدعائه " .

" ومن آكد ما على الطبيب حين جلوسه عند المريض أن يتأنى عليه بعد سؤاله حتى يخبره المريض بحاله، ويعيد عليه السؤال لأن المريض ربما تعذر عليه الإخبار بحاله لجهله به أو تأثره بقوة ألمه " .

وينتقد المؤلف بعض الممارسات الطبية في زمنه من عدم أخذهم بهذا السلوك فيقول " فهم لا يمهلون المريض حتى يفرغ من ذكر حاله، بل عندما يشرع في ذلك، فإن الطبيب يجيب أو يكتب والحال أن المريض لم يفرغ من ذكر حاله. ويزعم بعضهم أن ذلك من قوة المعرفة والحذق وكثرة الدراية بالصناعة، فالعجلة لغير الطبيب قبيحة لمخالفتها لآداب السنة المطهرة فكيف بها في حالات الطبيب.

فيتعين على الطبيب أن يسمع كلام المريض إلى آخره فلعل آخره ينقض أوله أو بعضه ولربما يغلط المريض في ذكر حاله أو يعجز عن التعبير عنه، فإذا تأنى الطبيب وأعاد عليه السؤال برفق أمن من الغلط فإن الغلط، في هذا خطر لأن أصل الطب والمقصود منه هو معرفة المرض فإذا عرف سلمت مداواته غالبًا.

ويتعين على الطبيب أن كان لا يعرف المرض أو كان عارف بدوائه أن لا يكتب شيئًا من الأدوية لما في ذلك من إضاعة للمال.

وينبغي للطبيب أن لا يقتصر على سؤال المريض وحده، بل يسأل من يخدم المريض إذ ربما يعرف عن المريض أكثر مما يعرفه هو - وهو ما نفعله نحن Informant وخاصة في الأمراض النفسية وكبار السن والأطفال وهو سبق منه.

وينبغي للطبيب أن يعرف حال المريض في حال صحته في مزاجه ومرباه وإقليمه وما اعتاده من الأطعمة والأدوية سواء بالسؤال من المريض أو ممن يلوذ به. وإذا تعذر عليه ذلك فليسأل عن والدي المريض ويطببه بمقتضى حالهما.

وآكد ما على الطبيب النظر في القارورة، لأنها تبين كل ما مر ذكره، فالماء إذا دخل جوف المريض تغير إلى حالة المرض الذي يشكو منه، فيعرف الطبيب إذ ذاك العلة أو يقرب فيها من اليقين.

وينبغي للطبيب أن يشهي المريض في الأغذية ثم ينتظر بعد ذلك، فإن رأى في

ذلك منفعة أو عدم ضرر حالاً أو مآلاً وسع لـه فيـه، وإن انعـدم النفـع والضـرر فالأولى: المسامحة في ذلك لحصول الراحة للمريض بذلك.

وإن رأى فيه الضرر تلطف في منعه واعدًا إياه به تطبيبًا لنفسه ولـئلا ينـزعج فيزيد مرضه. فالتلطف بالمريض والإشفاق عليه هو الأصل الذي يرجع إليه لقوله [الله الطبيب، بل أنت رجل رفيق].

وينبغي للطبيب أن ينظر في حال المريض فإن كان غنيًا أعطاه من الأدوية ما يليق بحاله، وان كان فقيرًا أعطاه ما تصل إليه قدرته من غير كلفة ولا مشقة.

إن المكـارم أخـلاق مطهـرة ... الـدين أولهـا والعقـل ثانيهـا

والعلم ثالثها والحلم رابعها ... والجود خامسها والفضل سادسها

والبر سابعها والشكر ثامنها ... والصبر تاسعها واللين باقيها

وان أعطاه أحد منهم شيئًا أخذه ويكون بنية الاستعانة علىما هـو بصـدده، ويكون علىحد سواء من أعطاه ومن لم يعطه، والذي لا يعطيه أعظم منزلة عنـده لأنه كان لله تعالى وانتفت عنه حظوظ النفس.

وينبغي للطبيب أن يكون الناس عنده علىأصناف فصنف يأخذ منه، وصنف لا يأخذ منه، وصنف إذا وصف له شيئًا من الأدوية أعطى لهم ما ينفقونه فيه.

فالصنف الأول: من له سعة في دنياه.

والصنف الثاني: العلماء والصلحاء المستورون في حـال دنيـاهم فـلا يأخـذ منهم شيئًا إلا أن يكون محتاجا.

والصنف الثالث: الفقراء الـذين لا يقـدرون علىكفـايتهم في حـال الصـحة فهؤلاء يعطهم ثمن ما يصفه لهم إن كان في سعة.

ولم يكن الأمر رقابـة شخصـية فقـط، بـل كانـت هنـاك حسـبة علىالأطبـاء والطبابة لمنع الغش والتغرير والشعوذة والـدجل والكشـف عـن الوسـائل المزيفـة والتلفيقات الخادعة.

التمريض في العصر الإسلامي

وإن المجد في الدنيا رحيق إذا طال الزمان عليه طابا

أولئك أمة ضربوا المعالي بمشـرقها ومغربهـا قِبابـا

لا يجب أن ننسى التمريض ونحن نبحث في روائع أطباء العرب الذين برعوا في الطب كمهنة وكانوا هم من أبدع التخدير كوسيلة لتخفيف ألم المريض، وقد أطلقوا على من يباشرها اسم "المرقد".

كما كانوا أول من استخدم الكاويات في الجراحة. ويذكر التاريخ أن الأطباء العرب أول من كتب في الجذام وخصصوا له أماكن بالمستشفيات منذ القرن السابع: الميلادي.

أما عن التمريض فقد كانت المسلمة العفيفة تعمل عند الضرورة في ميدان الإسعاف والتمريض للرجال.

فمنذ فجر الإسلام تطوعت صحابيات طاهرات مع الرسول صلى الله عليه وسلم بقصد خدمة المصابين والعناية بالمرضى منهم رغبة في ثواب الله تعالى.

وكان اسمهن "الآسيات أو الأواسي".

ويشمل معناها الخدمة والعطف فلم تكن فلورانس نايتنجل أول من عمل بقلبه مع المريض، فكن يحملن الضمادات والماء للسقاية.

وكانت المتطوعة تدرك الخطر وتقوم بالدفاع عن نفسها ، فحملت بعضهن الخناجر لتبقر بطن المعتدي إن لزم الأمر.

وكان إذن الرسول صلى الله عليه وسلم يسبق عملهن احترامًا للشرع أولاً.

وله ضرورة هامة هي علم القائد بالمتطوعات فيجيز ذوات الأهلية ومن لا يحدث خروجهن فتنة لغيرهن أو لأسرهن بغيابهن ، وينظم صفوفه على دراية ويختار المكان المناسب لهن ويحميهن.

فهي أسس إدارية رائعة تمارس حتى الآن في الحرب والسلم.

وورد أنه حين أصيب سعد بن معاذ بسهم في ذراعه أدى الى نزيف كان الكي لمكان النزيف بنصل سهم محمى على النار.

وهو علاج صحيح معروف فالكي وسيلة لإيقاف النزيف الآن.

ومن **أشرف الممرضات** أم المؤمنين **السيدة عائشة** رضي الله عنها وهي السيدة الأولى: في وقتها. شهدت غزوة أحد مع الرسول صلى الله عليه وسلم.

وأم أيمن (حاضنة الرسول صلى الله عليه وسلم) شهدت غزوة أحد أيضاً وكانت تمرض الجرحى وتقوم على الزمنى.

ووالدة **أنس بن مالك** شاركت في غزوات كثيرة حتى يوم حنين، رحمها الله ورضى عنها.

ورفيدة الأنصارية وقيل اسمها أيضاً **كعيبة الأنصارية** شهدت الخندق وخيبر ، وكانت تعمل بنظام المستشفيات العسكرية المتنقلة حيث اتخذت خيمة في المسجد ومساعدات لها، وكانت تعمل بالتمريض في وقت السلم أيضاً.

وأم سلمة رضي الله عنها وهي سيدة أولى في وقتها، زوج الرسول صلى الله عليه وسلم، شهدت خيبر وحنين ومعها **أميمة بنت قيس الغفارية وأم زياد الأشجعية.**

وأم حبيبة الأنصارية كانت تداوي الجرحى وتعد الطعام وتقوم على رعاية المرضى.

وفي عصر خلفاء بني أمية كانت **زينب " طبيبة بني أود"** تعالج العيون وتشرف على مداواة الجروح حتى تبرأ بالتطهير والغيار.

وورد في عيون الأنباء وغيره أنه كانت هناك فاضلة هي **أخت الحفيد ابن زهر الأندلسي** تعمل في أمراض النساء.

وأن **أم الحسن** بنت القاضي أحمد الطنجالي من أهل الأندلس طبيبة.

وورد أن الزهراوي كان أحيانًا يشهد الولادات ويتواجد خلف ستر ليوجه القابلات في الحالات المتعسرة ، وهو أمر يوضح أن العلم كان يحترم ، وأن الشرع قبله كان يقدس ويقدر ، فلم تضع حياة الناس ظنا أن الشرع يمنع التداوي والتكشف للضرورة ، ولم تضع مهارة الطبيب تشددًا وتكلفًا:

أُمة ينتهي البيان إليها ... وتؤول العلوم والعلماء

فلِمن حاول النعيم نعيم ... ولمن آثر الشَّقاء شقاءُ

وقد أهدانا الشاعر سمير العمري قصيدة في محلها.

أطْفَقْتَ تَهْـذِي لِلوُجُـوْدِ بِمَـا تَـرَى وَظَنَنْتَ أَنْ تَهْدِي لِدَرْبِ صَـوابِ

فَجَعَلْتَ غَرْبَ الأَرْضِ دَارَ حَضَارَةٍ وَجَعَلْتَ شَرْقَ الأَرْضِ لِلإرْهَـابِ

وَجَعَلْتَ دَرْبَ الظُّلْمِ دَرْبَكَ سَـالِكاً وَجَعَلْتَ دَرْبَ العَدْلِ بَحْرَ سَرَابِ

يَا أَيُّهَا الغَـرْبُ الـذِي عَبَدَ الْهَـوَى رَبّـاً، وَتَـاهَ عَلَـى رُؤَى الإعْجَـابِ

هَلْ غـرَّكَ الْمَـالُ الـذِي هُـوَ مَالُنَـا تَخْتَـالُ فِيْـهِ بِنَاطِحَـاتِ سَـحَابِ

أَمْ غَـرَّكَ العِلْـمُ الـذِي مِـنْ نَبْعِنَـا عِلْـمُ ابْـنِ سِـيْنَا فِيْـهِ وَالفَـارَابي

أَمْ غَـرَّكَ السَّـيْفُ الـذِي كُنَّـا بِـهِ فِـي حَـدِّهِ لِلْحَـقِّ فَصْـلَ خِطَـابِ

إنِّـي أَنَـا العَرَبِـيُّ وَابْـنُ عَقِيْـدَةٍ لِلْمُصْـطَفى مِـنْ قَـاهِرٍ وَهَّـابِ

إنِّـي أَنَـا العَرَبِـيُّ مِصْـبَاحُ الـدُّجَى نُـوْرُ الْهِدَايَـةِ لِلْـوَرَى الْمُرْتَـابِ

اللهُ رَبِّـــي، وَالرَّسُـــوْلُ مَحَبَّتِـــي وَالْحَـقُّ دَرْبِـي، وَالخِـلالُ ثِيَـابي

إنْ كُنْـتَ تَجْهَـلُ عِزَّتِـي وَكَرَامَتِـي فَلْتَسْـأَلِ التَّـارِيْخَ عَـنْ أَلْقَـابي

أَوْ كُنْتَ تَجْهَلُ فِي النِّزَالِ صَرامَتِي فَاسْأَلْ صَلاحَ الدِّيْنِ عَنْ إغْضَابي

أَنَـا لا أَنَـامُ عَـنِ الْمَهَانَـةِ وَالأَذَى حَتَّـى وَإنْ كَلَّـتْ يَـدِي وَرِكَـابي

اللهُ أَكْبَـرُ فَـوْقَ كَيْـدِ شُـرُوْرِكُمْ شَـتَّانَ بَـيْنَ الْخَـانِ وَالْمِحْـرَابِ

إصْـدَعْ لِنُـوْرِ الْحَـقِّ دُوْنَ جَهَالَـةٍ فَالنَّصْـرُ لِلإسْـلامِ يَـا مُتَصَـابي

تعليم الطب في العصور الإسلامية

الصارخون إذا أسيء إلى الحمى والزائدون إذا أغير على الشرى

لا الجاهلون العاجزون ولا الألى يمشون في ذهب القيود تبخترا

نقل الينا الطبيب المؤرخ ابن أصيبعة صورة جميلة ، وإليكم مقتطفات تشير للوضاء:

شرع مهذب الدين عبد الرحيم بن علي الدخوار في تدريس صناعة الطب، واجتمع اليه خلق كثير من أعيان الأطباء وغيرهم يقرؤون عليه، واذا فرغ من البيمارستان وافتقد المرضى من أعيان الدولة وأكابرها يأتي داره ثم يشرع في القراءة والدرس والمطالعة.

ولا بد له مع ذلك من نسخ، فإذا فرغ منه أذن للجماعة فيدخلون اليه ويأتي قوم بعد قوم، وكان يقرئ كل واحد منهم درسه ويبحث معه فيه ويفهمه إياه بقدر طاقته، ويبحث في ذلك مع المتميزين منهم إن كان الموضع يحتاج الى فضل بحث أو فيه إشكال يحتاج الى تحرير. وكان لا يقرئ أحدًا إلا وبيده نسخ من ذلك الكتاب الذي يتصفحه التلميذ ينظر فيه ويقابل به. فإن كان في نسخة الذي يقرأ غلط أمره بإصلاحه.

وكانت نسخ الشيخ مهذب الدين التي تقرأ عليه في غاية الصحة، وكان أكثرها بخطه، وكان ابدًا لا يفارقه الى جانبه مع ما يحتاج اليه من الكتب الطبية، ومن كتب اللغة كتاب الصحاح للجوهري، والمجمل لابن فارس، وكتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري. فكان اذا جاءت في الدرس كلمة لغة يحتاج الى كشفها وتحقيقها نظرها في تلك الكتب.

ونكمل كفاحه:

عرض لهذا الشيخ ثقل في لسانه واسترخاء، وعجز عن الاسترسال في النطق. ثم زاد به ثقل لسانه حتى صار لا يفهم له كلام الا بعسر مع ذلك استمر في إعطاء دروسه. فإذا استعصى عليه الشرح كتبه في لوح ليقرأه تلاميذه:

أولئك قومي خير قوم بأسرهم فما عد من خير فقومي له أهلُ

يربــون بــالمعروف معــروف مــن وليس على معـروفهم أبـدا قفـلُ

وقائلــهم بـــالحق أول قائــل فحكمهـم عـدل وقـولهم فصـلُ

إذا حـاربوا أو سـالموا لم يشـبهوا فحربهم خـوف وسـلمهم سـهلُ

وأوضح الأستاذ الدكتور/ فؤاد الحفناوي من مصر في مبحث نفيس دلالات بازغة علىأن الطب لم يكن مستهجنًا شرعًا، بل كان في قمة أشرف المهن.

فمن أعلام الطب في الأزهر القديم:

الحسن بن الهيثم وعلي بن رضوان وموسى بن ميمون وعبد اللطيف البغدادي:

عـالجوا الحكمـة واستشـفوا بهـا وأنشدوا ما ضل منهـا في السِّير

واقـــرؤوا آداب مـــن قـــبلكم ربمـا علَّـم حيـا مـن غـبر

وقدم نموذجًا لمن اتصلوا بالأزهر القديم من علماء وأطباء تسلموا منصب شيخ الأزهر.

- هو الشيخ أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري (١٦٨٩- ١٧٧٨) طبيب من علماء الأزهر- ولد في محافظة البحيرة بمصر، ودرس الفقه وعلم الأصول والطب وكان عالمًا بمذاهب أئمة الفقه الأربعة، وينسب نفسه لها جميعاً، وقد وصفه معاصروه بأنه كان عالمًا فذاً وأصبح شيخ الجامع الأزهر، ولبث في منصبه هذا عشر سنوات وهكذا يسجل تاريخ الطب في الأزهر لأول مرة أن طبيبًا عالمًا أزهرياً قد ارتقى إلى منصب شيخ الإسلام.

وقد ترك أستاذ الطب الأزهري الذي أصبح شيخًا للأزهر مؤلفات طبية متعددة يذكر المؤرخون منها كتابه المسمى « القول الصريح في علم التشريح » وكتابه المسمى « القول الأقرب في علاج لسع العقرب » وهو مخطوط بدار الكتب المصرية، وقد جاء في مقدمته:

حمداً لمن تفضل علينا بالإيجاد وبعد، فهذه كلمات قليلة مشتملة علىفوائد جليلة، يحتوي علىمقدمة في وصف وكنية العقرب ، ومقصود في دفع السم، يذكر

فيها وصفات منها ما يحتوي الدارصيني الذي ينفع من لسع العقرب والنعناع والثوم المطبوخ بالسمن النافع في لسع الزنبور والنحل والحية.

عالجوا الحكمة واستشفوا بها وأنشدوا ما ضل منها في السِّير

واقرؤوا آداب من قبلكم ربما علَّم حيا من غبر

روائع ولفتات تدريسية راقية من كتبهم

مقتطفات مهذبة مختصرة من الكتاب الفريد ((**عيون الأنباء في "طبقات الأطباء"**)) مع تعليقات واجب أن أسطرها لنفسي ولكم:

المؤلف هو أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس، الخزرجي، موفق الدين، أبو العباس، المعروف بابن **أبي أُصَيْبِعَة.**

وموضوع الكتاب هو سير الأطباء عبر العصور والأقطار ، ولنتخيل أمة يصل بها الرقي الفكري وانتشار الطب واحترام العلم إلى أن تؤلف في سير الأطباء وتراجمهم.

مقتطفات من مقدمة الكتاب لتروا الجمال في اللغة وفي الأسلوب وفي التسلسل المنطقي للأفكار، والمزج بين العلم والمشاعر في إطار ديني فريد:

"الحمد للَّه ناشر الأمم بارئ النسم ومبرئ السقم ، مخرج الخلائق بلطف صنعه إلى الوجود من العدم ، مقدر الأدواء ومنزل الدواء بأتم الصنع وأتقن الحكم ، وأشهد أن لا إله إلا اللّه شهادة خالصة بوفاء الذمم ، مخلصة من موبقات الخطل والندم. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بجوامع الكلم ، المرسل إلى كافة العرب والعجم ، الذي أنار بلآلىء نور مبعثه حنادس الظلم ، وأباد بسيف معجزه من تجبر وظلم ، وقطع ببرهان دلالة نبوته داء الشرك وحسم صلى اللَّه عليه صلاة دائمة باقية ما لمعت البروق وهمعت الديم ، وعلىآله أولي الفضل والكرم وعلىأصحابه الذين جعلوا شريعته لهم أمم ، وعلىأزواجه أمهات المؤمنين المبرءات من الدنس وشرَّف وكرم.

وبعد فإنه لما كانت صناعة الطب من أشرف الصنائع وأربح البضائع وقد ورد تفصيلها في الكتب الإلهية والأوامر الشرعية ، حتى جعل علم الأبدان قريناً

لعلم الأديان. وقد قالت الحكماء أن المطالب نوعان خير ولذة ، وهـذان الشـيئان إنما يتم حصولهما للإنسان بوجود الصحة لأن اللذة المستفادة من هذه الدنيا والخير المرجو في الدار الأخرى لا يصل الواصل إليهما إلا بدوام صحته وقوة بنيته وذلك إنما يتم بالصناعة الطبية ، لأنها حافظة للصحة الموجودة ، ورادّة للصحة المفقودة" .

إلى أن قال:

" وأما هذا الكتاب الذي قصدت حينئـذ إلى تأليفـه فـإني جعلتـه منقسـماً إلى خمسة عشر باباً وسميته كتاب " عيون الأنباء فيطبقات الأطباء " . ومن اللّـه تعـالى أستمد التوفيق والمعونة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الباب الأول: في كيفية وجود صناعة الطب وأول حدوثها.

الباب الثاني: في " طبقات الأطباء " الذين ظهرت لهم أجزاء من صناعة الطب وكانوا المبتدئين بها.

الباب الرابع: في " طبقات الأطباء " اليونانيين الذين أذاع أبقراط فيهم صناعة الطب.

((وهنا لا يدفعه دينه علىترك اليونانيين الوثنيين وإهمال دورهم ، بل وفـاء للحق وعدم تعصب ولا غمط لدور ، أو نكران. بل كما يعلمنا القرآن اعدلوا هو أقرب للتقوى)).

الباب الخامس: في " طبقات الأطباء " الذين كانوا منذ زمان جالينوس وقريباً منه.

الباب السادس: في " طبقات الأطباء " الإسكندرانيين ومن كان في زمـنهم مـن الأطباء النصارى وغيرهم.

الباب السابع: في " طبقات الأطباء " الذين كـانوا في أول ظهـور الإسـلام مـن أطباء العرب.

الباب الثامن: في " طبقات الأطباء " السريانيين الـذين كـانوا في ابتـداء ظهـور دولة بني العباس .

الباب التاسع: في " طبقات الأطباء " النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره مـن اللسان اليوناني إلى اللسان العربي وذكر الذين نقلوا لهـم ((وهنـا يبـدأ في تقسـيم جغرافي للتيسير فلا يريد أن يترك شيئًا)) .

الباب العاشر: في "طبقات الأطباء" العراقيين وأطباء الجزيرة وديار بكر.

الباب الحادي عشر: في "طبقات الأطباء" الذين ظهروا في بلاد العجم.

الباب الثاني عشر: في "طبقات الأطباء" الذين كانوا من الهند.

الباب الثالث عشر: في "طبقات الأطباء" الذين ظهروا في بلاد المغرب وأقاموا بها .

الباب الرابع عشر: في "طبقات الأطباء" المشهورين من أطباء ديار مصر.

الباب الخامس عشر: في "طبقات الأطباء" المشهورين من أطباء الشام ((كما نرى شمول التقسيم وروعته وجودته وسهولته وحجم الجهد المنفق فيه)) .

إلا حبذا صحبة المكتب وأحبب بأيامه أحبب

وهناك كتاب رائع **للرازي** يوضح عنوانه تطور الطب وما يحف به من علوم وعنوانه "**أخلاق الطبيب**" .

فلم يكن الدين الحنيف ليدع الأمر لديهم تجارة بالصحة ، أو بحثًا علميًا فقط، بل كان إنسانية ورسالة صقلها الإسلام العظيم. ورسالة أخلاق الطبيب مخطوطة بدار الكتب المصرية.

وهناك مبحث للفاضل د.عماد الدين فضلي من مصر عن روائع ولفتات تدريسية عند الرازي ألخص بعضه، فهيا بنا إلى الأستاذ الرازي لنرى كيف كان يعلّم طلبته وماذا كان يعلمهم.

قال ابن النديم في الفهرست قال أبو الحسن الوراق: "جلس ودونه تلاميذه ودونهم تلاميذهم ودونهم آخرون ، وكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لأول من يلقاه منهم، فإن كان عنده علم وإلا تعداه إلى غيره فإن أصابوا وإلا تكلم الرازي في ذلك" .

إنه يدرس عمليًا فيضعهم أمام الحالة ليفكروا ويجتهدوا ، وهو بجوارهم يشرح الجديد الغامض.

ولنمض مع الرازي الأستاذ في منهج تعليمه فنراه يشجع طلبته ويرفع سقف طموحهم قائلاً:

"ليس يمنع من غُني في أي زمان كان، بأن يصير أفضل من أبوقراط ".

وينصحهم بدوام الترقي والطلب والبحث والإطلاع:

"الاستكثار من قراءة كتب الحكماء والإشراف على أسرارهم نافع لكل حكم عظيم الخطر".

ويحثهم على التخير بدلاً من حشو الدماغ بالغث من المعلومات فيقول: "العمر يقصر عن الوقوف على فعل كل نبات في الأرض فعليك بالأشهر مما أجمع عليه ودع الشاذ واقتصر على ما جربت".

ويضع المعلم القواعد لامتحان الأطباء في كتابه « **محنة الأطباء** » ويوجههم لأخلاقيات الطبيب الراقية ، فيقول في رسالة وجهها لتلميذه أبي بكر بن قارب الرازي حين دعاه أحد الأمراء في خراسان ليكون طبيبه الخاص:

"واعلم يا بني أنه ينبغي للطبيب أن يكون رفيقًا بالناس، حافظًا لغيبهم، كتومًا لأسرارهم لاسيما أسرار مخدومه، فإنه ربما يكون ببعض الناس من المرض ما يكتمه من أخص الناس به مثل أبيه وأمه وولده، وإنما يكتمونه خوصهم ويفشونه إلى الطبيب ضرورة، وإذا عالج من نسائه أو جواريه أو غلمانه أحدًا فيجب أن يحفظ طرفه، ولا يجاوز موضع العلة". فهنا ينبه لغض البصر وهو الشرع والأدب.

أما المادة العلمية التي يعلمها الرازي لطلبته، فمنها كتابه « **الفصول** » يقول عنه الرازي موضحًا الباعث على تأليفه:

"دعاني ما وجدت عليه فصول أبوقراط من الاختلاط وعدم النظام والغموض والتقصير عن ذكر جوامع الصناعة كلها، وما أعلمه من سهولة حفظ الفصول وعلقها بالنفوس، إلى أن أذكر جوامع الصناعة الطبية وجعلتها عن طريق الفصول ليكون مدخلاً إلى الصناعة وطريقًا للمتعلمين".

ثم كتابه « **المنصوري** » وهو مؤلف نظري مختصر ، يعرف المرض وسببه ثم يصف العلاج.

ثم كتاب « **الحاوي في الطب** » الذي يقول عنه.

"بقيت في عمل الجامع الكبير خمس عشر سنة أعمل الليل والنهار حتى ضعف بصري وحدث على فتح في عضل يدي".

ويقول عنه أيضاً: "الكتاب المرسوم بالجامع الذي لم يسبقني إليه أحد من أهل

المملكة ولا أحتذي فيه أحد بعد احتذائي وحذوي" .

إذا الله أحيـــا أمـــة لم يردهـــا إلى المـوت قهـار ولا متجـبر

رجـال الغـد المـأمول إنـا بحاجـة إلى قادة تـبني وشـعب يعمـر

لنقرأ معًا ما كان يقدمه الرازي لطلبته من تعليم طبي:

يقول في الصفحة الخامسة من الجزء الأول: من الحاوي شارحًا حالة تعرضت لحادث:

"سقط رجل عن دابته، فذهب حتى الخنصر والبنصر ونصف الوسطى من يديه، فلما علمت أنه سقط علىآخر الرقبة، علمت أن مخرج العصب الذي بعد الفقرة السابعة أصابها ورم في أول مخرجها، ولأنـي كنت أعلم من التشريح أن الجزء الأسفل من العصب النابت من العنق يصير إلى الإصبعين الخنصر والبنصر. ويتفرق في الجلد المحيط بهما وفي النصف من جلد الوسطى" .

ويقول أيضاً في الجزء الأول:

"سقط رجل عن دابة فصك صلبه فلما كان اليوم الثالث: ضعف صوته، وفي اليوم الرابع: انقطع البتة واسترخت رجلاه ولم تنل يديه آفة، ولا بطل نفسه ولا عصر أيضاً. وذلك واجب، لأن ما كان من النخاع أسفل العنق كان قد ورم فاسترخى لذلك العضل الذي بين الأضلاع فبقي التنفس، دون الصوت، لأن النفس يكون بالحجاب وبالست العضلات الفوقانية، وأما النفخة التي هي مادة الصوت فبطلت لأنها تكون بالعضل الذي فيما بين الأضلاع. فأراد الأطباء أن يضعوا علىرجليه أدوية لجهلهم، فمنعتهم وقصرت أنا الموضع الذي وقعت به السقطة، فلما سكن الورم الذي بالنخاع في اليوم السابع: عاد صوته واستوت رجلاه ولم تنل يديه آفة، لأن عصبها يجيئها من نخاع العن" .

هنا نراه يعلم الطب في كتابه علىشكل مشكلة وحلها ، كدرس عملي إكلينيكي يفهمه لنا تشريحيا وفسيولوجيا ويشرح الأخطاء العلاجية الشائعة ، فيعطيك رؤية شاملة للمرض.

والآن نأتي إلى **مؤلفات ابن سينا**، أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا- حيث عاش بعد الرازي بحوالي قرن من الزمان، وله قصائد (أراجيز) في الطب. فيصوغ المعلومة كنشيد رنان متناسق الكلم وعذب التراكيب.

لابن سينا سبع أراجيز في الطب هي:

١- أرجوزة في التشريح مطلعها:

الحمد لله على تهذيبي وعاصمي من أمم تهذي بي

٢- أرجوزة في تدبير الصحة مطلعها:

الحمد لله اللطيف الكافي الواحد الفرد الحكيم الشافي

٣ - أرجوزة في المجربات الطبية في خمس وثلاثين ومائة بيت مطلعها:

بدأت باسم الله في النظم الحسن اذكر ما جربته طول الزمن

٤- أرجوزة في الفصول التي فيها تناول الطعام مطلعها:

يقول راجي ربه ابن سينا ولم يزل بالله مستعينا

٥- أرجوزة في حجر الذخيرة وتسمى أيضاً أرجوزة في الباه مطلعها:

يا سائلي عن وجع في الوسط ونقطة تأتي له لم تخطى

٧- أما الأرجوزة السابعة أشهر الأراجيز وأطولها والمسماة بألفية ابن سينا في الطب ، وتحتوي على ألف وثلاثمائة وعشرين بيتا ، وموضوعها حفظ الصحة ومطلعها:

الطب حفظ صحة برء مرض ومن سبب بدن عنه عرض

ونشاهد كيف جمع ما يلزم معرفته ليكون المتعلم طبيبًا فاهمًا ، فوضع أقسامًا خمسة نتعامل معها حتى الآن: الأسباب (الإيتولوجي) وعلم المرض (الباثولوجيا)، والأعراض (عنه عرض)، والوقاية (حفظ الصحة) والعلاج (برء المرض).

وتلك الأراجيز التي تحول العلم الجاف إلى قالب مختصر ميسر للحفظ في

الذاكرة، وداخلها شرح يربط كل أمر بعلته وسببه مما يبني الفهم ويوسع المدارك ولا يبني جيلاً مقلدًا جامدًا.

ولبيان أهمية العلم النظري وجرعة المعلومات قبل التطبيق لم يكن يسمح لطلبته بحضور درسه إلا بعد أن يحفظوا أرجوزته.

وكتاب **«القانون»** لابن سينا مرتب بشكل مناسب مقارب للشكل الحديث.

يقول في أوله " رأيت أن أتكلم أولاً في الأمور العامة الكلية في كلا قسمي الطب أعني القسم النظري والقسم العملي، ثم بعد ذلك أتكلم في كليات أحكام قوى الأدوية المفردة ثم في جزئياتها، ثم بعد ذلك في الأمراض الواقعة بعضو ما ابتدئ أولاً بتشريح ذلك العضو ومنفعته. ثم إذا فرغت من تشريح ذلك العضو ابتدأت في قصر المواضيع بالدلالة على كيفية حفظ صحته. ثم دللت بالقول المطلق على كليات الأمراض وأسبابها وطرق الاستدلالات عليها وطرق معالجتها بالقول الكلي أيضاً. فإذا فرغت من هذه الأمور الكلية أقبلت على الأمراض الجزئية ثم أعطيت القانون الكلي في المعالجة ثم نزلت إلى المعالجات الجزئية بدواء مبسط أو مركب ورأيت أن أفرغ عن هذا الكتاب إلى كتاب أيضاً في الأمور الجزئية مختص بذكر الأمراض التي إذا وقعت لم تختص بعضو بعينه" .

* ولنا وقفة مع كتب أخرى لأجدادنا نلاحظ فيها ما قد ميز الكتب القديمة من شمول التخصصات وروعة الأسماء ، لأن لغتنا جميلة فيحببك العنوان في اللغة ويحببك في العلم نفسه ويشوقك له. وهو أمر غير موجود الآن إلا قليلا فمعظم المكتب عناوينها معناها جاف مباشر.

محاضرات في الأمر الفلاني أو المرجع في...أو مساعدات في...وقليل عناوينه شيقة مثل تسهيل رسم القلب.

ونقطة ثانية: لا يوجد أمة لها تاريخ به تلك الكثرة من المخطوطات الرائعة.

وانظر إلى كتاب رائع لا يتحدث في الطب نفسه، بل فيما حف به من مصطلحات وأمر.

وهي مخطوطة عربية في جامعة كاليفورنيا – (Ar. ٥٨)

قسم المؤلف الكتاب إلى ثلاثة فنون: الأول: في ماهيات الأشياء التي تتعلق بكليات الطب ورسومها التعريفية ؛ والثاني: في كيفيات الأعمال والصناعات المتعلقة بأصول الطب ؛ والفن الثالث: في كميات أقسام الأمور المنقسمة.

وانظر رقة البداية:

"الحمد لله على أياديه المتواترة وصنايعه المتقاطرة، وبعد فقد قال الإمام العالم العامل النسيب مسعود بن محمد السجزي الطبيب: هذا كتاب ألفته في تعريف الألفاظ المبهمة التي أوردها الأطباء في مصنفاتهم وتبين أسماء العلل والاصطلاحات التي أثبتوها في مؤلفاتهم وسميته حقائق أسرار الطب"، وكنا سباقين في الرفق بالحيوان والتعمق في الطب البيطري.

فألف ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن إسحاق الخطلي (٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) **كتاب «الخيل والبيطرة »**.

البداية: "كتاب الفروسية والحث على الجهاد في سبيل الله تعالى من رباط الخيل، أما بعد، فإني لم أزل بعدما وهب الله تعالى من المعرفة بآلات الفروسية".

المصدر: إيرلندا:

هذا من أقدم كتب البيطرة، كتاب قيم في علاج الخيل. يبدأ الكتاب بمقدمة طويلة ثم الباب الأول: في الحجور، وينتهي بباب ابتداء الركوب وتعليم الفروسية.

وفي كتاب قيم سلس نرى رائعة اسمها "**الدرة المنتخبة في الأدوية المجربة**" نصر بن نصر.

وانظر لطف البداية وتسهيله على المتعلم:

"الحمد لله الذي جعل نوع الإنسان أكمل الأنواع وميزه بالنطق والإدراك والاختراع، وجعل صحة بدنه وعقله سبباً لوجود الانتفاع، وبعد فهذا مؤلف لطيف لا يجهله الإنسان ولا يحتاج في معرفته إلى أعوان، قد جمع ما تفرق في غيره من التصانيف".

* وهناك كتاب يبين أنهم لم يكونوا يتعاملون مع الحجامة كشفاء جامع مانع،

بل يفهمون أن لها وقتًا وكيفية وحالات معينة "**الدواء النافع في بيان ما في الحجامة من المضار والمنافع**" محمد بن أحمد بن يحيى بن جار الله (١١٨١هـ/ ١٧٦٧م).

أورد المصنف في كتابه الآثار الواردة في الفصد والحجامة، ثم بين مواضع الفصد والحجامة من الأبدان وأحب أوقاتها من الأزمان ومضارها ومنافعها وآلاتها وكيفياتها والأوقات التي يجب أن يجتنب فيها.

في كل واحدة منهن نابلة من الطبائع تغذو من نفس واعيها

لعل في أمة الإسلام نابتة تجلو لحاضرها مرآة ماضيها

* "**الذخيرة في علم الطب**" ثابت بن قرة، أبو الحسن الحراني الصابي (٢٨٨هـ/ ٩٠١م).

"**الرحمة في الطب والحكمة**" الصنوبري، محمد مهدي بن علي بن إبراهيم المهداوي اليمني الهندي (٨١٥هـ/ ١٤١٢م).

البداية:

"الحمد لله الذي اخترع جميع الموجودات، وأظهر إلى الوجود الكائنات وأبدع حكمته في الطبائع الفاعلات والمفتعلات. وبعد، هذا كتاب مختصر وضعته في علم الطب وهذبت أعراضه وقربت أغراضه وجعلته جامعًا في الاختصار ليروق بإيجازه القلوب والأبصار ويسهل تناوله للطالب":

إذا الله أحيا أمة لم يردها إلى الموت قهار ولا متجبر

رجال الغد المأمول إنا بحاجة إلى قادة تبني وشعب يعمر

"**الزين في علل العين**" (الكفاية في أمراض العين) أبو سهل معمر بن عمر بن الحجاج.

البداية:

"فصل في تشريح العين ومنفعة أجزائها ومزاجاتها. العين عضو آلي حساس باصر مؤلف من سبع طبقات وثلاث رطوبات متجاورة".

* وكتاب من أهم الكتب هو « **شرح تشريح القانون لابن سينا** » ابن

النفيس، علاء الدين أبو الحسن علي بن أبي الحزم القَرْشي (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م).

* "**شرح القانونجه للجغميني**" المؤلف مجهول. الناسخ: محمد بن محمد الطبيب.

البداية:

"سبحانك اللهم يا مودع الأرواح في الأبدان. أما بعد، فيقول الفقير. إن العلوم لما كانت منتشرة الفنون متكثرة الشجون، وكان علم الطب من بينها متميز بعلو الشأن وجلالة المكان".

النهاية:

".. ثم نقول إن المادة كانت في النصف الأعلى فالمسهل أولى وإن كانت في النصف الأسفل فالحقنة أولى، وههنا تفصيل لا يليق بهذا المختصر. وليكن هذا القدر من كلامنا المختصر في الأصول الكلية لصناعة الطب كافياً. تمت معاني كليات القانونجه في اليوم الخامس: من جمادى سنة ٩١٥هـ".

المصدر: — إيرلندا.

المراجع: فهرس المخطوطات الطبية المصورة ص١١٠ — مجلة معهد المخطوطات العربية.

وهذا الكتاب شرح لمختصر انتخبه محمود الجغميني من القانون لابن سينا وسماه القانونجه.

"**شرح كليات القانون**" المؤلف: القطب المصري، إبراهيم بن علىبن محمد السُلمي (٦١٨هـ/ ١٢٢١م).

وهو شرح لقانون ابن سينا يبدأ بقول: "إن الطب علم يعرف به أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة لتحفظ الصحة حاصلة وتسترد زائلة. التفسير: قال مولانا إن الطب في لغة العرب الحذق وكذلك يقال لكل حاذق طبيب".

وهكذا يبدأ بالمتن ثم يتبعه بالتفسير.

* وانظر لطف العنوان وسجعه الرنان "**شفاء الأسقام ودواء الآلام**" حاجي

باشا، حسام الدين خضر بن علي بن مروان بن علي الخطاب الأيديني (٨٢٠هـ/ ١٤١٧م).

البداية:

" أما بعد، فيقول: خضر بن علي بن الخطاب فلما رأيت أن علم الطب أجل المفاخر والسعادات وأجل المآثر والصناعات. وسميته بشفاء الأسقام ودواء الآلام ورتبته على أربع مقالات".

قسم المؤلف كتابه إلى أربع مقالات الأولى: في كليات جزئي الطب (علمية وعملية) والثانية في الأغذية والأشربة والأدوية المفردة والمركبة. والثالثة: في الأمراض المختصة بعضو عضو من الرأس إلى القدم. والرابعة في الأمراض العامة.

"**الطب المنصوري**" الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا (٣١٣هـ/ ٩٢٥م).

البداية: "قال محمد بن زكريا الرازي: إني جامع في كتابي هذا جملاً وجوامع ونكات وعيوناً من صناعة الطب ومتحرٍ في ذلك".

المصدر: – إيرلندا.

قسم المؤلف كتابه إلى عشر مقالات وكل مقال منه إلى عدة فصول:

المقالة الأولى: وفيها ستة وعشرون فصلاً أولها جمل وجوامع احتيج إلى تقديمها في صدر هذه المقالة. وآخرها في هيئة الرحم والقلب المقالة التاسعة وهي أربعة وتسعون فصلاً الأول: في الصداع والشقيقة.

"**الطب النبوي**" الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الشافعي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م).

البداية: "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أعطى كل نفس خلقها وهداها. وبعد، فإن الواجب على كل مسلم أن يتقرب إلى الله تعالى بكل ما يمكنه من القربات. وقد استخرت الله تعالى في جمع شيء من الأحاديث النبوية والآثار الطبيعية ما الحاجة إليه ضرورية في حفظ الصحة".

الكتاب مطبوع عدة طبعات، قسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة فنون ؛ الأول: في

قواعد الطب علمه وعمله، الثاني، في الأدوية والأغذية، الثالث: في علاج المرضى.

وفي طب العيون نرى مرة ثانية مرجعا قبل أن تنشأ أقسام خاصة لطب العيون في الغرب بقرون.

" **العمدة الكحلية في الأمراض البصرية** " المصري، صدقة بن إبراهيم الحنفي الشاذلي (٥٥٠هـ/ ١١٥٥م).

البداية: " بحمد الله نستفتح وبعون الله نستنجح" .

المراجع: فهرس المخطوطات الطبية المصورة ص١٣٦ – معجم المؤلفين ١/ ٨٣٨ .

قسم المؤلف كتابه إلى خمسة أقسام: الأول: في منفعة علم العين وتشريحها، والثاني: في قواعد طبية وكحلية، والثالث: في الأمراض الظاهرة للحس، والرابع: في ما يعلم من الأمراض الخفية، والخامس: في أدوية مسهلة ومعاجين وأكحال للعلاج.

" **العين المبصرة في اختصار التذكرة** " اختصر كتاب السويدي. فهو يريد أن يتوفر لك كل ما تريد لو ليس لديك وقت ، وفي نفس الوقت ينقح المصدر.

البداية: " توكلت على الله، الحمد لله الذي أصح أبدان عباده بالحكمة. أما بعد، فلما كانت الحكمة التي هي أداة صلاح الإنسان وقلاد رتاج صحة الأبدان، وهي سبب إصلاح المعاش والمعاد وبها يتم النظام" .

وهو مختصر لكتاب (التذكرة المفيدة والذخيرة الحميدة) للسويدي وهي مطبوعة. قال المؤلف بأنه حذف منه أكثر العقاقير المتعسرة الوجود والأدوية التي حرمها الرب المعبود.

وقسم كتابه إلى ثلاثين باباً. الأول: فيما يتعلق بالرأس. والثاني: في العين. والثالث: في الأذن. والرابع: في الأنف. والخامس: في الفم. والسادس: في الحلق. والسابع: في اللسان. والثامن: في الربو. والتاسع: في أدوية القلب. والعاشر في أمراض الثدي.

* وهنا شيء بديع، مبادرة في كتابة أمر قبل مجلات طب نفسك وكتيبات الصحة العامة.

« **غنية اللبيب فيما يستعمل عند غيبة الطبيب** » ابن الأكفاني، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري (٧٤٩هـ / ١٣٤٨م).

البداية: "يقول العبد الفقير إلى الله تعالى الواحد الباري محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري ـ انظر التواضع وذكر الله وقلما نراهما في مؤلفات اليوم ـ الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم. وبعد، فهذه رسالة لطيفة الحجم غزيرة العلم على ما لا بد من معرفته من علم الطب في حفظ الصحة والتحرز من الأمراض وتدبيرها".

المصدر: جامعة كاليفورنيا.

"**كتاب الأقرباذين**" (مختصر في الأدوية المركبة) القلانسي، بدر الدين محمد بن بهرام بن محمد السمرقندي(ح ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م).

الناسخ: داود بن شمس بن داود بن حسن الشيباني.

عدد الأوراق: ١٢٧ - القياس: سم...- ١٨ سطراً.

البداية: "قال الإمام.. محمد بن بهرام بن محمد القلانسي.. أما بعد، فقد دعاني إلى أن أجمع هذا المختصر أني رأيت جلّ القراباذينات مشحونة من نسخ الأدوية المركبة التي يندر وقوع الحاجة إليها ومع ذلك يعسر اتخاذها ويعز وجود مفرداتها ولم يكن ذكر أبدال الأدوية وذكر الأوزان والمكاييل..!!!! فجمعت هذا المختصر في الأدوية المركبة التي تمس الحاجة إليها مع سهولة وجود مفرداتها وسرعة اتخاذها".

* وفي علم الأغذية وهو تخصص مستقل الآن، بل صار له كليات مستقلة.

« **كتاب في الأغذية منافعها وطبائعها** » السمرقندي، نجيب الدين أبو حامد محمد بن علي بن عمر (٦١٩هـ/ ١٢٢٢م).

يذكر الأنواع الستة من الأغذية التي بها غذاء الإنسان وهي: الحبوب، واللحمان، فالألبان، والبيض، والثمار، والبقول. ثم يتكلم عن كل واحدة منها. ثم يتكلم عن التوابل وسبب استخدامها؛ ثم عن أنواع المياه وصفاتها ومنافعها

وأشربة بعض المطعومات كشراب البنفسج والليمون والتمر الهندي وغيرها.

« **كتاب في علاج الأطفال** » الرقم: ٢١١ / ٦ المؤلف: مجهول.

البداية: "الحمد لله خالق الأفلاك. أن أصنف لك شيئًا في علاج الأطفال وهذا أمر لم يتكلم فيه أحد من الأوائل كلاماً شافياً".

المصدر: كتابخانه مجلس شوراي ملي - إيران .

رقم المصدر: (٦٤٠١).

ملاحظات: ينقسم الكتاب إلى ستين باباً الأول: في الجرب؛ والثاني: في العلة التي تعرف برؤوس الإبر؛ الباب الستون في جملة من تدبير الطفل حين يولد.

« **كفاية الأريب عن مشاورة الطبيب** » سري الدين أحمد بن محمد الحنفي ابن الصائغ القوصوني (٩٩١هـ/ ١٥٨٣م).

« **كنز الطبيب وبغية السيد الحبيب** »، الموصلي، كمال الدين محمود بن الحسن (٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م).

البداية: قال الحكيم الفاضل العالم الورع كمال الدين محمود: "وبعد فإني مودع في هذه المقالة نكت الأدوية الغريبة، وعيون الصفات المختارة العجيبة، بحيث يسهل بها العمل، ويبلغ بها إن شاء الله تعالى الأمل، في أمراض مخصوصة أذكر بعض علاماتها.

« **النزهة الزهية في أحكام الحمام الشرعية والطبية**»، مثل حمامات الساونا بالبخار ويحدث فيها تكشف.

المؤلف: المناوي، زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي القاهري الشافعي (١٠٣١هـ/ ١٦٢١م).

البداية: "الله أحمد على ما منحني من تعليم الصناعة".

الكتاب مطبوع؛ قسم المؤلف كتابه إلى مقدمة وكتابين وخاتمة المقدمة في معنى الحمام لغة وعرفاً؛ والكتاب الأول: في أحكام الحمام الشرعية وفيه سبعة أبواب أولها في حكم دخوله شرعاً؛ والكتاب الثاني: في أحكام الحمام الطبية وفيه سبعة

أبواب أولها فيما ينبغي أن يكون عليه الحمام من الهيئة والشكل والكيفية؛ والخاتمة في حكم الاستحمام بالماء الحار والبارد ومنافعه ومضاره.

« **النزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة**» يعني دعم عقلي ونفسي.

المؤلف: الأنطاكي، داود بن عمر (١٠٠٨هـ/ ١٦٠٠م).

البداية: " سبحان من سجدت له جباه الأجرام صاغرة وامتزجت بحكمته، فلما كان تنافس النفوس الكاملة وغاية مرمى مرام العقول الفاضلة" .

قال المؤلف في مقدمته: " جعلت فيها الطب مقصوداً بالذات، ثم ضممت إليه كل علم يحتاج إليه الطبيب " .

" **نكت مستحسنة** " الرسولي، الملك المجاهد علي بن داود بن يوسف (٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م).

البداية " نكت مستحسنة. وجدت تعاليق بخط السلطان الملك المؤيد بالله المجاهد قدس الله سرّه، وأما خدمة السايس لها، أعني الدواب كافة والخيل خاصة وقد علمت أمورهم وما يفعلون من خدمتهم بالنظافة العظيمة" .

الموضوع: (بيطرة/ خيل).

المصدر: معهد ويلكم –لندن– إنجلترا رقم المصدر: (Or ١٠٧).

تكلم المؤلف في كتابه عن نظافة الخيل وشربها؛ ثم بعض أمراضها وعلاجاتها مثل انشقاق حافرها؛ والانتفاخ وبعض الحقن المستخدمة في علاجها.

« **نهاية القصد في صناعة الفصد**» ابن الأكفاني، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن ساعد الأنصاري السنجاري (٧٤٩هـ / ١٣٤٨م).

البداية: " الحمد لله منور قلوب المسلمين ذوي اللباب، وملهمهم الصواب وبعد فهذا مختصر يشتمل علىعلم الفصد وعمله وما يتصل به. " فلم يكن الأمر دجلاً ولا مسلمًا به بلا بحث، بل تجاربًا ودراسات.

الفهرس العام للمخطوطات (تونس) ص ٤١٨ – .

* وانظر الاسم الجميل " «**نور العيون وجامع الفنون** » الكحال، أبو زكريا

يحيى بن أبي الرجاء (ح٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م).

"أما بعد، فلما تأملت خلقة الإنسان، وما ركب الله تعالى فيه من الفضل والإحسان حيث نور في سماء جسمه كوكبين لامعين، جعلهما حارساً للأعضاء، وحياهما بالحياء والإغضاء، وخص بكل عضوٍ داء، وأودع مفتاح المعالجة في صدور العلماء".

الموضوع: طب (عيون)، ويحتوي على رسومات تشريحية وأدوات.

« ما لا يسع الطبيب جهله »، انظر عنصر التشويق.

المؤلف: ابن الكتبي، نصير الدين أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل بن إلياس الشافعي البغدادي (٧٥٤ هـ / ١٣٥٣م).

البداية: "الحمد لله الذي لا تكتنف حقيقته حرفة العلوم والأفهام، ولا يحيط بكنه ذاته العقول والأوهام، هو قسمين، يشتمل الأول: على مفردات الأدوية والأغذية، والآخر في المركب منهما. وسميته بما لا يسع الطبيب جهله."

طب (أدوية وأغذية).

المصدر: معهد ويلكم – لندن – إنجلترا.

اختصر المؤلف في هذا الكتاب كتاب (الجامع لقوى الأدوية) لابن البيطار وجعله في قسمين، الأول: في الأدوية والأغذية المفردة، والثاني: في المركبة منها وقدم لكل قسم بمقدمة.

في كل واحدة منهن نابلة — من الطبائع تغذو من نفس

لعل في أمة الإسلام نابتة — تجلو لحاضرها مرآة ماضيها

"**المغني في شرح الموجز**" المغني يعني يغنيك عن السؤال بعده والاستفسار وطلب الشرح فهو عنوان يغريك باقتناء الكتاب.

المؤلف: الكازروني، سديد الدين السديدي (ح٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م).

البداية: "الحمد لله الذي أبدع بقدرته الجواهر العقلية مجردة، واخترع منها أجراماً فلكية منضدة، وأحدث من اختلاف أوضاعها. أما بعد، فلما كان احتياج عموم

الناس إلى الأحكام الطبية والقواعد العلاجية. وسميته بكتاب المغني في شرح الموجز لأنه يغني الطبيب المعالج عن مطالعة أكثر مواضع تلك الكتب والله ولي التوفيق".

النهاية: "أقول وأنا سديد الكازروني هذا آخر شرح الموجز وقد جمعت فيه خلاصة كلام الحكماء الأولين والآخرين".

طب. المصدر: جامعة كاليفورنيا – لوس أنجلوس. رقم المصدر: (AR . ٣٧).

معجم المطبوعات لسركيس، والكتاب مطبوع في الهند سنة ١٢٤٩هـ.

رتب الشارح كتابه على كتاب الأصل (الموجز) على أربعة فنون: الأول: في الأمور الطبيعية والأمور غير الطبيعية وكيفية حفظ الصحة وإزالة المرض؛ الثاني: في الأدوية والأغذية؛ الثالث: في الأمراض المختصة؛ والرابع: فيما لا يختص بعضو دون آخر.

"**مفرح النفس**": انظر لعناوين الآباء وكيف يحببونك في العلم كي لا تغرق في الجهل.

المؤلف: شرف الدين محمد بن عمر بن أبي الفتوح البغدادي المارديني.

البداية: "بعد البسملة. أما بعد، حمدا لله خالق الداء والدواء والمنقذ من الأعراض والأدواء بمفرحات النجاة والشفاء. ولما سألني من لا يسعني رد سؤاله، أن أجمع في ذلك كتاباً، جمعت هذا الكتاب وجعلته حاوياً لأكثر المفرحات للنفس الواصلة إليها من جميع المحسوسات".

« **الأعلام** » للزركلي ٤/ ١٨٠ –

قسم المؤلف الكتاب إلى عشرة أبواب، الأول: في ذكر النفس وبعض أحوالها، والثاني: في اللذة المكتسبة للنفس عن طريق حاسية السمع، ثم البصر، ثم الشم، فالذوق، ثم اللمس وغيرها، والباب السابع: في اللذة المكتسبة من طريق الواردات على البدن من الأغذية، والتاسع في اللذة من حركات البدن، والعاشر في اللذة المكتسبة من جهة الحواس الباطنة.

كتاب « **مسالك** » صدقة بن موسى الإسرائيلي (١٥٩٣م). – إيرلندا.

مقالة في أوجاع الحصاة (مقالة في أسباب تولد الحصاة):

وقد قسم المؤلف مقالته إلى ثمانية أبواب: الأول: في الجزء العلمي الواجب

ذكره، والثاني: في شرح العلامات التي يفرق بها بين وجع الكلي والمثانة، والثالث: في علامات الأورام الحارة، والرابع: في علامات حصاة المثانة، والخامس: في مداواة حصى الكلى، والسادس: في الطرق في مداواة حصاة المثانة، والسابع: في السبيل والاحتراص من تولد الحصى في الكلى والمثانة، والثامن: في أنواع الحقن المحتاج إليها في مداواة حصاة الكلى والمثانة.

« المقالة المحسنية في حفظ الصحة البدنية ».

يعني هو كتاب ثقافي للعامة عن الصحة وليس للمتخصصين فانظر الجو الثقافي في المجتمع من مئات السنين.

المؤلف: ابن البرقماني، فاضل الرشيد بن أبي الحسن الإسرائيلي الطبيب السكندري (ح٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م).

البداية: "بسم الله الرحمن الرحيم قال الشهيد فاضل بن أبي الحسن. لما كانت الصحة سبباً لاستقامة حال الإنسان في دينه ودنياه"ـ، يعني يعطيك الحافز - وسميتها المقالة المحسنية في حفظ الصحة البدنية".

وفي النهاية قال المؤلف "هذا ما ضمنه هذه المقالة من الفوائد في حفظ الصحة. حسبنا الله ونعم الوكيل"، انظر معية الله في الخاتمة.

إيران. رقم المصدر: (٦٤٠١).

المراجع: فهرس مخطوطات الطب الإسلامي (تركيا) ص١٨ —.

ألف المصنف كتابه لنائب السلطنة بالإسكندرية المحسني الناصري.

قسم كتابه إلى عشرة فصول الأول: في ماهية الصحة وأقسامها؛ الثاني: في موضوع الصحة التي يراد حفظه؛ والعاشر يشتمل علىأمور ليست بضرورية ولا ضارة. يعني يعرفك ما هو الواجب وما هو العادي حيث يزيل أوهام تعلق الناس ببعض أمور ظنها أنها تجلب الصحة.

« منتخب الحاوي » وله أهمية خاصة في اختصار كل تلك المجلدات لكي يراجعها من أنهى الأصل ومن ليس له دأب.

المؤلف: القرشي، أبو الحسن علي بن محمد.

هذا الكتاب منتخب من كتاب الحاوي للرازي (٣١٣هـ/ ٩٢٥م) وفي ص٢٤ قصيدة في الطب مطلعها:

يا من بات ساهراً من الألم لما يذوق من عناه لم ينم

فانظر المزج بين العقل والنفس، فيوقظ حواسك ويمتعها وأنت تتعلم ويذكر بعض الأبيات في بعض النباتات.

* وفي الطب السموم وهو الآن فرع مستقل في الطب **«المنقذ من الهلكة في دفع مضار السموم المهلكة »**.

المؤلف: ابن المبارك، الحسين بن أبي ثعلب الطبيب (ح٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م).

البداية: "الحمد لله الواحد بلا كيفية تقع بها الإحاطة" ـ عقيدة أهل السنة ـ النهاية: "من عضه النمر وضربه بأنيابه ومخلبه وعلاج ذلك". "معجم المؤلفين" ١/ ٦٠٥.

رتبه المؤلف على ثلاث مقالات، انظر رقي التقسيم:

الأولى في علامات السمائم المجهولة المعمولة في كافة الأشياء المستعملة وفيه ثلاثون باباً.

والمقالة الثانية: في العلامات الدالة على من سقي شيئًا من السمائم المفردة البسيطة التي من الحيوانات ومن النبات والمعادن.

والمقالة الثالثة: في ذكر الحيوانات المسمومة من الأفاعي والثعابين والحيات والعقارب وغيرها.

«الكتاب المستعيني » ليوسف ابن إسحاق.

أول كتاب مجدول في الأدوية في الأندلس. وكتب عنه الدكتور أمادور دياث جارسيا من الأندلس إسبانيا حاليًا.

إن "الكتاب المستعيني" يمثل أول تطبيق لطريقة الجداول في الغرب العربي وفي تأليف طبي.

كانت هذه الطريقة قد استعملت سابقًا في المشرق العربي. وهذا الكتاب هو

التأليف الوحيد من مؤلفات يوسف بن إسحاق الذي وصل إلينا، ويتكون من تلخيص جامع حقق فيه المؤلف مشروعًا طموحًا، فقد جمع كل ما كتبه السابقون عن الأدوية المفردة مع ترتيبه وعرضه بصيغة واضحة مفهومة.

أما مؤلفه فهو يونس(أو يوسف) بن إسحاق بن بكلارش، من أكابر علماء الأندلس في صناعة الطب. أما المعلومات الموجودة عنه فقليلة جدًا، فذكر حاجي خليفة في كتابه « كشف الظنون »: «المستعيني في الطب فقط ».

أما ابن أبي أصيبعة في «كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء» فقد قال عنه:

"من أكابر علماء الأندلس في صناعة الطب وله خبرة واعتناء بالغ بالأدوية المفردة. له من الكتب كتاب المجدولة في الأدوية المفردة وضعه مجدولاً وألفه للمستعين بالله أبي جعفر بن المؤتمن بالله بن هود" .

وله كتاب آخر بعنوان «رسالة التبيين والترتيب » لا يزال مفقودًا ولا توجد منه أية نسخة. وقد رتب المؤلف في هذه الرسالة التي يذكرها في مقدمة «المستعيني»، الأغذية وتكلم فيها عن القوى الأربع ؛ الجاذبة والحاصرة والهاضمة والدافعة، وأفعالها بأعضاء البدن المختلفة.

أما نسخ « المستعيني » المخطوطة الموجودة الآن فهي قليلة ولا يعرف منها إلا ثلاث في المكتبات الأوروبية ونسخة أخرى في الخزانة العامة في الرباط.

والمخطوطة رقم ٥٥٠٩ المحفوظة في المكتبة الوطنية في مدريد (إسبانيا)، هي نسخة مكتوبة في مدينة طليطلة، وتتكون من ١٤٠ صفحة مكتوبة بخط مغربي جميل.

ويتألف «الكتاب المستعيني » من قسمين: مقدمة طويلة حول نظريات جالينوس، وقائمة تحتوي علىأكثر من ٧٥٠ مادة طبية نباتية وحيوانية وجمادية. وبعد المقدمة نجد في كل صفحة جدولاً يحتوي علىستة أدوية مفردة، والنص العربي ينقسم إلى خمسة أعمدة وهي:

١) أسماء الأدوية المفردة.

٢) الطباع والدرج.

٣) تفسيرها في اختلاف اللغات.

٤) الأبدال منها.

٥) منافعها وخواصها ووجوه استعمالها. (ويوجد هذا القسم الأخير في الصفحات اليسرى).

ولكل هذه الأقسام أهمية كبيرة للباحثين في ميدان الطب العربي وخاصة القسم الخامس.

أما العامود الثالث: الخاص بتفسير أسماء الأدوية باختلاف اللغات فهو مهم جدًا من الناحية اللغوية فإن المؤلف يقدم أسماء الأدوية المفردة في ثماني لغات، كل من اللغات السريانية والفارسية واليونانية والعربية والعجمية الرومية والعجمية العامية، ويميز المؤلف أحيانًا بين أعجمية سرقسطة وأعجمية الأندلس التي كانت لغة العامة في جنوب الجزيرة الإيبرية.

وعدد المواد الموجودة في مخطوطة مدريد هو ٦٦٦ مادة بمعدل ست أو خمس أو أحيانًا أربع مواد في كل صفحة، بالإضافة إلى المواد التي وجدت في بعض الصفحات المفقودة.

فلنسمع كلمات المؤلف بالنسبة إلى هذا الترتيب الجدول، قال المؤلف:

"وسلكت فيه طريقة المتقدمين، وذلك أنهم ذكروا أن التأليف لا يتم حتى يتضمن ثلاث خصال إحداها: جمع ما افترق والثانية: اختصار مطول والثالثة: إيضاح مشكل.

وكتابي هذا قد جمع هذه الثلاث الخصال وذلك أني لم أر قط كتابًا لمن تقدم قبلي من كتب الأدوية المفردة جمع ما جمعته في هذا الكتاب لأني جعلت المفرد وطبعه، وفي أي هو في الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة « Physical state».

ويمكننا ضبط تاريخ حياة مؤلفنا في النصف الثاني: من القرن الحادي عشر الميلادي، وأوائل القرن الثاني عشر الميلادي. أما مكان موته فلا نعرفه بالضبط.

إن كثرة المصادر والمراجع التي يذكرها تشير إلى أنه كان عالمًا واسع المعرفة، وأن له مكتبة كبيرة. ونحن نجد مثل هذه المكتبة كمكتبة أبي جعفر بن عباس وزير الملك زهير في الأندلس، الذي توصل إلى جمع أربعمائة ألف كتاب مجلد وتام،

علاوة على(دفاتر) وأوراق مفردة لا تعد.

ويعطي في كتابه تعليمات لتعديل المفعول الضار لبعض الأدوية أو لإصلاح طعمها الكريه أو لمنع القيء أو لإطالة أفعالها أو تأخيرها.

فمثلاً القول في قوى الأدوية المسهلة بواسطة خواص بعض الأدوية أو أثرها، كيفية إعطاء المسهلات وقواعده حسب الفصول وتأثير العمل والحركة فيه والوقت المناسب لإعطائها وعلاقة ذلك بالطعام والنوم، إلخ.

أُعدت الراحة الكبرى لمن تعبا   وفاز بالحق من لم يألُهُ طلبا

* لننظر معًا عنوان الكتاب « **أبدال الأدوية** » يعني يتحدث عن «Alternative or Substitutes» .

المؤلف: الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا.

يعني البدائل فقط لترى حجم العمق العلمي فلم يكن الأمر وصفة مجربة، بل كان معرفة لما يفيد وما يصلح مكانه بنفس التأثير المرجو من الدواء، ويحل لك المشكلة ويعطيك البديل لكي تتنوع الخيارات في البداية يقول:

" **بسم الله الرحمن الرحيم**

قال الرازي القول في الأبدال بحسب ما أرى جزء من أجزاء الطب العظام.

تستحق أن تخص وتفرد في كتاب والغرض المقصود به إليه عرض نافع للطبيب في أمثال هذه المواضع أبدال تنوب عما فقده فيها" .

النهاية: " وقد ذكرنا الكثير مما حضرنا من جمل هذه الصناعة وجوامعه. بما فيه كفاية وبلاغ والشكر لله كثيراً كما هو أهله ومستحقه. تمت المقالة في الأبدال. وكتب من نسخه أبي يعقوب بن نسطاس المتطبب" .

المصدر: يوسف آغا – آيا صوفيا – استنبول، رقم المصدر (٣٧٢٥).

* كتاب آخر « **أحكام الأدوية القلبية** » ابن سينا، شرف الملك الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله.

الناسخ: السيد مصطفى الصفي المتطبب.

تاريخ النسخ: (محرم ١١١١هـ/ يوليو ١٦٩٩م) في القسطنطينية.

في النهاية يقول: " .. فهذا ما حضرنا في الكلام في الأدوية القلبية علىأقصر ما يمكن من الاختصار. وقد حان لنا أن نتمم هذه المقالة حامدين الواهب لقوة العقل علىتتميمها ومصلين علىأنبيائه ورسله أجمعين.

المصدر: إيرلندا.

المراجع: فهرس المخطوطات الطبية المصورة ص٩ – معجم المؤلفين ١/ ٦١٨ – الأعلام للزركلي ٢/ ٢٤١ مجلة معهد المخطوطات العربية ٥/ ٢٦١ –.

يعني هو كتاب في الفارماكولجي المتخصص مختصر للمراجعة السريعة ، كما نشتري كتب الجيب الطبية اليوم.

بمناهج القرآن نبنى عزنا وبه صروح المكرمات نشيدُ

* كتاب آخر « **أدوية الباءة** » قيسوني زاده، رئيس الأطباء بدر الدين محمود ابن محمد المصري ثم القسطنطيني الرومي (٩٧٦هـ / ١٥٦٨م).

تاريخ النسخ: غرة جمادى الأولى:

يعني متخصص في الضعف الجنسي فقط. و هو الآن تخصص مستقل.فلتر الروعة في التقسيم.

البداية: " الحمد لله وكفى وسلامي علىعباده الذين اصطفى وبعد فهذه تذكرة مباركة إن شاء الله تعالى في أسباب ضعف الباءة وعلامة كل نوع من أنواع الضعف وعلاجه " .

دار الكتب الوطنية – تونس.

* كتاب آخر « **الأدوية المأمونة المألوفة** » يعني هو يطمئنك أنه سيسرد ما يعتبر Safe and common.

المؤلف: مجهول.

البداية: " ومما نقلته مقالة ألفها أبو بكر محمد بن زكريا الرازي. الأهليلج الأملج البريارس، الرواند، الكثيرا. الحشائش المألوفة " .

المصدر: دار الكتب الوطنية – تونس.

ملاحظات: خط مغربي، الرسالة غير واضحة. وهي رسالة منقولة من مقالة ألفها أبو بكر الرازي؛ وفيها بعض المعاجين مثل معجون الورد ومعجون البنفسج ومعجون النعناع ومعجون التفاح.

* « **الأدوية المفردة** » يعني الأشياء التي هي غير مخلوطة ولا تحتاج متخصصا لتركيبها Non combined.

المؤلف: ابن سيد الناس.

البداية: " هذا تأليف الشيخ الفاضل رئيس الرحلة في علوم الطب والحكمة والتشريح والهيئة الشهير بابن سيد الناس التمس منه بعض الأفاضل وهو الشيخ أبو جعفر الهمداني وضع كتاب في الأدوية المفردة " .

دار الكتب الوطنية – تونس.

" **أرجوزة (الفوائد والمنافع)** " المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مسعود ابن عمر بن موسى.

البداية: " الحمد لله القديم الباقي رب العباد وعلىالإطلاق أحمده وهو أهل الحمد والفضل والكرم ثم المجد " .

النهاية: " وكل قرحة خبيثة إذا حملته لها نفي عنها الأذى " .

هنا الروعة أنه يجعل العلم علىشكل نشيد ينشد، وهو يريك جمال التفكير وجمال اللغة ويحببك في العلم ويسهل عليك الحفظ. والآن في جامعاتنا تعيينا مسألة كيف تستحضر الكم الهائل من المعلومات، ويضعون لوحات بها أمور لتنبه من نسي على الحوائط.

بمناهج القرآن نبني عزنا   وبه صروح المكرمات نشيد

" **أرجوزة في الطب** "مؤلف: مجهول.

تاريخ النسخ: (القرن ١٠هـ/ ١٦م).

البداية: " الحمد لله جزيل النِعم مصوّر الخلق وباري النسم. وخالق الأشياء

باقتدار وحكمة مشرقة الأنـوار".

النهاية: " وغذِهِ الهرائس الدساما وساذج الطعام كيف راما..".

المصدر: إيرلندا.

قسم المؤلف هذه الأرجوزة إلى أربعة أقسام: الأول: في معرفـة الأشـياء الـتي بإصلاحها تتم معالجة الأمراض، والثاني: في معرفة الأمراض، والثالث: في معرفة الأعراض والمقاصد التي يعتمدها من أراد استفراغ شيء مـن البـدن، والرابـع: في الأمراض التي على ترتيب الأعضاء.

يعني دقـة وطرافـة وتنـوع في التقسـيم Classification يسـاعدك علـى الفهم واستحضار المطلوب بطريقة سهلة.

"**أرجوزة في الطب**" ابن سينا، شرف الملك الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله

البداية:

وإذا نظمـت في كتـاب العلـم … في الطب مـا سمعتـه مـن نظـم

وكـان أن نظمتـه في أمـلي … مـن ههنـا مبتـدئاً بالعملـي

قـد قلـت في مبتـدأ الكتـاب … ما احتجت أن أذكر في ذا الباب

وعمـل الطـب علـى ضـربين … فواحـد يعمـل باليـدين

وغـيره يعمـل بالـدواء … ومـا يقـدر مـن الغـذاء

النهاية:

وإن تضـاددت لـك العـلائم … ضعيفـة فـذاك شكـر دائـم

فقف علـى الأحـكام والقضـاء … وكـن مـن الأمـر علـى رجـاء

وقف إذا تعادلت فـي مـذهب … واقـض إذا ترجحـت بالأغلـب

انظر روعة النصيحة، "اعمل بما عليه أكثر الخبراء... لو لم تحسم لا تفعـل شيئًا لكي لا تضر".

"تمت بعون الله تعالى الملك الوهاب".

***«الإرشاد لصالح الأنفس والأجساد »**

عنوان جميل يشدك، فلا يقول لك مثلاً كيمياء الجسم أو خبايا الطب، بل يشدك بأنه سيخبرك عما ينفعك.

المؤلف: ابن جميع، شمس الرياسة أبو العشائر هبة الله بن زيد بن حسن بن أفرائيم بن يعقوب الإسرائيلي المصري (٥٩٤هـ/ ١١٩٨م)، وهو هنا يتحدث عن الصحة العامة

البداية: "قوانين اللاتي تحفظ الصحة في بدن الإنسان وفي عضو عضو من أعضائه إما يحفظها عليه إن كانت موجودة فيه، أو يردها إليه إذا كانت مفقودة منه".

المصدر: كتابخانه مجلس شوراي ملي – إيران.

وينقسم إلى أربع مقالات الأولى: في القوانين الكلية في صناعة الطب؛ والثانية: في الأدوية المفردة؛ والثالثة: في حفظ الصحة ومداواة الأمراض؛ والرابعة: في الأدوية المركبة والأعراض ؛ ويلي الكتاب أرجوزة فارسية في الطب بمقدار عشر أوراق.

« **الأسباب والعلامات** » المؤلف: السمرقندي، نجيب الدين أبو حامد محمد بن علي بن عمر.

البداية: "الحمد لله على نعمائه السابقة وأياديه اللاحقة، قال الشيخ السمرقندي: أني قد جمعت لأجلي في هذه المجلدة ما كانت حاجتي إليه اضطرارية عند مشاهدة المرضى ومعالجتهم، فأقول أني قد جمعت فيها العلل التي تعرض لبدن الإنسان. أعراض خاصة، فالحمراء منها يعرض من نهشها وجع يسير وحكة تسكن".

الموضوع: طب.

المصدر: جامعة كاليفورنيا – لوس أنجلوس.

رقم المصدر:(Ar. ٦٧).

المراجع: الأعلام للزركلي ٦/ ٢٨٠ – كشف الظنون ١/ ٧٧ – مجلة معهد المخطوطات العربية ٥/ ٣٠٤ – بروكلمان (عربي) ٥/ ٢٧٠.

ملاحظات: المخطوط ناقص الآخر. الكتاب في العلل وأعراضها وأسبابها وعلاجها. اعتمد المؤلف علىعدة كتب مثل القانون لابن سينا والمعالجات البقراطية وكامل الصناعة. بدأ فيه المؤلف بعلل الرأس مروراً بأجزاء الجسم حتى القدمين. وعلىالنسخة ختم مكتبة أصفهان.

« **الأغذية والأشربة في علم الطب** » المؤلف: السمرقندي، نجيب الدين أبو حامد محمد بن علي بن عمر(٦١٩هـ/ ١٢٢٢م).

جمع المؤلف فيه كلام جالينوس وأقاويل شارحي كلامه في الأغذية، وجميع ما يتناوله الإنسان وفي طبائعها ومنافعها وخواص كل واحد منها، وما قاله الأولون في الأغذية وأفعالها.

« **الأقوال الكافية والفصول الشافية** » المؤلف: الرسولي، الملك المجاهد علي ابن داود بن يوسف (٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م).

البداية: "الحمد لله اللطيف بخلقه المتكفل لهم قبل السؤال بسابغ رزقه. أما بعد، فإني نظرت بناظر القلب وتميز العقل، فيما أنعم الله به علىعباده من النعم الضافية والمنن الصافية، وما فضل الله به بعضهم على بعض، ستين سنة فما دونها والله اعلم."

الموضوع: بيطرة.

المصدر: معهد ويلكم – لندن – إنجلترا.

بدأ المؤلف كتابه الذي قسمه إلى ستة أقوال بفهرس يشتمل علىالقول الأول: في خصائص الخيل، والثاني: في صفاتها وألوانها، والثالث: في حملها ونتاجها، والرابع: في ذكر أمراضها، والخامس: في ذكر الخيل المشهورة، والسادس: في ذكر خيول العجم والبغال والحمير يعني يعرفك كل شيء كموسوعة، ثم ككتاب بيطرة.

« **إيضاح محجة العلاج** » المؤلف: السجزي، أبو الحسين طاهر بن إبراهيم بن محمد بن طاهر (القرن ٥هـ/ ١١م).

البداية: "الحمد لله رب العالمين، هذه قوانين ونكت لا يستغني عنها من أراد علاج المرضى، ومسالك وطرق لابد أن يسلكها من قصده ألا يحيد في ذلك عن

الصواب: قال طاهر بن إبراهيم:

فسألني القاضي أبو الفضل مخلد بن حموية استنباط شيء يسهل مستصعبه ويفتح مستغلقه فجمعت هذه المقالة. وسميتها إيضاح محجة العلاج".

انظر إلى روعة المقدمة التي تشعرك بالألفة معه فهو يشرح سبب كتابته للكتاب ويحكي القصة كأنك شاهد.

إن الذي ملأ اللغات محاسناً جعل الجمال وسره في الضاد

المصدر: جامعة كاليفورنيا.

« **البرهان في أسرار علم الميزان** » المؤلف: الجلدكي، عز الدين أيدمر بن علىبن أيدمر، والموجود منه هو كتاب النبات.

وانظر لحسن الخاتمة يقول "وأسأل الله تعالى العون والكفاية ويوفقك كما يحب ويختار ويعلمك أن تختار ما يصلح لدينك ودنياك من حسن الاختيار والله تعالى يفعل ما يشاء ويختار وقد آن لنا أن نختم كتاب النبات".

الموضوع: طب (أغذية/ أعشاب).

المصدر: معهد ويلكم – لندن – بريطانيا.

« **بستان الأطباء وروضة الألباء** » المؤلف: ابن المطران، موفق الدين أبو نصر أسعد بن إلياس بن جرجس الدمشقي (٥٨٧هـ/ ١١٩١م).

البداية: قال جامع هذا الكتاب أبو نصر أسعد بن إلياس بن مطران، وقد وسمته ببستان الأطباء وروضة الألباء.

جمع المؤلف في كتابه هذا إشارات وحكم، جمعها من عدة مؤلفات تتعلق بالطب والأطباء؛ يذكر أسماء الكتب ومؤلفيها والفوائد التي أخذها منها؛ والمؤلف لم يتم كتابه كما ذكر صاحب كشف الظنون.

« **بغية المحتاج في المجرب من الطب** » أحمد بن محمود محرم المصري.

البداية: "بسم الله الرحمن الرحيم حمداً لمن ألف بين المجموع بعد إبداع الجميع. وبعد، فهذه جمل لطيفة وفرائد شريفة في صناعة الطب المعروفة لخصتها من الكتب

المحررة والرسائل المعتمدة والأسفار الجليلة، نحوت فيها الوصي والمجرب والدواء القريب والأقرب وسميتها بغية المحتاج والمجرب من العلاج".

المصدر: معهد باكو – أذربيجان.

ملاحظات: الكتاب كامل؛ في أوله فهرس للمحتويات؛ وينقسم إلى عشرين باباً ومقدمة وخاتمة؛ الباب الأول: في أمراض الرأس والصداع الحاد؛ والباب العشرون في الأدوية المركبة؛ والخاتمة في العقاقير الجديدة وإصلاح الأدوية المسهلة ووصايا الحكماء النافعة.

« **البيان في أسرار الطب للعيان** » المؤلف: الحموي، محمد بن أحمد بن علي(القرن ٧هـ/ ١٣م).

ونرى حرصهم علىالسجع في العنوان وتلك الألحان اللغوية الجميلة تشعرك كم كان الزمن جميلاً.

« **البيزرة (أمراض الجوارح)** » المؤلف: الثعلبي.

في الطب البيطري فقط وفي شأن الجوراح فقط وليس في الحيوانات الأليفة.

انظر التقدم العلمي والحضاري.

البداية: "الحمد لله الذي له في كل لطيف من قدرته معجز يتفكر فيه وجعل من صنعه يتنبه ويدل عليه، ونعم تقتضي مواصلة حمده، ومنن تحث علىمتابعة شكره، والذي ميز كل نوع من حيوان خلقه علىحدته وأبانه بشكله. إن للصيد فضائل جمة وملاذ ممتعة ومحاسن بينة والأخبار المأثورة ما نحن مجتهدون في شرحه وتلخيصه وتفصيله وتبويبه في هذا الكتاب المترجم بكتاب البيزرة علىمبلغ حفظنا ومنتهى وسعنا".

الموضوع: صيد وبيطرة.

المصدر: – إيرلندا.

المراجع: فهرس المخطوطات الطبية المصورة.

* من المترجمات « **تحريم الدفن قبل أربع وعشرين ساعة** » المؤلف: جالينوس.

البداية: "الحمد لله. كتاب جالينوس الذي سماه تحريم الدفن قبل أربع وعشرين ساعة، وأقصاه اثنان وسبعون ساعة وهو أربع مقالات".

النهاية: "فإن كانت اليدين باردتين. الجنب الأيسر فإن رأيته سخناً فهو حي وإن رأيته بارداً فهو ميت والله أعلم" هو هنا يتحدث عن حالات الاشتباه في الموت.

الموضوع: طب.

المصدر: كتابخانه مجلس شوراي – إيران .

ملاحظات: قسم المؤلف هذه الرسالة إلى أربع مقالات؛ الأولى: من دفن وهو حي من الإغماء؛ الثانية: فيمن دفع بوجع القلب؛ والثالثة: من الرعب والغم والفزع المفرط؛ والرابعة من دفن وهو حي من قبل الأدوية المخدرة.

وحتى الآن كما نعلم تلك القضية محل جدال وهو التعرف على الموت والتيقن منه قبل الدفن، ولكن لو تم التيقن فالسنة التعجيل بالدفن طبعا.

« **تحفة القادم** » وهو عنوان رقيق.

المؤلف: المغازلي، أبو العباس أحمد بن أبي العباس أحمد الخميري الصقلي التونسي.

البداية: "الحمد لله الذي أبدع الكون من غير مثال سابق، خلق آدم من تراب وجعل نسله من ماء".

« **التذكرة** » (كتاب في أمراض العين) المؤلف: محمد بن محمد (ح٥٢٢هـ/ ١١٢٨م)، وهو مقسم تقسيما حديثًا نتبعه الآن.

البداية: "القول في تركيب العين ووصفها لنقف على العلل الحادثة في صيغاتها ورخوتها وأجفانها ومآقيها".

الموضوع: طب (عيون).

المصدر – إيرلندا. رقم المصدر: (٥٢٧١).

ملاحظات: يشتمل على أدوات جراحة العين؛ النص كتب في سنة ٥٢٢هـ؛ سمي الكتاب (رسالة في أمراض العين). يشتمل الكتاب على خمسة مقالات الأولى: لم تتضح عناوين المقالات الثلاث الأولى، لكن هناك بعض العناوين:

الأول: في تركيب العين، والثاني: في البثور والقروح في العين، والثالث: في الرمد وعلاجه، الرابع: في السيل وعلاجه، الخامس: في الطرفة وعلاجها. وعنوان المقالة الرابعة في ذكر أكثر الأدوية المفردة الواقعة في معاناة العين. والمقالة الخامسة في ذكر كثير من أنواع الأدوية المركبة التي جمعها المؤلف من كتب العلماء المتقدمين.

«تذكرة الكحالين » المؤلف: الكحال، شرف الدين علي بن عيسى بن علي(٤٣٠هـ/ ١٠٤٠م).

تاريخ النسخ: (القرن ٧هـ/ ١٣م).

البداية: " فهرس الباب الأول في أصول ودستورات يعمل عليها في علاج أمراض العين، قد يجب على من أراد شيئًا من علاج أمراض العين أن يكون عارفًا بأجناس أمراض العين وهي ثلاثة أمراض " .

« التصريف لمن عجز عن التأليف ».

الرقم: ٦٤.

المؤلف: الزهراوي، أبو القاسم خلف بن العباس الأندلسي(٤٢٧هـ/ ١٠٣٦م).

تاريخ النسخ: (القرن ١١هـ/ ١٧م).

عدد الأوراق: ٢٦٥.

البداية: " قال الشيخ الإمام أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي. حباكم (...) موارد الخير ومصادر (...) وحباكم من ذلك الاتباع و(...) الاضطلاع، أما بعد، فإن هذا الكتاب ألفته لكم وجعلته مقصوداً به (...) ولم أعدل به إلى سواكم، وسميته بكتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) " .

الموضوع: طب.

المصدر: ت – إيرلندا.

ملاحظات: خط مغربي؛ بعض الصفحات غير واضحة؛ والكتاب مطبوع؛ وهو يحتوي على ثلاثين مقالة.

النهاية: " وتحرى جهدك ونزه نفسك من الدخول في طريق الغرر على ما

تقدمت وصيتي لك فذلك أبقى لجاهك وأسلم لعرضك إن شاء الله" .

« **تقسيم العلل** »المؤلف: الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا (٣١٣هـ/ ٩٢٥م).

البداية: "قال محمد بن زكريا الرازي جرى بحضرة رجل فاضل ذكر تقاسيم العلل وعلاماتها ورأيت أن أألف كتابًا في هذا المعنى يعم نفعه."

ملاحظات: الكتاب كامل؛ مكتوب بخط فارسي؛ يبدأ المؤلف بذكر العلة ثم علاماتها، ثم علاجها فيبدأ أولاً مبتدأً بالثعلبة وينزل منها إلى باقي أجزاء الجسم كالرأس والصدر والبطن وهكذا.

بمناهج القرآن نبنى عزنا وبه صروح المكرمات نشيد

« كتاب تذكرة داود بعيون عالم معاصر»

أوضح د. عبد العزيز صالح من مصر أن مرجع داود بن عمر الأنطاكي تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب ، وشهرته تذكرة داود ، هو أحد أهم المراجع الخاصة بعلوم الصيدلة عند العرب ، ويعتبر هذا الكتاب موسوعة علمية حقيقية لما يتضمنه من معلومات حول عدد ضخم من المفردات والمركبات الدوائية المستخدمة في ذلك الزمان، وما يتعلق بها من صفات وأفعال وطريقة الاستخدام.

والقراءة الدقيقة لهذا الكتاب بمفهوم العلوم الحديثة تشير إلى حقائق بالغة الأهمية نوجزها فيما يلي:

أولاً قيمة العلم: يؤكد عليها العالم الجليل داود الأنطاكي في مقدمة كتابه حيث يقول: "العلم والعفة من صفات الملائكة" .

ثانيًا المسؤولية العلمية: توضح مقدمة كتاب تذكرة داود أن علىالعالم أن يحرص علىحراسة العلوم وحفظها وتنزيهها عن الأرذال والضن بها عن ساقطي الهمة، بالطبع حرصًا علىألا يساء استخدام العلم وألا يمتهن هو وأهله.

ثالثًا الدقة: حيث التركيز علىالعرض المحدد الدقيق وتعيين المواصفات. وتلك أحد الأسس الهامة لنظام الحسبة في الصيدلة التي نعرفها في الوقت الحاضر بنظام توكيد الجودة.

وقد اهتم كتاب تذكرة داود بتحديد العوامل المختلفة التي تؤثر على مواصفات العقاقير المختلفة، وفي هذا الصدد تشير مقدمة الكتاب إلى أن كل واحد من هذه المفردات يفتقر إلى قوانين منها:

- ذكر أسمائه بالألسن المختلفة ليعم نفعه.

(يعني اسم المادة أو المركب بكل لغة فانظر السعة العلمية لديه ثم بعد الأفق).

- ذكر ماهيته.
- ذكر جيده ورديئه ليؤخذ أو يجتنب.
- ذكر منافعه في سائر أعضاء البدن.
- كيفية التصرف به مفردًا أو مع غيره.
- ذكر مضاره، الأثر السام والجانبي.
- ذكر المقدار المأخوذ منه مفردًا أو مركبًا.
- ذكر ما يقوم مقامه إذا فقد ...يعني البديل.

وزاد بعضهم أمرين آخرين:

- الزمان الذي يقطع فيه الدواء ويدخر.
- من أين يجلب الدواء...المصدر.

الاستعمال الرشيد للدواء:

يؤكد مفهوم العلاج عند داود الأنطاكي، كما أشار إليه في كتاب تذكرة داود علىالاستعمال الرشيد للدواء.

حيث يقرر في مقدمة الكتاب علىأن من الواجب التقليل ما أمكن، فلا يعدل إلى مفردين إذا أمكن العلاج بواحد، ولا إلى ثلاثة إذا أمكن باثنين وهكذا.

مفهوم تاريخ انتهاء الصلاحية:

حيث أشار الباب الثالث من تذكرة داود، في مواضع كثيرة عند وصفه لمختلف العقاقير إلى تاريخ انتهاء الصلاحية.

وكلها من المفاهيم الصيدلانية الحديثة التي نراها بوضوح في كتاب تذكرة داود

والتي تؤكد المنهج العلمي للعالم الجليل داود بن عمر الأنطاكي.

وأوضح مثله الفاضل د. عبد الناصر كعدان من سورية "دور داود الأنطاكي في طب العظام".

حيث تحدث داود الأنطاكي في كتابه تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب عن تجبير الكسور. وقد ابتدأ ذلك بتفريقه بين الرض والكسر، فقال معرفًا الرض: "بأنه فساد ما فوق العظم من عصب وغيره ولو غشاء، وقد يحصل من ضربة أو صدمة". أما في تعريفه الكسر فيقول: "هي عبارة عن انفصال أجزاء العظم أو العظام بحيث يصير الجزء الواحد بعد شكله الطبيعي جزأين فصاعدًا".

وعن العوامل التي تمنع حدوث جبر الكسر، يتحدث عنها الأنطاكي ويبين كيفية التعرف عليها. كما تطرق بالحديث أيضاً عن الخلوع التي قد تصاب بها مختلف مفاصل الجسم.

وكتب الفاضل الدكتور/ نظير أحمد من الهند عن المؤلفات الفارسية الأولى: في الطب الإسلامي "في الطب الإكلينيكي" ما أوجزه فيما يلي:

بدأ الدارسون الفرس في تأليف الكتب بالفارسية في الطب الإسلامي مع أوائل القرن الرابع: الهجري، وخلال الفترة التالية التي دامت ثمانية أو تسعة قرون ظهرت مؤلفات طبية ضخمة بالفارسية.

وهناك مؤلف طبي له شهرة واسعة يسمى «كتاب الأبنية» عن العقاقير الطبية ألفه أبو منصور موفق بن علي الهروي.

وكتاب «هداية المتعلمين» الذي ألف بعد عام ٣٥٠ هـ، أول كتاب وجد في الطب الإكلينيكي بالفارسية، وقد كانت له شهرته حتى بعد ظهور كتاب «القانون» لابن سينا - ومؤلف الكتاب هو أبو بكر رافي بن أحمد الأخويني البخاري.

ولم يكن الأخويني تابعا أعمى لأساتذة الماضي، فقد كانت له أفكاره الأصيلة، أما بالنسبة لعلاج الأمراض فمما لاشك فيه إنه اقتبس من آراء العلماء الأوائل مثل ابقراط، وجالينوس، وثابت بن قرة، وعيسى بن سهل، ومحمد بن زكريا، وآخرين. ولكنه لم يكن يستخدم وصفاتهم الطبية إلا إذا كان قد اختبرها شخصيًا،

وفي الحالات التي لم يكن قد أجرى عليها تجاربه فإنه كان يشير إلى ذلك، وقد كتب إلى ولده يقول:

"ولكنني وضعت أمامك هذه الوصفات التي أجريت تجاربي عليها بنفسي إلا عندما أذكر عبارة "ذلك وهذا الشخص يقول "ففي تلك الحالة فإنني لم أقم بنفسي غالبًا جدًا ما أكون قد عالجت مثل هذه الأمراض وكل ما هو مدون هنا أكون قد اختبرته بنفسي شخصيًا، ومع ذلك فإنني أحجم عن تسجل ما لم أكن قد اختبرته وجربته شخصيًا".

فمثلاً نقل ثلاث وصفات في علاج الروماتزم، واحدة أخذها عن ابن إسحاق والثانية عن أستاذه أبي القاسم، والثالثة: قدمها هو شارحًا بقوله: "أنني افضل وصفتي الطبية فهي لا تحوي كثيراً من السورانجان الذي يضر بالمعدة ويضعف الشهية".

كما اختلف الأخويني في وصف جرعتين من الزعفران في مرض معين ويبدو ذلك في قوله: "إن هذا الزعفران كثير جدًا، وابن ماسويه قد يصف نصف درهم فقط، ومع ذلك فإنني لم أجربه شخصيًا وقد يكون من المفيد أن يتم اختباره".

وقد أورد الأخويني ما لا يقل عن عشرة أنواع من العلاجات الطبية للعديد من الأمراض وكلها من تحضيره وبعض منها أعيد ذكره في كتاب "الموجز الكمي".

وبعد أن أتم تركيبته الفائقة، وهي عبارة عن قرص لعلاج الروماتزم فقد أورد تحضيره مختتمًا بقوله: "إنني لم أصف دواء غير ذلك لمن يعانون من الروماتزم خلال العشرين سنة الماضية، وهذه تركيبتي وقد اختبرتها بنفسي".

وخلال مجرى حياته الطبية الطويلة فقد أورد أمثلة لعلاجاته الناجحة، وكذلك لتلك التي لم يوفق فيها (انظر الأمانة العلمية ، والحرص علىنفع الأجيال التالية)

فمثلاً أورد حالة مريضة مزمنة (وهي أميرة) تعاني من الحمى المتقطعة، وقد شفيت تمامًا بواسطة علاجه.

ويتكون كتاب «الهداية» من ثلاثة أجزاء.

الجزء الأول: يتناول الدراسة التشريحية ووظائف الأعضاء، ويقع في ٢١ فصلاً.

والجزء الثاني: يتناول مختلف الأمراض وعلاجها من الرأس حتى القدم،

ويقع في ١٣١ فصلاً.

أما الجزء الثالث: فهو يتناول علاج أنواع الحمى المختلفة كما يتناول تعليمات صحية، وينتهي بدراسة عن النبض ويقع في ١٩ فصلا .

يطيب العيش أن تلقى حكيما غذاه العلم والظن المصيب

فيكشف عنك حيرة كل جهل ففضل العلم يعرفه الأديب

سقام الحرص ليس له دواء وداء الجهل ليس له طبيب

نشوء تخصصات الطب في الأندلس

أعندكم نبأ من أهل أندلسٍ فقد سرى بحديثِ القومِ ركبانُ

لم يعد الطبيب ممارسًا عامًا، بل اتسعت المعرفة وبدأت الفروع في النشأة. بزغت أسماء أوردتها كتب التاريخ وحفظتها مخطوطاتهم الثمينة في مكتبات العالم ، ومن المعاصرين من جمعها مثل الباحث الفاضل د.عبد الله محمد العمراني من المغرب.

فمن الأجداد الذين تخصصوا مثلاً في طب العيون Ophthalmology أحمد **بن يونس الحراني** الذي يقول عنه **أبو داود** بن جلجل: " رأيت اثني عشر صبياً صقالبة، طباخين للأشربة، صناعين للمعجونات بين يديه. وكان يعطي منها- بإذن الخليفة المستنصر- من احتاج إليها من المساكين والمرضى، كما كان يداوي العين مداواة نفيسة، وله بقرطبة آثارها ذلك، وكان يواسي بعلمه وفنه صديقه وجاره والمساكين والضعفاء ومع ذلك توفي وخلف ما قيمته أزيد من مائة ألف دينار " .

والوزير الطبيب **أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن وافد اللخمي** (٤٦٦ هـ ١٠٧٤م) مؤلف كتاب" تدقيق النظر في علل حاسة البصر " .

والطبيب العلامة **محمد بن قاسم الغافقي** مؤلف " المرشد في الكحول"، ويوجد كتابه مخطوطاً في مكتبة الأسكوريال بإسبانيا.

ومن التخصصات التي نشأت أيضاً طب الأطفال وعلم التوليد.

فالطبيب القرطبي الأندلسي **عريب بن سعيد** الكاتب ألف كتاب «خلق الجنين

وتدبير الحبالى والمولدين » ومخطوطته بإسبانيا أيضاً.

ويتعرض الكتاب لموضوعات هامة وتدل علىالرقي العلمي مثل: نظام تغذية الحبالى، العلامات الأولى: للمخاض، نظام تغذية النفساء، وفرة الحليب، الرضاعة، كيفية المحافظة والتوجيه لصحة المولود، النمو والتحولات التي تعتريه.

لي فيك يا ليل آهات أرددها ... أواه لو أجدت المحزون أواه

لا تحسبني محباً أشتكي وصباً ... أهون بما في سبيل الحب ألقاه

إني تذكرت والذكرى مؤرقة ... مجداً تليداً بأيدينا أضعناه

أنى اتجهت إلى الإسلام في بلد ... تجده كالطير مقصوصاً جناحاه

كم صرفتنا يد كنا نصرفها ... وبات يحكمنا شعب ملكناه

هل تطلبون من المختار معجزة ... يكفيه شعب من الأجداث أحياه

من وحد العرب حتى صار واترهم ... إذا رأى ولد الموتور اخاه

وكيف ساس رعاة الشاة مملكة ... ما ساسها قيصر من قبل أو شاه

ورحب الناس بالإسلام حين رأوا ... ان الإخاء وأن العدل مغزاه

يا من رأى عمر تكسوه بردته ... والزيت ادم له والكوخ مأواه

يهتز كسرى على كرسيه فرقاً ... من بأسه وملوك الروم تخشاه

هي الحنيفة عين الله تكلؤها ... فكلما حاولوا تشويهها شاهوا

استرشد الغرب في الماضي فأرشده ... ونحن كان لنا ماض نسيناه

إنا مشينا وراء الغرب نقتبس من ... ضيائه فأصابتنا شظاياه

بالله سل خلف بحر الروم عن عرب ... بالأمس كانوا هنا ما بالهم تاهوا

فإن تراءت لك الحمراء عن كثب ... فسائل الصرح أين المجد والجاه

وانــزل دمشــق وخاطــب صــخر عمـن بنـاه لعـل الصـخر ينعـاه

وطـف ببغـداد وابحـث في مقابرهـا عل امـرءاً مـن بـني العبـاس تلقـاه

أيـن الرشـيد وقـد طـاف الغمـام بـه فحـين جـاوزا بغـداد تحـداه

هـذي معـالم خـرس كـل واحـدة مـنهن قامـت خطيبـاً فـاغراً فـاه

الله يشـهد مـا قلبـت سـيرتهم يومًـا وأخطـأ دمـع العـين مجـراه

مـاضٍ نعـيشُ علـى أنقاضـه أممـاً ونستمد القـوى مـن وحـي ذكـراه

لا دردر امـرئ يطـري أوائلـه فخراً ويطـرق إن سـألته مـا هـو ؟

إنـي لأعتـبر الإسـلام جامعـة للشـرق لا محـض ديـن سـنه الله

أرواحنـا تتلاقـى فيـه خافقـة كالنحـل إذ يتلاقـى في خلايـاه

دسـتور الـوحي والمختـار عاهلـه والمسـلمون وإن شـتوا رعايـاه

لا هـم قـد أصـبحت أهواؤنـا شـيعاً فـامنن علينـا بـراع أنـت ترضـاه

راع يعيـد إلى الإسـلام سـيرته يرعـى بنيـه وعـين الله ترعـاه

وهناك علم أندلسي لا يصح المرور بدون تحية له هو **الشريف الإدريسي**.

وهو عالم ومفكر موسوعى، وقد اشتهر في فنون الجغرافيا والطب والصيدلة وقرض الشعر، وطاف بمصر وآسيا الصغرى والقسطنطينية والأندلس وفرنسا وإنجلترا، ووصف نباتات كل قطر (الأعلام للمراكشي ج ٣ ص ٣٤).

وأصبح الأوروبيون في تلك الأيام يتوافدون على(طليطلة) للارتشاف من معين العلم.

ولا ننسى **ابن رشد الحفيد**، وله كتاب تلخيص كتاب العلل والأعراض والتصرف والحميات والأدوية المفردة.

وقد اقترح ابن رشد في شرحه لابن سينا ما يصفه الأطباء الآن، وهو تبديل الهواء في الأمراض الرئوية (حضارة العرب جوستاف لوبون ص ٥٣١ من الطبعة

الفرنسية).

كُنْ فِي الحياةِ غزيرَ العلمِ والعملِ ... وَدَعْ هَـواكَ ولا تغتَـرَّ بالأَمَـلِ
وزيِّنِ النفسَ فِي أسمـى فضـائلِها ... وصُنْ فؤادَكَ عَـنْ إظلامـةِ الزَلَـلِ
وانهـجْ لـدربكَ بالإيمـان منهجـهُ ... واجعلْ سبيلكَ بالأخلاقِ يكتَمِـلِ

وهناك الحفيد **أبو بكر بن أبي مروان** كان طبيبًا شاعرًا يحفظ صحيح البخاري ولم يكن في زمانه أعلم منه باللغة (عيون الأنباء ابن أبـي أصـيبعة ص ٧٤) وكـان احترام العلم والطب خاصة باديًا في تلك الأزمان.

حَكَمَ الرجـالُ زمـانهمْ فتقدَّمـوا ... للمجـدِ... للتـاريخِ... للإبهـارِ
وترفَّعـوا عمَّـا يُشِـينُ وأكرمـوا ... أهـلَ العقـولِ الحُسْـنِ والأفكـارِ
سـادوا الـبلاد بطولهـا وبعرضـها ... لَمَّـا صَـفَوا بقلـوبهم للجـارِ
وتخلَّصوا مِنْ حقـدهم وشـرورهمْ ... وتناصـروا للحـقِّ عنـدَ البـاري
عدلوا فكانَ العدلُ حـامي مُلكِهـمْ ... وكـذا فـإنَّ العـدلَ خـيرُ مَسَـارِ

فمما كان مقررا كحكمة:

لا تستوطن إلا بلدة فيها سلطان قاهر وطبيب ماهر ونهر جار وقـاض عـدل وسوق قائم يعني بها نظام يحفظ الأمن والاستقرار وعدل يحفظ الحق لأهله ورخاء ورعاية صحية ونشاط تجاري في غير ركود ولا تضخم اقتصادي.

فأمة ترى الطب فرض كفاية هي أمة تحترم العلم، وليست هي أمـة الطبيـب الساحر كما في مجاهل أفريقيا ولا أمة الطبيب الـذي يكفـره رجـل الـدين كمـا في عصور الظلام الأوروبية.

ومن العباقرة الطبيب الأريب **ابن زهر**.

أبـدع في التعامـل مـع مشـاكل الجهـاز الهضـمي واسـتعمل أنابيـب التغذيـة واكتشف حشرة الجرب الدقيقة وسماها صؤابة الجرب.

وصف عبد الواحد المراكشي المستشفى الموحدي بمراكش فقال: "وبني بمراكش بيمارستان ما أظن أن في الدنيا مثله، وذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع في البلد، وأمر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه، فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح، وأمر أن يغرس فيه مع ذلك من جميع الأشجار المشمومات والمأكولات، وأجرى فيه مياهًا كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على أربع برك في وسط إحداها رخام أبيض، ثم أمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحرير والأديم وغيره بما يزيد على الوصف ويأتي فوق النعت.

وأجرى له ثلاثين دينارًا في كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة خارجًا عما جلب إليه من الأدوية، وأقام فيه الصيادلة لعمل الأشربة والأدهان والأكحال وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء، فإذا نقه المريض فإن كان فقيرًا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل، وإن كان غنيًا دفع له ماله ولم يقصره على الفقراء دون الأغنياء، بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل إليه وعولج إلى أن يستريح أو يموت، وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله ليعود المرضى ولم يزل مستمرًا على هذا إلى أن مات.

وذكر المؤلف Millet في كتابه «الموحدون» المؤلف عام ١٩٣٣ إن هذا المستشفى "لا يخلف وراءه مصحات أوروبا المسيحية فحسب، بل تخجل منه حتى اليوم مستشفيات باريس".

وقالت المؤرخة ولتر في "مختصر التاريخ": "ازدهر علم الطب والتداوي عند العرب على حين كان الأوروبيون يجهلون هذا العلم الشريف ويحتقرون أربابه، إذ أن الكنيسة كانت قد حرمته عليهم وحصرت التداوي في زيارة الكنائس والاستشفاء بذخائر القديسين وبالتعاويذ والرقي التي كان يبيعها رجال الدين" إلى أن قالت: "وكان الأوروبيون يستنكفون من النظافة لأنها تشبه الوضوء عند المسلمين".

ومن الكتب التعليمية التي حوت كنوزنا في علم الصيدلة:

الدستور البيمارستاني لابن أبي البيان، ألفه الطبيب العربي ابن أبي البيان

(القرن السادس الهجري هـ/ القرن الثاني عشر م) ومثله ألف الكندي كتابًا في الصيدلة، ومثله كتاب لموسى بن إبراهيم الحديثي وابن بهلول في الصيدلة.

وكلها تذكر الأدوية الموضعية والعامة فتقسم إلى الأشربة والغراغر والأدهان والحقن والسفوفات والعاطوسات والأكحال والخ.

وكتاب سهلان بن كيسان المتوفى عام ٩٩٠م المعنون «مختصر في الأدوية المركبة المستعملة في أكثر الأمراض ».

وهناك «كتاب الدكان » لسعيد بن عبد ربه المتوفى عام ٩٥٣ م.

وكتاب «أقراباذين» لمؤلفه سابور بن سهل المتوفى عام ٨٦٩ م.

و«كتاب الوساد» لابن وافد (١٠٠٨- ١٠٧٤).

لم ينقذ الإسلام أو يرفع له رأساً سوى النفر الألى رفعوك

ردوا الخيال حقيقة وتطلعوا كالحق حصحص من وراء شكوك

ما أضافه المسلمون إلى مؤلفات التشريح في شبه القارة الهندية الباكستانية خلال الخمسة قرون الماضية:

أضافت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية مبحثًا رائعًا، فيما أضافه المسلمون إلى مؤلفات التشريح في شبه القارة الهندية الباكستانية خلال الخمسة قرون الماضية، بقلم حكيم محمد سعيد وكمال محمد حبيب من باكستان. ووضحا أن أول بحث في هذا الموضوع باللغة الإنجليزية.

وأوضحا أن من أهم المؤلفات التي صدرت عن تاريخ التشريح كتاب لحكيم سيد كمال الدين حسن، يقدم فيه دراسة مقارنة شاملة ويحدد المجالات التي أحرز فيها أطباء المسلمين تقدماً ملموساً.

فيذكر مثلاً أن الرازي كان أول من فرق بين العصب الحنجري والعصب الراجع recurrent nerve. وبالرغم من أن ابن الهيثم قد طور نظرية الإبصار Vision ثم زاد عليها كمال الدين الفارسي من بعده، إلا أن الرازي كان أول من قال إن الإبصار يتم عن طريق اتساع حدقة العين وانكماشها.

وفي موضع آخر يذكر أن مفهوم ابن سينا عن الشرايين ودورها في إمداد الجسم بالغذاء والهواء وتخليصه من الأبخرة الدخانية يقترب كثيراً من المفهوم الحديث عن دور الدم الشرياني في نقل الأوكسيجين من الرئتين وتوزيعه على الجسم.

وقد جاء في كتاب الملكي للطبيب المسلم الشهير علي بن العباس، وفي كتاب «القانون» لابن سينا الوصف الدقيق لتركيب المخ وأجزائه.

وعن المؤلفات التشريحية في شبه القارة الهندية أوضحا أنه يمكن الحصول من المخطوطات العربية والفارسية التي يعود تاريخها إلى القرون الوسطى والفترة التي تلتها على رسوم واضحة لتشريح الجسم (تشمل الهيكل العظمي والأعصاب والأوردة والشرايين).

وهذا دليل بيّن لدحض الافتراءات التي تقول بأن الأطباء المسلمين لم يضيفوا للآثار الطبية الأوربية القديمة.

وفي مجال وصف الكتب والمخطوطات والتعريف بها، قامت مؤسسة همدارد في كراتشي Hamdard Medicus بنشر أعمال علماء الطب المسلمين وغيرهم من علماء الفروع الأخرى إبان فترة الاحتلال البريطاني.

وعن الصيدلة وعلم العقاقير في شبه القارة الهندية:

نجد أن أول كتاب رئيسي عن العقاقير الطبية ألفه بهوان بن خواص خان في عام ٩١٨ هـ واسمه: «معدن الشفاء سيكاندرشا هي»، وأهداه إلى السلطان سيكاندر لود هي حاكم دلهي.

ويتعرض لتشريح الأعضاء في الجزء الأخير، ويتألف من تسعة فصول.

ودخل الحرفيون والشعراء والعلماء والأطباء الذين نزحوا عن إيران لشبه القارة الهندية في أوائل العهد المغولي ، وكان دخولهم انتعاشا للمعرفة والعلم فيها.

وألف محمود بن مسعود الشيرازي شرحاً للأجزاء التشريحية في كتاب «القانون»، وهو من أشمل ما كتب عن شرح القانون وأكثره تفصيلاً ، وقد تمت كتابته في يوم الاثنين في السادس والعشرين من شهر شعبان عام ٩٧٣ هـ. ومخطوطته بمكتبة دار العلوم في ديو باند.

وهناك طبيب آخر من العهد المغولي يسمى عماد الدين محمود شيرازي كتب ضمن عدة مؤلفات أخرى رسالة في التشريح.

ومن المؤلفات الهامة التي ظهرت في ذلك العصر كتاب عن التشريح باللغة الفارسية بعنوان علم الإنسان، ويوجد مخطوط عنه في معهد تاريخ الطب والأبحاث الطبية في « توغلاقا باد » بنيودلهي.

وهناك أيضاً رسالة مطولة بعنوان دانيشنما هي جاهان (كتاب الحكمة الدنيوية) ألفه غيث الدين علي بن علي الحسني الأصفهاني، وقد تمت كتابة هذه الرسالة في ٢١ جمادى الآخرة من عام ١٢١٧ هجرية ، ويحتل التشريح الباب الأخير الذي يتألف من ٣٢ فصلاً.

ويشرح المؤلف في هذا الباب الأعضاء الداخلية والخارجية والعضلات والأعصاب والعظام والشرايين والحبل الشوكي والعين وطبقاتها، مسالك وفتحات الأذن والأنف والفم واللسان واللهاة واللوزتين والحلق والمريء، والتجويف الصدري والقصبة الهوائية والرئتين والقلب والمعدة، والغشاء الشحمي للأمعاء الغليظة والدقيقة والصفاق peritoneum، والأمعاء الغليظة والمرارة والطحال والكلى، والقناة البولية والخصيتين والحويصلات المنوية وعضو الذكورة والرحم ، وتوجد مخطوطة في الكلية الطبية (١٧) بدلهي.

وحتى القرن الثامن عشر كان الطب الإسلامي قد عرف أكثر من عشرة آلاف نوع من النباتات الطبية ، ويؤيد هذه الحقيقة كتاب Muhit - I-A'zam للحكيم الهندي أعظم خان وهو من دلهي.

جراحة الجمجمة والدماغ عند الأطباء العرب

ذلك المجال برع فيه المسلمون وأرسوا القواعد العلمية الثابتة للآن. وقد أشار الدكتور عبد القادر عبد الجبار – حلب / الجمهورية العربية السورية –لاهتمامهم بالورم الدماغي الذي يتبع إصابات الدماغ ، ومعالجته بإحداث حالة نقص المياه بالجسم ، وهي الطريقة المثلى المتبعة إلى اليوم في علاج هذه الظاهرة. وأشار لدقة وصفهم للأدوات الجراحية لكل حال من أحوال الإصابات علىالجمجمة.

وممن ترك في كتبه دررا تخص جراحة الدماغ.

١- علي ابن العباس المجوسي.

٢- ابن سينا.

٣- الزهراوي.

٤- البغدادي.

٥- السمرقندي.

إلى المجد إنا بنوه الكرام إلى المجد إنا هداة الأمم

أما «**علي ابن العباس**» فقد عرف أنواع كسور الجمجمة، وفرق بين الشق البسيط والقوي والمفتت، وأشار للشعر العظمي فقال:

"ومن الناس من يضيف إلى هذه الأنواع نوعًا آخر يسمى الشعري وهو شق رقيق يخفى عن الجس وهو كثيراً ما يخفى بلا تبين وربما كان سببًا للهلاك" .

وتلك هي نفس تقسيماتنا الحديثة.

«**ابن سينا**» لقد أوضح ابن سينا معلومة هامة ، هي أن عظام الجمجمة لا تلتئم كبقية العظام، بل ترتبط بنسيج ليفي ضام فقال: "فاعلم أن عظام الرأس تخالف عظامًا أخرى إذا انكسرت لم تجر الطبيعة عليها شيئًا قويًا كما تجريه وتثبته على سائر العظام، بل شيئًا ضعيفًا" .

وأشار إلى أنه يجب فصد العرق لمن أصيب بالغيبوبة وإحداث نقص للمياه بجسده لتقليل الورم بالدماغ.

وتلك هي قواعد معالجة ارتجاج المخ للآن (لتقليل الضغط بالجمجمة) مع فارق استحداث مدرات البول الآن.

« **الزهراوي** » وصف خطوات جراحة الجمجمة والأدوات ، وابتكر هو بعضها.

وإليك فقرة نمارسها الآن: "فإن كان العظم قويًا صلبًا فينبغي أن تثقب حوله، قبل استعمالك القاطع، بالمثاقب التي سموها غير غائضة" .

« **عبد اللطيف البغدادي**» وضح في مقاله أن جراحة الدماغ كانت من الأمور المميزة ونجح كثير منها:

"ولقد رأيت من أخذ من رأسه قطع من العظام وسلم، ورأيت انسانا قد أخذ من قحفه قطعة عظيمة وصار في رأسه حومة اذا صاح أو استرق النفس على الوضع من القحف كان كالرمانة العظيمة".

«نجيب الدين السمرقندي» أشار إلى استعمال الحقن الشرجية لمنع الإمساك: "فإن وقعت السقطة أو الضربة على الرأس فينبغي أن يلين الطبيعة ويندفع بعد الفصد بحقنة لينة وبماء الفواكه".

فالإمساك من محاذير المصاب ، فقد يؤدي لفتح الجرح ثانيًا كما نعلم الآن.

المراجع:

(١) كتاب الأسباب والعلامات للسمرقندي.

(٢) القانون، الجزء الثالث.

(٣) كتاب الجراحة لعلي بن العباس.

ولنفصل قليلاً عن المخدر سماه المسلمون (**المرقد**) أي الدواء الذي يجعل المريض يرقد نائمًا Sleepener:

وهو عبارة عن إسفنجة تنقع في محلول من الأعشاب (مثل القنب العربي والخشخاش وست الحسن) ثم تترك لتجف ، وقبل الجراحة توضع في فم المريض.

وصفه أطباؤهم كابن سينا، حيث قال في كتابه القانون (٢) "والتخدير يزيل الوجع لأنه يذهب بحس الجسم وإنما يذهب بحسه لأحد سببين إما بفرط التبريد وإما بسميه مضادة لقوة الجسم".

وابتكروا للتخدير أيضاً أقماعًا (لبوساً أو تحاميل شرجية) تدخل من الشرج أو شراباً من الفم. وفي ذلك يقول الرازي في كتابه «الحاوي» (٣) (جـ ٣١ ص ٦٤٣) عن البنج أنه:

"إن جعل في المقعدة فتيلة أنامت وقد يعمل منه شراب يبطل الحس".

ويصف الرازي مدة التخدير فيقول: "إنه يسبت ويبقي سباته ثلاث أو أربع ساعات لا يحس بشيء ولا يعقل".

كذلك في مجال التخدير بالاستنشاق، وفي ذلك يقول ابن سينا عن البنج: "من استنشق رائحته عرض له سبات عميق من ساعته".

وقد برعوا في الإفاقة أيضاً فابتكروا الإسفنجة المنبهة المشبعة بالخل لإزالة تأثير المخدر وإفاقة المريض بعد الجراحة.

التخدير الموضعي في حالة آلام الأسنان والأذن والرأس:

يقول ابن البيطار متحدثًا حول البنج: "يدهن به الصدغان فيجلب النوم المعتدل وينفع في وجع الأذن قطوراً".

التخدير بالتبريد: تحدث عنه ابن سينا في كتابه «القانون» أن الشيء المبرد بالثلج تبريداً بالغًا يخدر.

ويصف استعمال التبريد كمخدر موضعي كما في جراحة الأسنان وفي عمليات البتر. وتعتبر هذه أول إشارة في تاريخ العلم إلى التخدير بالتبريد، وقد أصبح هذا العلم اليوم من أهم عناصر الجراحة الكبيرة في عصرنا الحديث.

وهكذا يعتبر اكتشاف التخدير الخطوة الأولى في تقدم علم الجراحة عند المسلمين وفي أوروبا فيما بعد.

إلى المجد إنا بنوه الكرام إلى المجد إنا هداة الأمم

وقد أقر للمسلمين بالسبق في ميدان التخدير والفضل في نقله إلى أوروبا الكثير من المستشرقين، فيقول (جوستاف لوبون) في كتابه حضارة العرب ص ٥٢٣: "ومن فضل العرب استعمالهم البنج (المرقد) الذي ظن أنه من مبتكرات العصر الحاضر".

فعليك بذر الحب لا قطف الجنى والله للساعين خير معين

ستسير فلك الحق تحمل جنده وستنتهي للشاطئ المأمون

تطور تخصص الأنف والأذن والحنجرة في الطب الإسلامي:

تم تشريح الحنجرة بدقة شديدة، ونما علم الصوتيات مع علم التجويد لكتاب الله تعالى وفهم مخارج الحروف ورسمها.

وكلنا يعرف أن الحنجرة تركيب غضروفي في أعلى القصبة الهوائية، تشارك في

وظيفة الكلام وحماية الجهاز التنفسي.

وقد وضح الدكتور/ مصطفي أحمد شحاتة _مصر _ أن وصفًا دقيقًا غير مسبوق عالميا ورد في كتاب «خلق الإنسان» لابن أبي ثابت من علماء القرن الثالث الهجري، وبعده في كتاب «القانون» لابن سينا في القرن الرابع الهجري، ثم أبي القاسم الزهراوي وابن زهر من الأندلس ثم كثيرين غيرهم.

وقد استطاعوا تشخيص كثير من أمراض الحلق والحنجرة بالفحص المباشر بالنظر وبالتحسس بأصابع اليد، فلقد كانوا يدخلون الأصبع داخل الفم لتحسس أجزاء الحنجرة وأحبالها الصوتية.

وشخصوا عددًا من الأمراض النادرة مثل شلل الأحبال الصوتية والأورام، وفصلت تلك الحالات في كتاب (التيسير) لابن زهر، وفي كتاب «فردوس الحكمة» للطبري، وفي الجزء الثالث: من كتاب «القانون» لابن سينا.

علاج أمراض الحنجرة

هناك عدد من الأدوية التي ابتكروها للحنجرة لايزال يستخدم ليومنا هذا، وقد صنعوا شتى العقاقير للحنجرة من أدوية استنشاق والدهانات وغرغرة إلى جانب الحجامة أحيانًا.

وفي كتاب «التصريف» للزهراوي مقالة كاملة عن السعوطات والقطورات والبخورات والغراغر.

ندين مدى الدهر بين الأنام بدين المعالي ودنيا الهمم

أوائلنا زلزلوا الراسيات أنرقد نحن مع الراقدين

بسر الوجود ومعنا الحياة تنزل فينا الكتاب المبين

جراحة الحنجرة: ابتكر ابن سينا أنبوبة القصبة الهوائية، وصنعها من الذهب والفضة، لإنقاذ مرضى الاختناق. وما زال أطباء الأنف والأذن والحنجرة يستخدمونها لإنقاذ مرضى الاختناق، وأطباء التخدير يستعملونها لتوصيل الغازات المخدرة والأوكسجين إلى صدر المريض مع اختلاف المادة فقط.

وتطورت عملية شق الحنجرة أو القصبة الهوائية، التي تستخدم كبديل للأنبوبة لإنقاذ حياة مريض الاختناق، وفصل شرحها الزهرواي في كتاب «التصريف» وابن زهر في كتاب «التيسير»، وهو الجراح الماهر الذي كان يتمرن على تلك العملية على الماعز ، ويطور طريقتها ويتابع التئام الجرح. وذكر حقيقة لم تكن معلومة وهي أن غضاريف القصبة الهوائية يمكن ان تلتئم بعد شفاء جرح العملية ، وبذلك عادت تلك الجراحة للواجهة بعد أن تركها الأطباء حينا من الدهر وعدوها جراحة خطرة مميتة.

قام الجراحون المسلمون، بعملية استئصال اللوزتين بآلة من ابتكار الزهراوي، وقد رسم كل الأجهزة بدقة في كتابه « التصريف ». وتحدث عن مضاعفات جراحة اللوزتين.

ووصف عملية بزل الأذن واستخراج الأجسام الغريبة من الحلق والأذن.

جراحة النساء

نضيف للمشاهير في جراحة النساء تحديدًا، خلافًا لمن تحدثنا عنهم من الأعلام سابقًا ، أسماء بارزة كابن عكاشة الكرخي وأبي الحكم عمرو بن أحمد.

ونجد في مراجعهم في موضوع التوليد مثلاً ومراعاة النفساء نصائح عملية راقية جدًا تدل على فهم الآلية وتشريح الأعضاء وعلى تجارب كثيرة ومعرفة تامة بعلم النساء والولادة.

مثال: لما قيل في حالة وقوف المشيمة وتأخر اندفاعها إلى الخارج إنه عليك ألا تسحب الحبل السري خشية من عقل الرحم واندلاقه إلى خارج، وهذا تنبيه ينصح به كل الأطباء الآن.

وتجد الجزء التاسع من «الحاوي » للرازي مختصا بعلم النساء والتوليد وبه تلك التعليمات والشروح المسهبة.

وكان يوصي بشق الأغشية حول الجنين لإراقة المياه تسهيلا للولادة وهو أسلوب جرى اتباعه لاحقًا وتبين أنه نافع للأم والجنين.

وتحدث عن حالات وجود الجنين في وضع غير مناسب وكيفية تعديله ليأتي بالرأس أولاً.

ندين مدى الدهر بين الأنام بدين المعالي ودنيا الهمم

أوائلنا زلزلوا الراسيات أنرقد نحن مع الراقدين

بسر الوجود ومعنا الحياة تنزل فينا الكتاب المبين

وتحدث الزهراوي عن حالات الحمل خارج الرحم، والتغيرات التي تحدث أثناء الحمل والولادة.

وابتكر الزهراوي المثقب لحالات استسقاء الدماغ خلافًا لما كان مستعملاً (سكين)، وتلك براعة جراحية لسلامة الأم وأنسجة الرحم وما حوله.

وفصلت الكثير من تلك العجائب أيضاً في كتاب أحمد بن محمد البلدي (تدبير الحبالى والأطفال والصبيان تحقيق محمود حاصل قاسم).

أيا أمة المجد في الغابر إلام خمولك في الحاضر

وما كان يعزى إليك الخمول ولا كان يخطر بالخاطر

ولنقف هنيهة مع الطبيب الأريب **على بن العباس المجوسي**.

ولد في مدينة الأهواز بجنوبي فارس وقد عاصر الرازي، وتوفي سنة ٩٤٤.

ألف كتابه المشهور « كامل الصناعة الطبية»، وأهداه للملك عضد الدولة البويهي، وقد درس الطب على يد الطبيب موسى بن سيار، وكتابه مرجع قيم، ترجمه إلى اللغة اللاتينية قسطنطين الإفريقي سنة ١١٨٠ تحت اسم الكتاب الملكي، وسرق جهده ونسبه لنفسه لكن التاريخ فضحه بعدها بالعثور على النسخ والمخطوطات الأصلية العديدة.

ثم ترجمه ثانية إسطفان الأنطاكي حوالي سنة ١٢٠٠. وقد طبعت الترجمة الأخيرة في البندقية سنة ١٤٩٢.

يتألف الكتاب الكامل من جزئين، في كل منهما عشر فصول. بدأه بداية منطقية، فقد تكلم في الجزء الأول: عن تشريح جسم الإنسان وأعضائه، ثم

الأمراض ووصفها. أما الجزء الثاني: ففيه العلاجات وكيفية تحضير الأدوية.

وليشرك القارئ معه في الجو النفسي ويشده، بين علي بن العباس في مقدمة كتابه الأسباب التي دعته لتأليف هذا الكتاب، وهي أنه لم يجد للسابقين مثل أبقراط وجالينوس أو المعاصرين كالرازي مؤلفًا واحدًا يرجع إليه الباحثون في فن الطب لمعرفة التشخيص وشتى طرق العلاج.

وقال في المقدمة أيضاً حكمة بليغة ترينا كيف كان الحفز النفسي والضمير والدين أمورًا مترابطة متصلة بالعلم والسعي في الأرض: "إذا أراد الله بأمة خيرًا جعل العلم في ملوكها والملك في علمائها، ولما كان العلم بصناعة الطب أفضل العلوم وأعظمها قدرا وأجلها خطرًا وأكثرها منفعة لحاجة الجميع إليها، أحببت أن أضع كتابًا كاملاً في صناعة الطب، جامعًا لكل ما يحتاج إليه المتطببون وغيرهم في حفظ الصحة على الأصحاء وردها على المرضى".

وتحدث في المقدمة ناصحا أمينا لكل طالب طب وطالب حق ذاكرًا صفات من أراد أن يتعلم مهنة الطب.

ثم خصص فصلاً آخر في المقدمة ضمنه ذكرًا للرؤوس الثمانية التي ينبغي أن تعلم قبل قراءة كل كتاب. وهو شيء رائع أن تجد مقدمة بمثل ذلك الشمول والروعة تعتبر مدخلاً للطب وللعلم.

وقد تحدث عنه الفاضل د. عبد الناصر كعدان من سورية موضحًا أن كتابه يعتبر من أفضل ما ألف إبان ازدهار الحضارة الإسلامية، حيث جمع فيه المؤلف كل علوم الطب التي كانت سائدة وقتئذ، مع الإشارة إلى المصادر التي اقتبس منها المؤلف حين وضعه كتابه هذا.

وكمثال لبراعته حين تعرض لأمراض الجهاز التناسلي عند الجنسين، في المقالة الثامنة من كتابه الكامل تحدث علي بن العباس ومن خلال أكثر من عشرين فصلاً، (انظر الشمول والسعة) عن بعض أمراض الجهاز التناسلي التي قد تصيب الإناث أو الذكور.

ففي مجال اضطرابات الشهوة الجنسية مثلاً، خصص فصلاً خاصًا للتحدث عن نقص الشهوة الجنسية والأدوية المستخدمة لعلاج ذلك، في حين أنه خصص

فصلاً آخر للحديث عن فرط الشهوة الجنسية وكيفية علاج ذلك أيضاً.

وتحدث علي بن العباس عن الأمراض التي تصيب رحم المرأة، وقسمها إلى أمراض تصيب الرحم نفسه وهي ما تسمى حاليًا بأمراض جسم الرحم، وأمراض أخرى تصيب فم الرحم وهي ما تسمى حاليًا بأمراض عنق الرحم. وهو نفس التقسيم الحديث، كما تعرض بالحديث، ومن خلال فصل مستقل عن أسباب العقم مبينًا علاج الكثير من تلك الحالات.

ويتبين لنا مما نرى حجم إنجازات ذلك الطبيب المسلم علي بن العباس في هذا الفرع من علم الطب. وعرضه لأسباب المرض بطريقة علمية فيحدد الأسباب الخاصة ثم العامة ثم النفسية، تمامًا كما ندرس الآن فمثلاً ضياع الرغبة يقول إنه بسبب الشلل يعني الأسباب العصبية أو بسبب قلة المني الناجم عن سوء التغذية أو سوء المزاج، وهو عرض طيب يماثل ما نقوله للمريض في العيادة وما نضعه في مخيلتنا أثناء الفحص الآن.

ومثلاً في شرح الفتق يقول:

"والأسباب العامة لهذه هي إما من وثبة وإما ضربة وإما صيحة قوية لا سيما بعد الاغتذاء" وهي ما نسميه نحن زيادة ضغط البطن الداخلي.

ثم يشير إلى أنه قد يصاب الفتق بالاختناق حيث قد يؤدي إلى وفاة العليل. تمامًا كما نتحدث عن مصير الحالة الآن ومخاطرها.

بل يتحدث علي بن عباس عن التشخيص التفريقي لحالتي الاستسقاء والفتق وعلى نحو قريب جدًا مما يلجأ إليه اليوم للتفريق بين الحالتين. يقول في ذلك:

"فإن أصحابه إذا استعملوا شيئًا من الرياضة والتوثب أو حبس النفس وشيئًا آخر مما يشبه ذلك يصير الورم أعظم مما كان، وإذا غمز عليه يكون رجوعه إلى فوق بطيئًا ويكون نزوله أيضاً بطيئًا، ويبقى المعي من فوق على شكله الخاص وفي موضعه حتى يقوم العليل قائماً".

ومثلاً في شرح دوالي الحبل المنوي: يشبهها علي بن عباس بدوالي الساقين. يقول في وصفها: "ويستدل على ذلك بظهور عروق ممتلئة ملفوفة كأنها عنقود".

وفي الباب التاسع والثلاثين علل الرحم وأسبابها وعلاماتها، فتعرض

بالحديث لأكثر أمراض الرحم التي كانت معروفة وقتئذ.

ومن أهم تلك الأمراض نذكر:

احتباس الطمث: ويورد علي بن عباس في البداية أن أسباب احتباس الطمث هي قد تكون بسبب آفات في الرحم أو بسبب مرض ما في الدم أو بسبب مرض عام في الجسم. فمن الأسباب الرحمية يذكر الأورام والتشوهات في جسم الرحم والإسقاط أو رضوض الرحم أو انسدادات في الرحم بسبب أورام أو غيرها. ومن المعروف حاليًا بأن هذه هي الأسباب فعلاً وأضيف لها بعض الأسباب الأخرى.

وثآليل فم الرحم: حيث يمكن التعرف عليها كما يشير علي بن عباس عن طريق فتح فم الرحم بالآلة التي يفتح بها الرحم فإنها تتبين بحاسة اللمس والبصر.

ويتحدث بدقة عن علامات الحمل الظاهرية العامة والخاصة والثانوية. ثم يتعرض بالذكر إلى مسألة الإجهاض (إسقاط الأجنة)، فهو يفند أسبابها إما خارجية أو داخلية ويذكر ذلك بالتفصيل.

في نهاية هذا الفصل يذكر الأمور غير التقليدية، كما يحدث في المراجع الآن، كأحوال الأجنة المشوهة كما يتحدث عن التوائم ذاكرًا أن المرأة قد تحمل بثلاثة أجنة أو أربعة وقد رأى ذلك بنفسه، أما بخمسة أجنة فقد سمع عن ذلك، وهنا الدقة في الكلام فيثبت ما شهده ويحكي ما سمع به كما هو...

ويتبين لنا المدى العلمي الواسع الذي اضطلع به هذا الطبيب، شأنه في ذلك شأن كل الأطباء الأوائل الذين لم يكتفوا فقط بنقل علوم الأولين، بل إنهم أضافوا الكثير من المعلومات التي حصلوا عليها من خلال ممارستهم الطب في البيمارستانات التي كانت منتشرة في كل حواضر العالم الإسلامي.

وللمزيد عنه نراجع "عيون الأنباء في "طبقات الأطباء"، دار مكتبة الحياة/ بيروت.

أيا أمة المجد في الغابر | إلام خمولك في الحاضرِ
وما كان يعزى إليك الخمول | ولا كان يخطر بالخاطرِ

مساهمة الطب الإسلامي في علم أمراض الجهاز البولي التناسلي

ساهم علماؤنا في تطوير ذلك التخصص من كل وجه.

التشريح الدقيق غير المسبوق للجهاز البولي.

ونجده في كتب علي بن العباس وابن سينا وغيرها ، وبه توضيح تشريحي وظيفي لمسار الحالبين ودوره في عدم ارتداد البول عند التبول Function.

وتتبع دقيق يوضح امتداد شريحة من عضلات البطن إلى الخصيتين، ذكر ابن القف أن الفائدة " رفع الأنيثين إلى فوق لئلا تسترخيا إذا كانتا معلقتين" .

الحصى البولية: لقد أولى الأطباء المسلمون اهتمامًا كبيرًا لهذا الموضوع فلقد حاولوا تفسير تكوين الحصى Aetiology، وأفردوا المقالات العديدة عن علاماتها وأعراضها.

وشرحوا بعض العمليات، ولأول مرة، لإخراج وتفتيت هذه الحصى، كما نصحوا بالعلاجات الطبية لتفتيتها وقدموا النصائح للتحرز منها.

وقد تتبع الفاضل د. أكرم منيب الدجاني من الأردن مواطن الحديث في علم المسالك، مثل بيانهم أسباب تكون الحصى حيث عزوه لضيق عنق الكلى والمثانة والحرارة في باطنها والطعام الغليظ الطبع.

وذكر الرازي "يتولد الحصى من قروح في الكلى فيصير فيها مدة وتغلظ حتى تتحجر" .

بينما يقول ابن قرة: " ويكون بدء تولدها صغارا رملية فإن تمادى بها الزمان وأغفل علاجها اتحد بعضها ببعض فصار حصاة كبيرة وتصلب " .

وهذا ما نعرفه الآن من وجود مادة صغيرة هي نواة لترسب الأملاح التي تكون الحصى البولية.

وكذلك اتفق ابن سينا والرازي علىأن حصاة المثانة أقل في النساء، لأن مجرى مثانتهن إلى خارج أقصى وأوسع وأقل تعاريجا.

ولقد فرقوا بكل دقة بين حصاة المثانة وحصاة الكلية من عدة وجوه. وكتبوا في المقارنة بين القولنج ووجع الكلى، وكيفية علاج كل منها.

تفتيت الحصى: ذكر الرازي علىلسان الطبري أن ماء ورق الفجل مفيد لتفتيت الحصى.

الجراحة

أجرى الزهراوي استئصال حصاة المثانة للنساء عن طريق المهبل، ووصف الرازي تقنية الجراحة واستعمال آلة لفتح الجرح وآلة لنزع الحصاة وأهمية كون الجرح من الداخل أصغر ، ويظهر من ذلك الفن الجراحي في الاحتياط بتجنب الإضرار بالأعضاء وما ينتج عن ذلك من مضاعفات.

بينما يرجع اكتشاف معرفة تعدد الخياطات ومختلف الغرز في الاستعمالات الجراحية للزهراوي نفسه والذي اكد علىضرورة الخياطة المنفصلة في طبقات جدار البطن في حالات الجرح البطني.

ولتفتيت الحصاة الصغيرة ابتكرت آلة (المثقاب) التي عملها الزهراوي لذلك.

أما القسطرة التي استعملوها فقد ظلت هي هي لقرون ، يصفها ابن العباس بأنها يجب "أن تكون بأحجام مختلفة مناسبة لعمر المريض" .

وابن سينا يصفها "أجود القاثاطرات ما كان من ألين الأجساد وأقبلها للتثنية، وقد يتخذ من الأسرب والرصاص والقلفي. فإن كان شديد اللين قوي" .

و"يكون رأسها صلبًا مستديرًا أو يثقب فيه عدة ثقوب حتى إذا حبس في بعضها شيء من دم أو رمل أو خلط غليظ كان لما يزرق من دواء أو يستدر من بول منفذ آخر" .

تحليل البول: ولقد وضع الأطباء المسلمون شروطًا معينة عند فحص البول لا تختلف كثيراً عما ننصح به هذه الأيام، من كونها عينة الصباح وعدم وجود أصباغ كالحناء وخلافه.

وعن فحص البول يقول الرازي، "إذا نحن ألفنا كتابًا في البول فنقول: ينظر البول إما في اللون وإما في الرسوب وإما في الريح وإما في الطعم، وإما في الصفاء، وإما في اللمس ثم نقول أصناف اللون كذا وكذا وأصناف القوام كذا وكذا ثم أسباب الأصناف وما يدل عليه كل صنف" .

أيا أمة المجد في الغابر إلام خمولك في الحاضرِ

وما كان يعزى إليك الخمول ولا كان يخطر بالخاطرِ

علاج البواسير

كتب أبو عمران موسى بن ميمون (١١٣٥- ١٢٠٤) كتابًا خاصًا بها عنوانه "في البواسير" وضح فيه البداية بالنظام الغذائي ثم اللجوء للجراحة في النهاية.

وكتب ابن محمود القاسم (المتوفي ١٥٢٥ هـ) كتابًا عنوانه «زاد المسير في علاج البواسير».

من عادة الإسلام يرفع عاملا ويسود المقدام والفعالا

ظلمته ألسنة تؤاخذه بكم وظلمتموه مفرطين كسالى

طب الأسنان عند العرب والمسلمين

تتضح من البحوث التي سبرت غور كتاباتهم حقيقة مشرقة هي أن مختصي الأسنان كانوا جراحين عباقرة ، ولا تزال أساليبهم متبعة:

مثال: قلع الأسنان:

يقول الزهراوي: "ينبغي أن تعالج الضرس من وجعه بكل حيلة وتتوانى عن قلعه، حتى إذا لم يكن بد من قلعه، فينبغي إذا عزم العليل على قلعه أن تتثبت حتى يصح عندك الضرس الوجع، فكثيراً ما يخدع العليل الوجع ويظن أنه في الضرس الصحيح فيقلعه ثم لا يذهب الوجع حتى يقلع الضرس المريض".

إلى أن قال شارحًا كيفية الخلع وقطع الأربطة حول الضرس ثم التثبيت.

"ثم تجذب الضرس على استقامة لئلا تكسره، فإن لم يخرج فخذ أحد تلك الآلات فأدخلها تحته من كل جهة برفق ورُم (يعني حاول) تحريكه كما فعلت أولاً"، وإن كان الضرس مثقوباً أو متآكلاً فينبغي أن تملأ ذلك الثقب بخرقة وتسدها سداً جيداً بطرف مرود رقيق لئلا يتفتت في حين شدك عليه بالكلاليب، وتحفظ جهدك لئلا تكسره فيبقى بعضه فيعود العليل منه ببلية هي أعظم من وجعه الأول وإياك أن تضع ما يضع جهال الحجامين في جسرهم وإقدامهم على قلعه من غير أن يستعملوا ما وضعنا، فكثيراً ما يحدثون على الناس بلايا عظيمة أيسرها أن ينكسر الضرس وتبقى أصوله كلها أو بعضها، وإما أن يقلع ببعض عظام الفك كما شاهدناه مراراً، ثم يتمضمض بعد قلعه بشراب أو

بخل وملح، فإن حدث نزف دم من الموضع، فكثيراً ما يحدث ذلك، فاسحق حينئذ شيئًا من الزاج واحش به الموضع وإلا فاكوه إن لم ينفعك الزاج.

صورة الكلاليب اللطاف التي بها الضرس أولاً تكون طويلة الأطراف قصيرة المقبض غليظة لئلا تنثني عند قبضك الضرس، وفي طرفها أضراس يدخل بعضها في بعض فتقبض قبضاً محكماً وثيقاً".

من عادة الإسلام يرفع عاملا ويسود المقدام والفعالا

ظلمته ألسنة تؤاخذه بكم وظلمتموه مفرطين كسالى

نشر الأسنان المتداخلة وبرد الكسور لكي لا تجرح اللسان:

يقول الزهراوي: "وإن كان ضرس قد انكسر منه بعضه فكان يؤذي اللسان عند الكلام فينبغي أن تبرده أيضاً حتى تذهب بخشونة ذلك الكسر ويستوي ويملس ولا يؤذي اللسان ولا يفسد الكلام".

قطع الرباط تحت اللسان (لجيم اللسان) :

يتحدث فيه علي بن العباس فيقول: "إذا كان تعقد اللسان طبيعياً وكان ذلك من قبل غلظ الرباطات، فينبغي أن تعقد العليل بين يديك على كرسي وتفتح فاه وترفع لسانه إلى فوق جيداً أو تقطع ذلك الرباط العصبي عرضاً بالمبضع".

وبين الزهراوي أهمية الكي بالحرارة لوقف النزف وهو بديلهم للكي الكهربائي المستخدم حاليًا.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن تولت مضوا في إثرها قدما

كسور الفك: تعامل معها الأطباء بكل حذق وردوها بالشكل العلمي وخيطوا الأسنان به لشدها بخيوط الذهب والفضة.

ثابت بن قرة:

كان ثابت بن قرة عالمًا ومن كبار المترجمين.

ولد ثابت بن قرة (سنة ٢٢١ هـ = ٨٣٤ م) في حران - جزء من تركيا الآن- وكان من الصابئة قبل أن يسلم لرب العالمين.

برع ثابت بن قرة في الطب، والرياضيات، والفلك، وأتقن عددًا من اللغات.

من ترجماته:

- كتاب جغرافيا في المعمورة وصفة الأرض لبطليموس.
- كتاب الكرة المتحركة لأوطوليوقوس.

ومن أهم إنجازاته في الرياضيات:

دراساته الفذة في علم الأعداد، حيث أصل تقسيم الأعداد إلى الأعداد الزوجية والفردية، ومهد لإنشاء علم التفاضل والتكامل بشرح العلاقة بين الجبر والهندسة.

كان ثابت متبحرا في علم الأمراض الجلدية، والنحافة والسمنة. وصف عددًا من الأمراض النفسية أيضاً. وتناول في كتبه علم التوليد، وشرح الولادة العسرة.

كما أثبت تفوقًا ونبوغًا في مجال طب العيون، وشرح داء المياه البيضاء والزرقاء، وبسط ضعف البصر وأسبابه.

من مؤلفاته الطبية:

- كتاب الذخيرة في علم الطب.
- كتاب في علم العين وعللها ومداواتها.
- كتاب في الجدري والحصبة.
- كتابة الروضة في الطب.
- رسالة في توليد الحصاة.

ومن نصائحه:

"راحة الجسم في قلة الطعام وراحة النفس في قلة الآثام وراحة اللسان في قلة الكلام".

ثابت بن سنان:

هو حفيد ثابت بن قرة ، رأيت له ترجمة حسنة في سير أعلام النبلاء للذهبي ، وتحدث عنه حديثًا وافيًا الباحث الفاضل سمير حلبي من مصر.

جمع "ثابت بن سنان" عددًا كبيرًا من العلوم مثل جده. فكان مؤرخًا أديبًا طبيبًا فلكيًا ورياضيًا أيضاً، وقد تولى "ثابت بن سنان" إدارة بيمارستان بغداد الشهير. وكان يدرس كتب أبقراط وجالينوس. ويترجم الكتب الطبية من اللغات السريانية واليونانية ويشرحها ويثريها بعلمه. وقد وضع "ثابت" كتابًا قيمًا في التاريخ أيضاً، جعله ذيلاً على" تاريخ الطبري" .

كانت وفاته في [١١ من ذي القعدة ٣٦٥هـ = ١١ من يوليو ٩٧٥م].

ابن الهيثم:

رب ميت قد صار بالعلم حياً ومبقّى قد مات جهلاً وغيا

فاقتنوا العلم كي تنالوا خلوداً لا تعدوا البقاء في الجهل شيا

تأمل معي نظارة القراءة ليست كشفًا غربيًا ولا شماليًا، بل اخترعها ابن الهيثم المولود سنة ٩٦٥ م. فقد كان عالمًا فذًا عبقريًا وترك دررًا تسبق عصره، ولم تكن درره علمية فقط.

تأمل ما قال في عمق كتبه: " لم أقصد به مخاطبة جميع الناس لا غير الفاضل منهم، وقلت في ذلك كما قال جالينوس في كتابه في النبض الكبير، ليس خطابي في هذا الكتاب لجميع الناس، بل خطابي لرجل منهم يوازي ألوف رجال، بل عشرات ألوف رجال إذ كان الحق ليس هو بأن يدركه الكثير من الناس لكن هو بأن يدركه فهم الفاضل " .

فهو هنا يقرر حقيقة التجرد والإنصاف وأن الحق ليس بالغلبة ولا بالأغلبية.

وعندما كبر ابن الهيثم في العمر أحس بضعف بصره مما يتهدده في أمر مطالعته وفي حرفته وهي مصدر رزقه الرئيسي وهو نسخ الكتب العلمية. ولكنه كعالم في البصريات لم ييأس، وأخذ يجري التجارب في معمله على الزجاج، حتى صنع قرصاً كبيرًا من الزجاج المحدب إذا وضعه على الكتاب فإنه يكبر الكتابة والخط.

ولكن ابن الهيثم الذي كان يعرف تركيب العين ووظائف القرنية والعدسة. كان يعلم أن كل عين لها قوة إبصار خاصة بها تتوقف على العدسة، فقرر أن يصنع بدلاً من قرص الزجاج قرصين، واحد لكل عين حسب قوة إبصارها، وبذلك توصل ابن الهيثم إلى صناعة أول نظارة طبية للقراءة في التاريخ. تعتمد على قياس النظر لكل عين على حدة. وكانت هذه النظارة تثبت أمام العين أثناء القراءة.

ودور النظارة في تطور الحضارة الإنسانية كبير، فقد ساعدت ضعاف البصر على أن يعيشوا حياة طبيعية، وأن يقرأوا وينتجوا، وهذه نعمة عظيمة. ولم يتكسب ابن الهيثم من تلك الابتكارات.

وكم كان ابن الهيثم عفيفًا واعيًا وهو يقول: "فإن ثمرة هذه العلوم هو علم الحق والعمل بالعدل في جميع الأمور الدنيوية والعدل هو محض الخير الذي يفعله يفوز.أين العالم الأرضي من نعيم الآخرة السماوي، ويعتاض الفائز عن صعوبة ما يلقاه مدة البقاء المنقطع في دار الدنيا بدوام الحياة منعماً في الدار الأخرى وإلى اللّه تعالى أرغب في توفيقي لأتقرب إليه".

كان تاريخ كتابة ابن الهيثم لهذه الكلمة في ذي الحجة سنة سبع عشرة وأربعمائة، وكتب عنه المؤرخون أنه كان له خط جميل في غاية الصحة كتب به الكثير من علوم الرياضة.

كان ينسخ في مدة سنة ثلاثة كتب في ضمن اشتغاله وهي إقليدس والمتوسطات والمجسطي ويستكملها في مدة السنة، فإذا شرع في نسخها جاءه من يعطيه فيها مائة وخمسين دينارًا مصرية. وصار ذلك كالرسم الذي لا يحتاج فيه إلى مواكسة ولا معاودة قول فيجعلها مؤونته لسنته، ولم يزل على ذلك إلى أن مات بالقاهرة في حدود سنة ثلاثين وأربعمائة أو بعدها بقليل واللَّه أعلم.

وقد عدهُ كثيرون رائداً للمنهج التجريبي الذي يعزى لفرنسيس بيكون، مع أن ابن الهيثم سبقه بخمسه قرون.

وقد ألف ابن الهيثم في البصريات ما يقرب من أربعة وعشرين موضوعًا ما بين كتاب ورسالة ومقالة، ما بقي منها ضمته مكتبات إستانبول ولندن وغيرهما.

وقد سلم من الضياع كتابه العظيم "المناظر" الذي احتوى على نظريات مبتكرة في علم الضوء، وظل المرجع الرئيسي لهذا العلم حتى القرن السابع عشر الميلادي بعد ترجمته إلى اللاتينية.

والحسن بن الهيثم هو أول مَن بَيَّنَ خطأ نظرية إقليدس وغيره في أن شعاع الضوء ينبعث من العين ويقع على المبصَر. وقرر عكس هذه النظرية في أن شعاع الضوء يخرج من الشيء المبصر ويقع على العين، واستدل بالتجربة والمشاهدة على أن امتداد شعاع الضوء يكون على خط مستقيم.

وعرف ابن الهيثم الأجسام الشفافة، وهي التي ينفذ منها الضوء ويدرك البصر ما وراءها كالهواء والماء، وبيّن أن الضوء إذا نفذ من وسط شفاف إلى آخر شفاف انعطف عن استقامته.

وبحث في انكسار الأشعة الضوئية عند نفاذها في الهواء المحيط بالكرة الأرضية، وبين أن كثافة الهواء في الطبقات السفلى أكبر منها في الطبقات العليا، وأن الهواء لا يمتد من غير نهاية، وإنما ينتهي عند ارتفاع معين، يعني الفضاء الجوي.

فإذا مر شعاع من الضوء خلال هذه الطبقات الهوائية المختلفة الكثافة، فإنه ينكسر رويدًا رويدًا وينحني تدريجيًا نحو سطح الأرض، ويترتب على ذلك أن النجم أو الكوكب الذي ترقبه العين يظهر في موضع أقرب من موضعه الحقيقي. وأشار إلى الخطأ الذي ينشأ عن ذلك في الرصد و إلى وجوب تصحيحه.

وشرح الحسن بن الهيثم كيفية حدوث الرؤية، وبين في ذلك تركيب العين وانتقال التأثير الحاصل بواساطة العصب البصري.

ويوجد في مكتبات العالم في القاهرة ولندن وباريس وإستانبول أكثر من واحد وعشرين مخطوطًا لابن الهيثم في هذا التخصص.

وفي الحساب والجبر والمقابلة ألّف ما لا يقل عن عشرة كتب، لا يوجد منها سوى مخطوطات قليلة في مكتبة عاطف بتركيا منها: حساب المعاملات، واستخراج مسألة عددية.

وفي الفلك أبدع ابن الهيثم كعالم من الطراز الأول ، وأسهم فيه بفاعلية حتى

أُطلق عليه "بطليموس الثاني". ولم يصلنا من تراث ابن الهيثم في الفلكيات إلا نحو سبع عشرة مقالة من أربعة وعشرين تأليفًا، تحدث فيها عن أبعاد الأجرام السماوية وأحجامها وكيفية رؤيتها وغير ذلك.

وله في الطب كتابان: أحدهما في "تقويم الصناعة الطبية" ضمّنه خلاصة ثلاثين كتابًا قرأها لجالينوس، والآخر "مقالة في الرد على أبي الفرج عبد الله بن الطيب" لإبطال رأيه الذي يخالف فيه رأي جالينوس. وله أيضاً رسالة في تشريح العين وكيفية الإبصار.

ومما قال: وإن أطال اللّه لي في مدة الحياة وفسح في العمر صنفت وشرحت ولخصت من هذه العلوم أشياء كثيرة تتردد في نفسي ويبعثني ويحثني على إخراجها فكري ، واللّه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريده وبيده مقاليد كل شيء وهو المبدئ المعيد، وهذا ما وجب أن أذكره في معنى ما صنعته واختصرته من علوم الأوائل قصدت به مذاكرة الحكماء الأفاضل والعقلاء الأماثل من الناس كالذي يقول:

رب ميت قد صار بالعلم حياً ومبقّى قد مات جهلاً وغيا

فاقتنوا العلم كي تنالوا خلوداً لا تعدوا البقاء في الجهل شيا

وهذان البيتان هما لأبي القاسم بن الوزير أبي الحسن علي بن عيسى.

أبو الفرج يحيى بن التلميذ:

هو الحكيم صاعد بن يحيى بن التلميذ كان متعيناً في العلوم الحكمية متقناً للصناعة الطبية متحلياً بالأدب بالغاً فيه أعلى الرتب.

كان من المشايخ المشهورين في صناعة الطب، وله تلاميذ عدة وقال الشريف أبو العلاء العباسي من قصيدة يمدحه فيها:

ما زال ينعشني نداه حاضراً وينوب عني في المطالب غائبا

ومن شعر هذا الطبيب الشاعر نفسه:

أيا عجباً لها سوداء خلقا تريك خلائقا بيضاً كراما

وله من الكتب كتاب «المعتبر» وهو من أجلّ كتبه وأشهرها. وكتاب «الأقراباذين" في علم الدواء .

بديع الزمان أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن أحمد البغدادي:

من الحكماء الفضلاء والأدباء النبلاء طبيب عالم، وكان متقناً لعلم النجوم والرصد.

العنتري:

هو أبو المؤيد محمد بن المجلي بن الصائغ الجزري. كان طبيبًا مشهوراً، وعالمًا مذكوراً، حسن المعالجة، جيد التدبير، وافر الفضل متميزاً في علم الأدب وله شعر كثير في الحكمة وغيرها.

وكان في أول أمره يكتب أحاديث عنتر العبسي فصار مشهوراً بنسبه إليه فسمي العنتري .

ومن كلامه في الحكمة قال:

- "بنيّ تعلم العلوم فلو لم تنل من الدنيا إلا الغنى عمن يستعبدك بحق أو بباطل" .
- "بنيّ إن الحكمة العقلية تريك العالم يقادون بأزمة الجهل إلى الخطأ والصواب" .
- "الجاهل عبد لا يعتق رقه إلا بالمعرفة" .
- "الحكمة سراج النفس فمتى عدمتها عميت النفس عن الحق" .
- "الجاهل سكران لا يفيق إلا بالمعرفة" .
- "الحكمة دواء من الموت الأبدي" .
- "العالم المحروم أشرف من الجاهل المرزوق" .
- "عدم الحكمة هو العقم العظيم" .
- "الجاهل يطلب المال والعالم يطلب الكمال" .
- "الغم ليل القلب والسرور نهاره" .
- "وشرب السم أهون من معاناة الهم" .

ومن شعره نقله ابنه مؤيد الدين، قال أنشدني والدي لنفسه:

احفظ بني وصيتي واعمل بها فالطب مجموع بنص كلامي

قدم على طب المريض عناية … في حفظ قوته مع الأيامِ

واجعل طعامك كل يوم مرة … واحذر طعاماً قبل هضم طعامِ

لا تحقر المرض اليسير فإنه … كالنار يصبح وهي ذات ضرامِ

إياك تلزم أكل شيء واحد … فتقود طبعك للأذى بزمامِ

وله أيضاً:

عرفت الرجال بالعلم لما … عرف العلم بالرجال الناس

وقال أيضاً:

قالوا رضيت وأنت أعلم ذا الورى … بحقائق الأشياء عن باريها

لي همة مأسورة لي صادفت … سعداً بغير عوائق تثنيها

ضاق الفضاء بها فلا يسطيعها … لعلوها الأفلاك أن تحويها

أطوي الليالي بالمنى وصروفها … تنشرني أضعاف ما أطويها

إني على نوب الزمان لصابر … إما سيفنى العمر أو يفنيها

أما الذي يبقى فقد أحرزته … والفانيات فما أفكر فيها

فقد يسود الفتى من غير سابقة … للأصل بالعلم حتى يبلغ الشهبا

غذ العلوم بتذكار تزد أبداً … فالنار تخمد مهما لم تجد حطبا

إني أرى عدم الإنسان أصلح … من عمر به لم ينل علمًا ولا نسبا

قضى الحياة فلما مات شيعه … جهل وفقر فقد قضّاهما نصبا

وقال أيضاً:

نفسي تطالبني بما في طبعها … والعقل يزجرها عن الشهوات

والنفس تعلم أن ذلك واجب والطبع يجذبها إلى العادات

والنفس من خمر الحياة وسكرها ستفيق بين عساكر الأموات

* * *

إن الشريعة حكمة ومنافع لمداخل ومصالح لمخارج

والعقل نور اللّه إلا أنه للعالم المحسوس غير ممازج

فمتى اكتفيت بفعل عقل داخل فسدت أمورك كلها من خارج

الأنبياء كواكب تهدي إلى سبل الهدى لذوي السرى والدالج

وقال حين ترك الخمر وتاب عنه:

تركت الحميا خشية النار

والكأس بالطبع تصدي عقل شاربها والسكر يسلب منه حكمة الباري

وعوضت عنها النفس كاسات حكمة تعللتها فازددت شوقاً إلى الساقي

وللعنتري من الكتب كتاب «النور المجتنى من روض الندماء»، «وتذكار الفضلاء الحكماء»، «ونزهة الحياة الدنيا» رتبه على فصول السنة وضمنه أشعاراً وفوائد حسنة لجماعة من الأدباء ولنفسه أيضاً.

وكتاب «الأقراباذين» وهو أقراباذين كبير استقصى فيه ذكر الأدوية المركبة وأجاد في تأليفه.

فخر الدين الماريديني:

هو الإمام فخر الدين أبو عبد اللّه محمد بن الأنصاري.

كان أوحد زمانه وعلامة وقته، فاضل النفس جيد المعرفة بصناعة الطب محاولاً لأعمالها كثير التحقيق، نزيه النفس محباً للخير متقناً للغة متفنناً في العربية مولده في ماردين وأجداده من القدس وكان أبوه قاضياً.

قرأ كتاب «القانون »لابن سينا على أمين الدولة بن التلميذ وباحثه فيه وبالغ في تصحيحه وتحريره معه. كان أستاذًا في الطب له مجلس عام للتدريس.

أقام بدمشق إلى آخر شهر شعبان سنة تسع وثمانين وخمسمائة وتوجه قاصداً

إلى بلده، ولما عزم على السفر أتاه الشيخ مهذب الدين وسأله إن كان يمكنه أن يقيم بدمشق ليتمم عليه قراءة كتاب «القانون »، وأن يكون يوصل إلى وكيله برسم النفقة في كل شهر ثلثمائة درهم ناصرية، فلم يفعل وقال: العلم لا يباع أصلاً، بل من كان معي فإنني أشغله أين كنت.

وتوفي فخر الدين المارديني رحمه اللّه يوم السبت الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة أربع وتسعين وخمسمائة بآمد وله من العمر اثنتان وثمانون سنة.

ووقف جميع كتبه في ماردين في المشهد الذي وقفه حسام الدين بن أرتق، وكان حسام الدين هذا فاضلاً حكيمًا وقد وقف أيضاً في مشهده كتباً حكمية.

والكتب التي وقفها الشيخ فخر الدين هي من أجود الكتب، وهي نسخه التي كان قد قرأ أكثرها على مشايخه وحررها وقد بالغ في تصحيحها وإتقانها.

وحدثني سديد الدين محمود بن عمر وكان حاضراً عند الشيخ فخر الدين المارديني وقت موته قال: لم يزل الشيخ فخر الدين لما أحس بالموت يذكر اللّه تعالى ويمجده ولم يفتر عن ذلك إلى حين قضى وكان آخر شيء سمعناه منه اللّهم إني آمنت بك وبرسولك صدق أن اللّه يستحي من عذاب الشيخ.

أبو نصر بن المسيحي:

هو أبو نصر سعيد بن أبي الخير بن عيسى بن المسيحي، من المتميزين في صناعة الطب والأفاضل من أهلها والأعيان من أربابها.

ولأبي نصر بن المسيحي من الكتب كتاب «الاقتضاب على طريق المسألة والجواب في الطب» وكتاب «انتخاب الاقتضاب».

ابن سدير:

هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد اللّه، كان طبيبًا عالمًا ويقول الشعر وكان في دماثة ودعابة، وتوفي بالمدائن فجأة في العشر الأخير من رمضان سنة ستة وستمائة.

ومن شعر ابن سدير:

أيا منقذي من معشر زاد لؤمهم فأعيا دوائي واستكان له طبي

إذا اعتل منهم واحد فهو صحتي وإن ظل حياً كدت أقضي به نحبي

أداويهم إلا من اللؤم إنه ليعيي علاق الحاذق الفطن الطب

أبو الحسن علي بن أحمد بن هبل البغدادي:

ويعرف أيضاً بالخلاطي ولد ببغداد، كان أوحد وقته وعلامة زمانه في صناعة الطب وفي الحكمة متميزاً في صناعة الأدب وله شعر حسن وألفاظ بليغة، وكان متقناً لحفظ القرآن وكان أيضاً يسمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروى أحاديثًا منها قول رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة" .

وقال:

أيا أثلات بالعراق ألفتها عليك سلام لا يزال يفوح

لقد كنت جلداً ثاوياً بفنائها فقد عاد مكتوم الفؤاد يبوح

فما أحسن الأيام في ظل أنسها قبيل طلوع الشمس حين تلوح

وقد غرد القمري في غسق الدجى وراعى حمام في الأصول ينوح

ذكرت ليال بالصراط وطيبها نطير لها شوقاً ونحن جموح

وقال أيضاً:

أيا دوحة هام الفؤاد بذكرها عليك سلام اللّه يا دوحة الأنس

رمتني النوى بالبعد منك وقربها وقد كنت جاراً لاصقاً لك بالأمس

وله من الكتب كتاب "المختار في الطب"، وهو كتاب جليل يشتمل على علم وعمل.

وكتاب "الطب الجمالي" صنفه لجمال الدين محمد الوزير المعروف بالجواد ، وكان تصنيفه للمختار سنة ستين وخمسمائة بالموصل.

كمال الدين بن يونس:

هو كمال الدين أبو عمران موسى بن يونس بن محمد بن منعة علامة زمانه وأوحد أوانه وقدوة العلماء وسيد الحكماء.

قد أتقن الحكمة وتميز في سائر العلوم وكان عظيمًا في العلوم الشرعية والفقه وكان مدرّساً في المدرسة بالموصل ويقرأ العلوم بأسرها والطب والتعاليم وغير ذلك وله مصنفات في نهاية الجودة ولم يزل مقيماً بمدينة الموصل إلى أن توفي إلى رحمة اللّه.

وله من الكتب كتاب «كشف المشكلات وإيضاح المعضلات» في تفسير القرآن.

وشرح كتاب «التنبيه في الفقه» مجلدان، وكتاب «مفردات ألفاظ القانون في الطب ».

أبو الخير الحسن بن سوار:

المعروف ابن الخمار لفظة فارسية مركبة من كلمتين وهي به خير ونام اسم أي اسم الخير.

وكان أبو الخير الحسن نصرانياً عالمًا بأصول صناعة الطب وفروعها خبيراً بغوامضها كثير الدراية لها ماهراً في العلوم الحكمية، وله مصنفات جليلة في صناعة الطب وغيرها. وكان خبيراً بالنقل وقد نقل كتباً كثيرة من السرياني إلى العربي.

له مختصر مقالة في الصديق والصداقة، مقالة في سيرة الفيلسوف، مقالة في الآثار المخيلة في الجو الحادثة عن البخار المائي وهي الهالة والقوس والضباب على طريق المسألة والجواب، مقالة في امتحان الأطباء صنفها للأمير خوارزمشاه أبي العباس مأمون بن مأمون، كتاب «في خلق الإنسان وتركيب أعضائه» أربع مقالات، كتاب «تدبير المشايخ» طب المسنين.

أبو منصور الحسن بن نوح القمري:

وهو ممن علم ابن سينا، وكان سيد وقته وأوحد زمانه مشهوراً بالجودة في صناعة الطب محمود الطريقة في أعمالها.

وله كتاب «غنى ومنى»، وقد استقصى فيه ذكر الأمراض ومداواتها على أفضل ما يكون ولخص فيه جملاً من أقوال المتعينين في صناعة الطب

وخصوصاً ما ذكره الرازي تفرقاً في كتبه كتاب «علل العلل ».

أبو الريحان البيروني:

هو الأستاذ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني منسوب إلى بيرون وهي مدينة في السند.

كان مشتغلاً بالعلوم فاضلاً في علم الفلك والنجوم وله نظر جيد في صناعة الطب وكان معاصرًا لابن سينا وبينهما محادثات ومراسلات.

له كتاب «الصيدلة في الطب» استقصى فيها معرفة ماهيات الأدوية ومعرفة أسمائها، واختلاف آراء المتقدمين وما تكلم كل واحد من الأطباء وغيرهم فيه وقد رتبه على حروف المعجم.

وكتاب «تسطيح الكرة » وكتاب «العمل بالأصطرلاب ».

كتاب «القانون المسعودي» ألفه لمسعود بن محمود بن سبكتكين وحذا فيه حذو بطليموس.

كتاب «التفهيم في صناعة التنجيم» مقالة في تلافي عوارض الزلة في كتاب دلائل القبلة.

ابن مندويه الأصفهاني:

هو أبو علي أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه من الأطباء المذكورين في بلاد العجم وكانت له أعمال مشهورة مشكورة في صناعة الطب، وكان من البيوتات الأجلاء بأصفهان فاضلاً في علم الأدب وافر الدين.

وله أشعار حسنة من ذلك قال:

ويحرز أموالاً رجال اشحة وتشغل عما خلفهن وتذهل

لعمرك ما الدنيا بشيء ولا المنى بشيء ولا الإنسان معلل

وقال أيضاً:

ويمسي المرء ذا أجل قريب وفي الدنيا له أمل طويل

ويعجـل بالرحيـل ولـيس يـدرس　　إلى مــاذا يقــر بــه الرحيــل

ولأبي علي بن مندويه الأصفهاني من الكتب رسائل عدة من ذلـك أربعـون رسالة مشهورة إلي جماعة من أصحابه في الطب وهي:

- رسالة إلى أحمد بن سعد في تدبير الجسد.
- ورسالة في تدبير المسافر. العناية بصحة المسافر وهو سبق كبير.
- رسالة في تركيب طبقات العين. فسبحان الله علىدقة التشريح.
- رسالة في وصف انهضام الطعام.
- رسالة إلى أحمد بن سعد في وصف المعدة والقصد لعلاجها.
- رسالة في القولنج في أيام صحته.
- رسالة في تدبير ضعف الكلى لمن يستبشع الحقنة.
- رسالة إلى أبي الفضل في علاج المثانة.
- رسالة إلى الأستاذ الرئيس في علاج شقاق البواسير.
- رسالة في أسباب الباه عن القوة الجنسية.
- رسالة في علاج وجع الركبة.
- رسالة في الرد علىكتاب نقص الطب المنسوب إلى الجاحظ.
- رسالة إلى حمزة بن الحسن في الرد علىمن أنكر حاجة الطبيـب إلى علـم اللغـة (انظر الوعي يؤلف كتابًا في حاجة الطبيب إلى اللغة).
- كتاب «المدخل إلى الطب».
- كتاب «نهاية الاختصار في الطب».
- كتاب «الكافي في الطب» ويعرف أيضاً بكتاب «القانون »الصغير.

ابن أبي صادق:

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن علي بـن أحمـد بـن أبـي صـادق النيسـابوري، طبيب بارع كثير الدراية كان فصيحاً بليغ الكلام، وما فسره مـن كتـب جـالينوس فهو في نهاية الجودة والإتقان، فإنه أجهد نفسه فيه وأجاد في تلخيص معانيـه وهـو أيضاً يقول عـن عملـه في الكتـاب: "وإضـافة إليـه ممـا وجدتـه مـن الزيـادات في

مصنفات جالينوس ومصنفات غيره من المحصلين في هذا الباب، ورتبنا كل مقالة تعليماً تعليماً، وألحقنا بأواخر كل منها ما يتبين به من تشريح عضو عضو يتضمن منافعه تلك المقالة ليسهل على من أراد تشريح أي عضو كان أو منافع أي جزء من أجزائه وجدانه"، وكان فراغه من هذا الكتاب في سنة تسع وخمسين وأربعمائة.

"طبقات الأطباء" الذين ظهروا في بلاد المغرب وأقاموا بها

إسحاق بن عمران:

طبيب مشهور وعالم مذكور، كان طبيبًا حاذقاً متميزاً وصيدلانيًا عبقريًا بتأليف الأدوية المركبة بصيراً بتفرقة العلل Differential diagnosis.

أشبه الأوائل في علمه وجودة قريحته، استوطن القيروان حيناً.

وألف كتباً منها:

- كتابه المعروف «بنزهة النفس».
- وكتابه في« داء الماليخوليا» لم يسبق مثله.
- وكتابه في« الفصد».
- وكتاب في «النبض».
- وكتاب «الأدوية المفردة».
- كتاب «العنصر والتمام في الطب ».
- مقالة في« الاستسقاء».

ابن الجزار:

هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد ويعرف بابن الجزار من أهل القيروان، أسرته كلها أطباء فهو طبيب ابن طبيب وعمه أبو بكر طبيب.

كان حسن الفهم، وقال سليمان بن حسان: إن أحمد بن أبي خالد كان قد أخذ لنفسه مأخذاً عجيباً في سمته وهديه ولم يحفظ عنه بالقيروان زلة قط ولا أخلد إلى لذة فسبحان الله لم يؤثر أنه ارتكب خطأ فقط.

وكان ينهض في كل عام للجهاد إلى رابطة على البحر المستنير، وهو موضع مرابطة مشهور البركة مذكور في الأخبار على ساحل البحر الرومي فيكون هنالك

طول أيام القيظ ثم ينصرف إلى إفريقية، وله قصة في العفة.

قام له ابن أخي القاضي علي وأراه قارورة بول كانت معه لابن عمه، واستوفى جوابه عليها وركب بعد أن وصف له العلاج وجعل يتكرر إليه في كل يوم حتى برئ العليل.

ثم أقبل رسول النعمان القاضي بكتاب شكره فيه على ما تولى من علاج ابنه ومعه منديل بكسوة وثلثمائة مثقال، فقرأ الكتاب وجاوبه شاكراً ولم يقبض المال ولا الكسوة فقلت له: يا أبا جعفر رزق ساقه الله إليك قال لي: والله لا كان لرجال معد قبلي نعمة.

وعاش أحمد بن الجزار نيفاً وثمانين سنة ومات بالقيروان، ووجد له مكتبة عظيمة عشرون قنطاراً من كتب طبية وغيرها.

وقال كشاجم يمدح أبا جعفر أحمد بن الجزار ويصف كتابه المعروف بزاد المسافر:

أبا جعفر أبقيت حياً وميتاً مفاخر   في طهر الزمان عظاما

رأيت على زاد المسافر عندنا   من الناظرين العارفين زحاما

وهو كتابه في علاج الأمراض ويعرف «بزاد المسافر» وله مجلدان.

كتاب في الأدوية المفردة ويعرف «باعتماد كتاب في الأدوية المركبة».

وله كتاب كبير في الطب اسمه «قوت المقيم» وكان عشرين مجلداً.

كتاب «التعريف بصحيح التاريخ» وهو تاريخ مختصر يشتمل على وفيات علماء زمانه وقطعة جميلة من أخبارهم.

رسالة في النفس وفي ذكر اختلاف الأوائل فيها.

كتاب «في المعدة وأمراضها ومداواتها».

كتاب «طب الفقراء»وهو سبق أيضاً في مجال الطب.

رسالة في الزكام وأسبابه وعلاجه.

كتاب «في الأسباب المولدة للوباء» في مصر وطريق الحيلة في دفع ذلك وعلاج ما يتخوف منه.

رسالة «في المقعدة وأوجاعها» وهو مثل ما يحدث الآن من جراح الحوض.

كتاب «المكلل في الأدب».

وكتاب «الفصول في سائر العلوم والبلاغات».

ابن السمح:

هو أبو القاسم أصبغ بن محمد بن السمح المهندس الغرناطي.

وهو مهندس طبيب، كان محققًا لعلم العدد والهندسة متقدماً في علم هيئة الأفلاك وحركات النجوم، وكانت له مع ذلك عناية بالطب.

وله تآليف حسان منها:

كتاب «المدخل إلى الهندسة» في تفسير كتاب أقليدس.

ومنها كتاب « ثمار العدد المعروف بالمعاملات».

ومنها كتابه «الكبير في الهندسة» يقضي فيه أجزاءها من الخط المستقيم والمقوس والمنحني.

توفي بمدينة غرناطة لاثنتي عشرة ليلة بقيت لرجب سنة ست وعشرين وأربعمائة، وهو ابن ست وخمسين سنة شمسية.

ابن خلدون:

هو أبو مسلم عمر بن أحمد بن خلدون الحضرمي من أشراف أهل إشبيلية.

كان مشهوراً بعلم الهندسة والنجوم والطب حريصا على علم الإصلاح للأخلاق وعلم الاجتماع.

فتذوقوا طعم الحياة وأدركوا ... ما في الجهالة من أذى وتباب

العلم في البأساء مزنة رحمة ... والجهل في النعماء سوط عذاب

ولعل ورد العلم ما لم يرعه ... ساق من الأخلاق ورد سراب

أبو مروان بن أبي العلاء بن زهر:

لحق بأبيه في صناعة الطب وكان جيد الاستقصاء في الأدوية المفردة والمركبة حسن المعالجة قد ذاع ذكره في الأندلس وفي غيرها من البلاد، واشتغل الأطباء بمصنفاته ولم يكن في زمانه من يماثله في مزاولة أعمال صناعة الطب، وله حكايات

كثيرة في تأتيه لمعرفة الأمراض ومداواتها مما لم يسبقه أحد من الأطباء إلى مثل ذلك.

وألف كتاب «الترياق السبعيني لعلاج السموم»، واختصره عشارياً واختصره سباعياً، ويعرف بترياق الأنتلة.

وله قصة لطيفة، أنه كان في وقت مروره إلى دار أمير المؤمنين بإشبيلية يجد في طريقه عند حمام أبي الخير بالقرب من دار ابن مؤمل مريضاً به سوء وقد كبر جوفه واصفر لونه، فكان ابدًا يشكو إليه حاله ويسأله النظر في أمره.

فلما كان بعض الأيام سأله مثل ذلك فوقف أبو مروان بن زهر عنده ونظر إليه، فوجد عند رأسه إبريقاً عتيقاً يشرب منه الماء فقال: اكسر هذا الابريق فإنه سبب مرضك، فقال له: لا باللّه يا سيدي فإني ما لي غيره، فأمر بعض خدمه بكسره فكسره، فظهر منه لما كسر ضفدع وقد كبر مما له فيه من الزمان فقال له ابن زهر: خلصت يا هذا من المرض انظر ما كنت تشرب وبرأ الرجل بعد ذلك، فهنا فطنة في ملاحظته لتلوث الماء.

وتوفي أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر في سنة وخمسمائة ودفن بإشبيلية خارج باب الفتح.

ولأبي مروان بن أبي العلاء بن زهر من الكتب: كتاب «التيسير في المداواة والتدبير» ألفه للقاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد.

كتاب «الأغذية».

كتاب «الزينة» تذكرة إلى ولده أبي بكر في أمر الدواء المسهل وكيفية أخذه، وذلك في صغر سنه وأول سفرة سافرها فناب عن أبيه فيها.

مقالة في «علل الكلى».

رسالة في «الأمراض الجلدية» كتب بها إلى بعض الأطباء بإشبيلية في علتي البرص والبهق.

أما ابنه فهو الحفيد أبو بكر بن زهر:

هو الوزير الحكيم الأديب الحسيب أبو بكر محمد بن أبي مروان بن أبي العلاء بن زهر مولده بمدينة إشبيلية، ونشأ بها وتميز في العلوم وأخذ صناعة الطب

عن أبيه وباشر أعمالها، وكان معتدل القامة صحيح البنية قوي الأعضاء.

كان حافظاً للقرآن وسمع الحديث واشتغل بعلم الأدب والعربية، ولم يكن في زمانه أعلم منه بمعرفة اللغة ويوصف بأنه قد أكمل صناعة الطب والأدب وعانى عمل الشعر وأجاد فيه .

وكان ملازماً للأمور الشرعية متين الدين قوي النفس محباً للخير، وكان مهيباً وله جرأة في الكلام ولم يكن في زمانه أعلم منه بصناعة الطب وذكره قد شاع واشتهر في أقطار الأندلس وغيرها من البلاد.

قرأ كتاب «المدونة» لسحنون في مذهب مالك وقرأ أيضاً عليه مسند ابن أبي شيبة، وحدثنا القاضي أبي مروان الباجي عن أبي بكر بن زهر أنه كان شديد البأس يجذب قوساً مائة وخمسين رطلاً بالإشبيلي والرطل الذي بإشبيلية ستة عشر أوقية وكل أوقية عشرة دراهم.

كان كريمًا، وله موقف لطيف أن رجلاً من بني الينـاقي كان صديقاً للحفيد أبي بكر بن زهر وكان يجالسه كثيراً فرآه الحفيد علىغير ما يعهده به من الانبساط فقال له ما لخاطرك كأنه مشتغل بشيء عرفني ما هو؟ فقال: نعم إن لي بنتاً زوجتها لرجل وهو يطلبها وقد احتجت إلى ثلثمائة دينار فقال له العب وما عليك فإن عندي في وقتنا هذا ثلثمائة دينار إلا خمسة دنانير تأخذها، فلعب معه ساعة واستدعى بالذهب وأعطاه له فلما كان عن قرب أتاه صاحبه وترك بين يديه ثلثمائة دينار إلا خمسة فقال له ابن زهر: ما هذا؟ فقال: إنني بعت زيتوناً لي بسبعمائة دينار وقد أتيت منها بثلثمائة دينار إلا خمسة عوض الذي تفضلت به علي وأقرضتني إياه وقد بقي عندي حاصلاً أربعمائة دينار فقال له ابن زهر ارفع هذا عندك وانتفع به فإني ما دفعت لك الذهب علىأني أعود آخذه ابدًا فأبى الرجل وقال إنني بحمد اللّه بحال سعة ولا لي حاجة آخذ هذا ولا غيره من أحد أصلاً، وتفاوضا في ذلك فقال له ابن زهر: يا هذا أنت صديقي أو عدوي فقال له، بل صديقك وأحب الناس فيك فقال له ابن زهر واللّه لئن لم تأخذه لأعادينك بسببه ولا أعود أكلمك ابدًا فأخذه منه وشكره علىفعله.

ومن عبقريته أنه اختار للخليفة المنصور موضعًا لبناء حصن بحيث يكون طيب الهواء، وتحكي الآثار أن الموقع ظلت فيه حبوب نبات الحنطة ثمانين سنة لم تتغير ولم تتعفن فهو موقع جاف الهواء ونقي من التلوث.فظلت حتى بعد موته فسبحان من علم عباده وكان اسمه حصن الفرة قريبًا من إشبيلية على ميلين منها ويوصف بأنه صحيح الهواء.

وكان يكره نشر كتب الفلسفة وتخريفاتها، وكان قد أتى إليه من الطلبة اثنان ليشتغلا عليه بصناعة الطب فترددا إليه ولازماه مدة وقرأ عليه شيئًا من كتب الطب، ثم إنهما أتياه يومًا وبيد أحدهما كتاب صغير في المنطق وكان يحضر معهما أبو الحسين المعروف بالمصدوم، وكان غرضه أن يشتغلوا فيه فلما نظر ابن زهر إلى ذلك الكتاب قال: ما هذا؟ ثم أخذه ينظر فيه فلما وجده في علم المنطق رمى به ناحية ثم نهض إليهم حافياً ليضربهم وانهزموا قدامه وتبعهم يعدو على حالته تلك وهو يبالغ في نهرهم وهم يتعادون قدامه إلى أن رجع عنهم عن مسافة بعيدة فبقوا منقطعين عنه أياماً لا يجسرون أن يأتوا إليه، ثم أنهم توسلوا إلى أن حضروا عنده واعتذروا بأن ذلك الكتاب لم يكن لهم ولا لهم فيه غرض أصلاً، وأنهم إنما رأوه مع حدث في الطريق وهم قاصدون إليه فهزأوا بصاحبه وعبثوا به وأخذوا من الكتاب قهراً وبقي معه ودخلوا إليه وهم ساهمون عنه فتخادع لهم وقبل معذرتهم واستمروا في قراءتهم عليه صناعة الطب ولما كان بعد مديدة أمرهم أن يجيدوا حفظ القرآن وأن يشتغلوا بقراءة التفسير والحديث والفقه، وأن يواظبوا على مراعاة الأمور الشرعية والاقتداء بها ولا يخلوا بشيء من ذلك، فلما امتثلوا أمره وأتقنوا معرفة ما أشار به عليهم وصارت لهم مراعاة الأمور الشرعية سجية وعادة قد ألفوها كانوا يومًا عنده إذا به قد أخرج لهم الكتاب الذي كان رآه معهم في المنطق وقال لهم: الآن صلحتم لأن تقرأوا هذا الكتاب وأمثاله علي وأشغلهم فيه فتعجبوا من فعله رحمه الله وهذا يدل منه على كمال عقله وتوفر مروءته.

ومن شعره:

وذاك الوجيه تشوقني وتشوقته   فيبكي علي وأبكي عليه

وقــد تعــب الشــوق مــا بيننــا فمنـــه إلـــي ومـــني إليـــه

إنــي نظــرت إلى المــرآة إذ جليــت فــأنكرت مقلتــاي كلمــا رأتــا

رأيــت فيهــا شــيخاً لســت أعرفــه وكنت أعـرف فيهـا قبـل ذاك

فقلت أين الـذي مثـواه كـان هنـا متى ترحّـل عـن هـذا المكـان

فاستجهلتني وقالت لي وما نطقت قـد كـان ذاك وهـذا بعـد ذاك

هــون عليــك فهــذا لا بقــاء لــه أما ترى العشب يفنى بعـدما

كــان الغــواني يَقُلْــنَ يــا أخَــيّ فقد صار الغواني يقلن اليـوم

أعــدِ الحــديث علــيّ مــن جنباتــه إن الحديث عن الحبيب حبيب

❊ ❊ ❊

أيهـــا البـــاكي علـــى الطلـــل ومـــدير الـــراح بالأمـــل

أنا من عينيك في شغل

ومن أعجب ما حدثني القاضي أبو مروان الباجي عنه قال: كنت يومًا عنده وإذا به قد قال لي إنني رأيت البارحة في النوم أختي، وكانت أخته قد ماتت قبله، قال وكأني قلت لها يا أختي بالله عرفيني كم يكون عمري فقالت لي طابيتين ونصفاً، والطابية هي خشبة للبناء معروفة في المغرب بهذا الاسم طولها عشرة أشبار، فقلت لها أنا أقول لك جد وأنت تجيبين بالهزء فقالت لا والله ما قلت لك إلا جدًا وإنما أنت ما فهمت، أليس الطابية عشرة أشبار والطابيتين ونصفاً خمسة وعشرون يكون عمرك خمساً وعشرين سنة قال القاضي أبو مروان: فلما قص علي هذه الرؤيا قلت له لا تتوهم من هذا فلعله من أضغاث الأحلام، قال ولم تكمل تلك السنة إلا وقد مات فكان عمره كما قيل له خمساً وعشرين سنة لا أزيد ولا أنقص وخلف ولدين كل منهما فاضل في نفسه كريم في جنسه أحدهما يسمى أبا مروان عبد الملك، والآخر أبا العلاء محمد والأصغر منهما وهو أبو العلاء معتن بصناعة الطب وله نظر جيد في كتب جالينوس وكان مقامهما في إشبيلية.

عمر بن حفص بن برتق:

كان طبيًا فاضلاً قارئاً للقرآن مطرب الصوت، كان متقدماً في صناعة الطب، وكان شيخًا وسيماً بهياً سريًا معظماً عند الرؤساء .

عبد الرحمن بن إسحاق بن الهيثم:

من أعيان أطباء الأندلس وفضلائها وكان من أهل قرطبة وله من الكتب كتاب الكمال والتمام، في الأدوية المسهلة والمقيئة، «كتاب الاقتصار والإيجاد» في خطأ ابن الجزار في الاعتماد، «كتاب الاكتفاء بالدواء من خواص الأشياء» صنفه للحاجب القائد أبي عامر محمد بن أبي عامر، كتاب السمائم .

أبو العرب يوسف بن محمد:

أحد المتحققين بصناعة الطب والراسخين في علمه.

كان من أهل طليطلة ثم رحل إلى قرطبة لطلب العلم بها فأخذ عن مسلمة بن أحمد علم العدد والهندسة ثم علم الطب ثم انصرف إلى طليطلة.

وحين كبر سنه ترك قراءة العلوم وأقبل علىقراءة القرآن ولزم داره والانقباض عن الناس فلقيت منه رجلاً عاقلاً جميل الذكر والمذهب حسن السيرة نظيف الثياب ذا كتب جليلة في أنواع ضروب الحكمة، وتبينت منه أنه قرأ الهندسة وفهمها وتشاغل بكتب جالينوس وجمعها وتناولها بتصحيحه ومعاناته فحصل بتلك العناية علىفهم كثير منها، توفي ابن خمس وسبعين سنة.

أبو الصلت:

أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت.

له التصانيف المشهورة والمآثر المذكورة، حصل من معرفة الأدب ما لم يدركه كثير من سائر الأدباء. وكان أوحد في العلم الرياضي كان لطيف النادرة فصيح اللسان.

قال عند موته أبياتًا وفاء لهم نقولها:

سكنتك يا دار الفناء مصدقا ... بأني إلى دار البقاء أصير

وأعظم ما في الأمر أني صائر إلى عادل في الحكم ليس يجور

فإن أك مجزياً بذنبي فإنني بشر عقاب المذنبين جدير

وإن يك عفو ثم عني ورحمة فثم نعيم دائم وسرور

وقال أيضاً:

تفكر في نقصان مالك دائماً وتغفل عن نقصان جسمك والعمر

ويثنيك خوف الفقر عن كل بغية وخوفك حال الفقر من أعظم الفقر

ألم تر أن الدهر جم صروفه وأن ليس من شيء يدوم على الدهر

فكم فرحة فيه أزيلت بترحة وكم حال عسر فيه آلت إلى اليسر

ومن خفة دمه ولطفه قال قصيدة في البراغيث:

أحب خلق لأذى مخلوق يرى دمي أشهى من الرحيق

يغب فيه غير مستفيق لا يترك الصبوح للغبوق

لو بت فوق قمة العيوق ما عاقه ذلك عن طروقي

كعاشق أسرى إلى معشوق أعلم من بقراط بالعروق

من أكحل منها وباسليق يفصدها بمبضع دقيق

من خطمة المذرب الذليق فصد الطبيب الحاذق الرقيق

ولأبي الصلت أمية بن عبد العزيز من الكتب:

الرسالة المصرية ذكر فيها ما رآه في ديار مصر من هيئتها وآثارها ومن اجتمع بهم فيها من الأطباء والشعراء وغيره من أهل الأدب.

وكتاب «الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء».

و«الآلية» وهو مختصر قد رتبه أحسن ترتيب.

كتاب «الإنتصار» تتبع فيه مسائل الطب الخلافية لابن إسحاق.

كتاب تقويم منطق الذهن.

داود الأنطاكي:

كان صيدلانيًا علمًا مبدعًا، عاش في القرن العاشر الهجري عندما كانت سلطة الدولة العثمانية في أوج قوتها وامتدادها في عهد السلطان سليمان القانوني أكبر سلاطين هذه الدولة.

ولد في منطقة أنطاكية (وتشير بعض الروايات إلى قرية قرب أنطاكية)، ودرس علىأحد الأساتذة في بلده، و تعلم الرياضيات والطبيعيات واللغة اليونانية ثم رحل إلى جبل عامل ودمشق.

سافر تجد عوضاً عمن تفارقه وانصب فإن لذيذ العيش في النصب

إني رأيت وقوف الماء يفسده إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطب

من عاش في الدنيا ولم يستفد خبراً بها فعُمرُه عَدَم

واستقر في مصر وصار كبير الأطباء في العاصمة القاهرة، وكان مفكرا شاملا أمينا يحترم من سبقوه ولا يمنعه مدحهم من النقد والتمحيص لكل كلمة. وكان قوي الشخصية واثقا بنفسه وبعلمه.

ولقد كان عند الأنطاكي إضافات جديدة لم ترد في كتب الطب الإسلامية السابقة له. فهو يتحدث في«التذكرة» عن الحب الإفرنجي، وهو الزهري أو السفلس الذي لم يعرفه العالم إلا بعد اكتشاف الأمريكتين. ويصف المرض ومسمياته في عصره ويبين علاجه المعتمد في البيمارستان الذي كان يعمل فيه بالقاهرة. وكتب عن البن لأول مرة في كتب الطب الإسلامية ، واصفًا نباته واستعمالاته الطبية. ويذكر عدة أدوية استنبطها هو ولم ترد عند غيره في الكتب السابقة لكتابه.

ومع اهتمامه بخصائص النباتات الطبية، كان حكيمًا، فلكيًا، أديبًا أتقن العربية مع الثقافة الأجنبية حيث أتقن اللغة اليونانية.

وقد عرف داود الأنطاكي بالرئيس الضرير، ورغم فقدانه البصر فقد انتهت إليه رئاسة الطب.

وله من المصنفات:

كتاب «تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب» أو تذكرة الأنطاكي:

عن الأدوية ومنافعها ومقاديرها وطرق تحضيرها وأبدالها، وبه (١٧٩٢) صنفًا من العلاجات. وذكر فيه أيضاً الأمراض المختلفة وطرق معالجتها خاصة الأمراض العصبية والنفسية.

كان محترفًا في التأليف حيث يذكر منافع كل عقار في عضو من أعضاء الجسم ثم يذكر مضاره (الآثار الجانبية). وينبه إلى الفترة التي يكون فيها الدواء صالحًا أي مدة صلاحية الدواء ، إلى جانب موطن النبات الطبي.

وللتذكرة نسخ كثيرة في بلاد العالم منها:

- نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق.
- دار الكتب المصرية مخطوطات.
- ومكتبات اسطنبول بتركيا.

كتاب آخر للأنطاكي هو «النزهة المبهجة من تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة»، وهو مختصر للتذكرة.

كتاب «مجمع المنافع البدنية».

«غاية المرام في الطب ».

«كفاية المحتاج في علم العلاج».

«الدرة المنتخبة فيما صح من الأدوية المجربة».

يا قومنا ما كان دين	محمد دعوى لسان
بل كان منهاجاً دقيقاً	منقذاً مما نعانى
أحكامه قد فصلت	بيد الحكيم المستعان
رب السموات العلى	رب الأماكن والزمان
من عنده هذى الدهور	بطولها مثل الثوانى
من عنده الأرض	الكبيرة ذرة والنيران

من عنده السبع الطباق أخف من وزن الدخان

سبحانه من خالق بر رؤوف ذى حنان

من مؤلفاته في الفلك: رسالة في الفلك.

وله رسالة في الأدب: كتاب تزيين الأسواق.

فها نحن نرى الحضارة الإسلامية غنية بتراثها الفكري ، ولم تنحدر إلا لعوامل متعددة (سياسية، اقتصادية، اجتماعية وغيرها) أكبرها ضعف في فهم الدين نفسه في عقول بنيه.

علامة الأمة ابن القيم رحمه الله: شمس الدين أبى بكر محمد بن قيم الجوزية.

رغم أنه لم يمارس الطب كمهنة ، لكنه خلف مؤلفات تضعه في مصاف أفضل من البروفيسيرات الأكاديميين اليوم.

وروائعه واضحة تغني عن البيان ، كما في كتابه الطب النبوي وفي تحفة المودود وغيرهما.

فقد كان ينصح نصائحًا تشمل طبًا وتربية نفسية وروحانيات ، وهو عين ما فهمه الطب الحديث أن طبيب الطفل شريك في تربيته مع الأسرة.

ولن نستفيض عنه لأنه أشهر من أن يعرّف، ففي تلك الوقفات نتعرض لمن غمطهم الإعلام حقهم في البيان ، أما هو فقد قيض الله لكتبه من يطبعها وتقبلها الناس بقبول حسن ربما لبركتها وإخلاصه فيها نحسبه كان على خير والله حسيبه.

إذا أعجبتك خصال امرء فكنه يكن منك ما يعجبك

فليس على الجود والمكرمات إذا جئتها حاجب يحجبك

أبو سعيد اليمامي:

قيل عنه أنه كان مشهوراً بالفضل والمعرفة متقناً لصناعة الطب جيداً في أصولها وفروعها حسن التصنيف.

ولأبي سعيد اليمامي من الكتب في امتحان الأطباء وكيفية التمييز بين طبقاتهم، انظر الرقي الفكري، يؤلف عن كيفية تمييز الأطباء علميًا.

أحمد بن أبي الأشعث:

كان وافرَ العقل سديد الرأي محباً للخير كثير السكينة والوقار متفقهًا في الدين، وعمر عمراً طويلاً، له تلاميذ كثيرة. كان عالمًا بكتب جالينوس خبيراً بها متطلعاً على أسرارها وقد شرح كثيراً من كتب جالينوس، وهو الذي فصل كل واحد من الكتب الست عشر التي لجالينوس إلى جمل وأبواب وفصول وقسمها تقسيماً لم يسبقه إلى ذلك أحد غيره وفي ذلك معونة كثيرة لمن يشتغل.

ولأحمد بن أبي الأشعث من الكتب:

- كتاب «الأدوية المفردة ثلاث مقالات».
- كتاب «الحيوان».
- كتاب في «الجدري والحصبة مقالتان».
- كتاب في «البرص والبهق ومداواتهما مقالتان».
- كتاب في «الصرع مقالة في النوم واليقظة».

شرح كتاب «الفرق لجالينوس». مقالتان فرغ منه في رجب سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة شرح كتاب الحميات لجالينوس.

سعيد بن هبة الله:

هو أبو الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين من الأطباء المتميزين في صناعة الطب وكان في أيام المقتدي بأمر الله وخدمه بصناعة الطب .

ولسعيد بن هبة الله من الكتب:

- كتاب «المغني في الطب».
- مقالة في «صفات تراكيب الأدوية المحال عليها في كتاب المغني ».
- كتاب «خلق الإنسان».
- كتاب في «اليرقان »، جوابات عن مسائل طبية سئل عنها.

يحيى بن عيسى بن علي:

وكان في أيام المقتدي بأمر الله وكان من المشهورين في علم الطب وعمله وهو

تلميذ أبي الحسن سعيد بن هبة الله ، وله نظر في علم الأدب وكان يكتب خطاً جيداً - يعني كان فنانًا مبدعًا له حس جمالي -.

وقد رأيت بخطه عدة كتب من تصانيفه وغيرها تدل علىفضله وتعرب عن معرفته، وكان نصرانياً ثم أسلم وألف رسالة في الرد علىالنصارى وكتب بها إلى إليا القس.

وله من الكتب:

- كتاب «تقويم الأبدان وصنفه».
- كتاب «منهاج البيان في ما يستعمله الإنسان».
- كتاب «الإشارة في تلخيص العبارة» وما يستعمل من القوانين الطبية في تدبير الصحة وحفظ البدن .
- رسالة في «مدح الطب وموافقته الشرع» والرد علىمن طعن عليه، يعني لم يكن إسلامه كلمة، بل تفقه وصار مُنظرًا.
- رسالة كتب بها لما أسلم إلى إليا القس وذلك في سنة ست وستين وأربعمائة.

الزَّهْرَاوي:

هو الطبيب النابغة أبو القاسم خلف بن عباس. ولد بالأندلس فهو مسلم من أوروبا ودرس بها الطب والصيدلة، ونبغ في سن مبكرة فكان طبيبًا وصيدلانيًا خبيراً بالأدوية.

وهو أشهر الجراحين العرب قاطبة طوَّر الجراحة وجعلها علىعشرة قواعد، وكتابه (التصريف لمن عجز عن التأليف) هو أفضل وأقيم المؤلفات العربيَّة في مجال الطب الجراحي.

قال الزركلي: أن وفاته كانت عام ٤٢٧ هجريَّة (١٠٣٦ ميلاديَّة).

أهم مؤلفاته: التصريف لمن عجز عن التأليف، مقالة في العمل باليد، مقالة في أعمال العقاقير المفردة والمركبة.

تميز الجراحة عند الزهراوي:

كتاب «التصريف» به حوالي مائتي آلة جراحية موصوفة بدقة ومرسومة،

وبه أول صورة للمقص الحقيقي، وأول محقن حيث كان يسمى زراقة. وقد طور الزهراوي ما نعرفه اليوم بالجراحة العامة ككل، وفروعًا عديدة من الجراحات الخاصة كالمسالك البولية والتجميل والأنف والأذن والحنجرة وجراحة الفم والأسنان. ويعتبر كتابه هذا أول كتاب علمي مصور في تاريخ الطب:

إنَّ الفتى من بماضي الحَزْمِ مُتَّصِفٌ ... وما تعوّدَ نقصَ القولِ والعملِ

ولا يقيمُ بأرضٍ طابَ مسكنُها ... حتى يقدَّ أديمَ السَّهلِ والجَبَلِ

ولا يضيعُ ساعاتِ الزَّمانِ فلنْ ... يعودَ ما فاتَ من أيامهِ الأولِ

ولا يُراقِبُ إلا مَنْ يُراقِبُهُ ... ولا يُصاحبُ إلا كلَّ ذي نُبُلِ

ولا يُؤَمِّلُ آمالاً بصبحِ غدٍ ... إلا على وَجَلٍ من وثبةِ الأجلِ

ولا يَصدُّ عن التقوى بصيرتَهُ ... لأنها للمعالي أوضحُ السُّبُلِ

فمنْ تكنْ حُللُ التقوى ملابسَهُ ... لمْ يخشَ في دهرهِ يومًا من العَطَلِ

مَنْ لم تُفدهُ صُروفُ الدهر تجربةً ... فيما يحاولُ فليرعى مع الهَمَلِ

منْ ضيَّعَ الحَزْمَ لم يظفرْ بحاجتِهِ ... ومنْ رمى بسهامِ العُجْبِ لمْ يَنَلِ

ولقد كانت الجراحة في أوروبا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر فرعًا محتقرًا من فروع الطب يستوي بالحلاقة، وقرر الجراحون الانفصال برابطة لهم عام ١٧٤٥ حيث تطورت الجراحة بعد طبع الترجمة اللاتينية لكتاب الزهراوي.

والجزء الأول: من هذه الموسوعة يتناول العناصر وتركيب العقاقير والتشريح، والجزء الثاني: في تقسيم الأمراض وأعراضها وكيفية علاجها، والأجزاء من الثالث حتى الخامس والعشرين في « أطعمة المرضى وكثير من الأصحاء مرتبة على الأمراض» . أما الجزء التاسع والعشرون «في تسمية العقاقير» باختلاف اللغات، وأعمار العقاقير المركبة وغيرها، وشرح الأسماء المركبة الواقعة في كتب الطب والأوزان فلم تكن عبقرية الزهراوي كما نرى تنحصر في الجراحة فقط.

وقد وصفه مؤلف عيون الأنباء بأنه "كان طبيبًا فاضلاً خبيرًا بالأدوية المفردة

والمركبة جيد العلاج".

وترى في كتابه العجائب والفرائد والعبقرية ، فمن آلة بها مثقب ومكواة للكي والثقب وتفريغ الصديد من خراج الكبد، فلم يكن مجرد حجام، بل كان جراحًا سابقًا لعصره.

ويورد في الفصل السادس والخمسين "كي النزف الحادث عن قطع الشريان". ثم يورد الزهراوي ربط الشريان كسبيل لوقف النزيف لأول مرة في علم الجراحة.

ويتناول الزهراوي في الفصل الأربعين "بط الأورام وشقها" ويعني به الخراريج، ويتحدث عن أمر هام جدًا وهو أهمية الفتح المبكر للخراج قرب المقعدة ، وينوه لاستخدام الفتيلة لامتصاص الرشح وهو ما نفعله الآن.

وأجرى جراحة للغدة الدرقية بيّنها في الفصل الرابع والأربعين وسمى تضخمها بفيلة الحلقوم.

وفي التاسع والأربعين يبين أنه سبق الجراح جون هنتر بقرون بابتكاره لطريقة ربط الأوعية الدموية في حالات التمدد الوعائي.

ويبين في الفصل الثاني والخمسين أنه مبتكر وضعية ترندلنبرج التي يكون فيها المريض على ظهره وقدميه لأعلى وأجرى بها جراحاته، ويبين أنه عالج الأمعاء حين خرجت من جرح وعمل ضمادات بالعسل كما يحدث الآن.

فيقول: «وكان الخرق في وسط البطن فرددته بعد أن أقام أمعاؤه خارجًا من الجرح فالتحم الجرح في نحو خمسة عشر يومًا وعالجته حتى برئ وعاش بعد ذلك سنين كثيرة يتصرف في جميع أحواله وكان الأطباء يحكمون عليه أنه لا يبرأ البتة، ومن العجب أني لم أعالجه بمرهم لأني كنت في موضع لا يوجد فيه شيء من الأدوية فكنت أضع على الجرح القطن البالي مرتين في النهار وأتعهد غسله بماء العسل حتى يبرأ».

ويتحدث بعبقرية عن القسطرة وكيفية إدخالها واستعمال مادة للتزليق، "ثم تدهن القثاطير بزيت وبزبد أو بياض البيض وتجلس العليل على كرسي".

بل ويتحدث عن غسيل المثانة بآلة الزراقة لأول مرة:

إنَّ الفتى من بماضي الحَزْمِ مُتَّصِفٌ وما تعوّدَ نقصَ القولِ والعملِ
ولا يقيمُ بأرضٍ طابَ مسكنُها حتى يقدَّ أديمَ السَّهلِ والجَبَلِ
ولا يضيعُ ساعاتِ الزَّمانِ فلنْ يعودَ ما فاتَ من أيامهِ الأولِ
ولا يُراقِبُ إلا مَنْ يُراقِبُهُ ولا يُصاحبُ إلا كلَّ ذي نُبُلِ
ولا يُؤَمِّلُ آمالاً بصبحِ غدٍ إلا على وَجَلٍ من وثبةِ الأجلِ
ولا يَصدُّ عن التقوى بصيرتَهُ لأنها للمعالي أوضحُ السُّبُلِ
فمنْ تكنْ حُللُ التقوى ملابسَهُ لم يخشَ في دهرهِ يومًا من العَطَلِ
مَنْ لم تُفدهُ صُروفُ الدهر تجربةً فيما يحاولُ فليرعى مع الهَمَلِ
منْ ضيَّعَ الحَزْمَ لم يظفرْ بحاجتِهِ ومنْ رمى بسهامِ العُجْبِ لمْ ينَلِ

ويتحدث عن لفتات تجميلية لم يسبق إليها، عن استعادة شكل الحاجب المشوه والحفاظ عليه في الجراحة، والتعليم بالمداد قبل القطع وتثبيت العلامات، ويوضح أهمية الخياطة المبكرة للجرح ، وأهمية كشط الجرح الملتئم قبل خياطته ثانيًا لإزالة النسيج المتكون.

ويتحدث عن جراحات تجميلية راقية مثل علاج تضخم ثدي الرجل في الفصل السابع والأربعين ، ويصف أنواع الفتح حسب المطلوب.

وينوه المعلم البارع لأهمية السنوات الأولى: في حياة طلب الطب فيقول في مقدمة كتاب " التصريف " : من لا يبرع في التشريح لا بد وأن يقع في خطأ قد يودي بحياة المريض " .

ثم يقول: " ليكن الحرص أقوى عندك من الجشع وحب الكسب " .

ما بالهم ويحهم ضاعت شمائلهم وأفسد الوهن منهم كل مرتقبِ
كأنهم لم يقيموا أمس قرطبة ولا أناروا صروح العلم والأدبِ
كأنهم لم يمدوا للجهاد يداً ولا تخطوا مدى الأيام والحقبِ

غرناطـة الخـير هـل حـي فيخبرنـا ماذا جـرى بعـد عهـد العـز والغلـبِ
كـم مسـجد عـامر بـالحق روعـه جـان وأدرك منـه غايـة الأربِ
كـم حـرة هتـك العـادون حرمتهـا وكـم ضـعيف شـواه المكـر باللـهب
غرناطـة الخـير والحمـراء شـاهدنا قـولي بربـك مـاذا حـل بـالعربِ
مـاذا أصـاب بـني الإسـلام كلـهم كيف اشتروا منتن الأخشاب بالـذهبِ
غرناطـة الخـير هـل حـي فنخـبره أنا على العهـد رغـم البعـد والنصـبِ
مـازال يازينـة الأمصـار في دمنـا نـار تـأجج بالإيمـان والغضـبِ
نحـن الوجـود وإن غابـت كواكبنـا نحن العلا والهـدى في حالـك الكـربِ
نحـن الوفـاء إذا ضـن الزمـان بـه نحـن النقـاء بـدنيا الزيـف والكـذبِ
نحـن الأمـاني للإسـلام مشـرقة نحن المقـام الـذي يعلـو علـى الرتـبِ
لا تحزنـي يـاربيع الأرض إن لنـا فجراً سيشـرق رغـم الليـل والحجـبِ

وفي موسـوعته الرائعـة نلاحـظ دقـة كـبيرة في وصـف العلامـات السـريرية (الإكلينيكية) الهامة التي تقرب كثيراً من المشاهدات الموصوفة في مراجع الطب الحـديث، كما نلاحظ دقة متناهية في الوصـف التشـريحي لـبعض الأمـراض. ففـي الجـزء الأول: يتكلم عن السكتة- أو مـا يسـميها بالفـالج العظـيم- نلاحـظ وصـفًا دقيقًـا لعلامـات (إكلينيكية) هامة في مثل التنفس كعلامة لشدة السكتة، وتعريفـه للغيبوبـة التامـة "وهـي التي تنقطع فيها الأفعال المدبرة الثلاثة وهي، التخيل والفكر والذكر والحس والحركة" :

مـالي وللـنجم يرعـاني وأرعـاه أمسى كلانا يعاف الغمض جفنـاه
لـي فيـك يـا ليـل آهـات أرددهـا أواه لـو أجـدت المحـزون أواه
لا تحسـبني محبـاً أشـتكي وصـباً أهـون بمـا في سـبيل الحـب ألقـاه
إنـي تـذكرت والـذكرى مؤرقـة مجـداً تليـداً بأيـدينا أضـعناه

وأما عن الرازي:

فهو شخصية عالمية وما أكثر حديث المراجع عنه قديمًا وحديثًا، وله كتب كثيرة مثل الحاوي والمنصوري ورسالة في الجدري والحصبة والقولنج والنقرس وغيرها من الكتب التي تعتبر مراجع هامة في الطب العربي الإسلامي القديم، ومعالم أساسية في تاريخ الطب بشكل عام، وقد استمر تدريس الترجمات اللاتينية لهذه الكتب في جامعات الطب في أوروبا حتى بدايات العصر الحديث.

اسمه "أبو بكر محمد بن زكريا الرازي" وورد اسمه وكنيته في كتب أهمها: «عيون الأنباء، ومرآة الجنان، والوافي بالوفيات، ومعجم البلدان».

ولد الرازي في إيران في غرة شعبان من سنة (٢٥١ هـ ٨٦٥ م) يذكر في «طبقات الأطباء» والحكماء أنه كان أديبًا وأنه مارس الكيمياء أولاً وألف فيها.

مع الطب:

تذكر المصادر القديمة أن ممارسة الرازي للطب كانت في سن متقدمة، حتى إن عددًا من هذه الكتب، مثل "وفيات الأعيان وفوات الوفيات" وغيرهما، تذكر أنه مارس الطب بعد سن الأربعين.

ويرى أحد الباحثين - وهو الدكتور ألبير زكي اسكندر- عكس هذا الرأي، حيث يعتقد أن الرازي بدأ اشتغاله بالطب في حداثته، ويستخلص دلائله على ذلك من مخطوطات وكتب الرازي ومن المصادر الأخرى. ولعل كثرة عدد كتب الرازي المؤلفة في هذا المجال وتنوعها يؤيد رأي الدكتور إسكندر المذكور ويتوافق معه.

وقد مارس طبه مدة طويلة في المشافي، واحتل الرازي مناصب هامة في المشافي التي عمل فيها، فتولى إدارة بيمارستان بلدته في إيران. وعندما قصد بغداد وأقام فيها أدار أحد بيمارستاناتها، وهو ما ورد عنه في كتب مثل تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، والكيمياء عند العرب، والطب الإسلامي.

وكان قدوم الرازي إلى بغداد وزيارته لها حوالي سنة ٢٨٥ هـ (٨٩٨ م). وقد زار بغداد أكثر من مرة، فقد كان كثير التنقل بين البلدان، وكان الرازي موجودًا في بغداد في أواخر أيامه، وسافر منها إلى مسقط رأسه حيث توفي بعد حوالي

سنتين حوالي سنة ٣١٣ هـ (٩٢٥ م) في الري.

الصفات الشخصية للرازي:

حصلت لدى الرازي إصابة في عينه في فترة شبابه، إذ يرد في تـأريخ حكمـاء الإسلام أنه أصيب بالرمد لاشتغاله بالمواد الكيماوية.

كانت الحالة الاجتماعية للرازي جيدة، وورد في الفهرست عن كرمه: "حسن الرأفة بالفقراء الأعلاء حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة "كمـا يؤكـده مـا ورد في عيون الأنباء من وجود جوار تطبخ الأطعمة عند الرازي.

من أروع اكتشافاته:

الخياطة الداخلية للأعضاء بخيوط من أمعاء الحيوان وتكمن أهمية الخياطة بخيوط من الأمعاء في كونها تذوب بعد أيام حيث يكـون الجـرح انـدمل فعـلاً ، فـلا توجـد حاجة لفتح البطن لإخراج الخيط ثانيًا أو للكي بالنار لإيقاف النزيف الداخلي.

تميز الرازي بالذكاء والفطنة والتبحر في العلم وسعة الاطـلاع علىمؤلفـات من سبقه من العلماء سواء منهم علماء اليونان أو العـرب وحتـى علمـاء الهنـود. وكان الرازي قارئًا ممحصًا، وذكر صاحب وفيات الأعيـان أنـه قـرأ كتـب الطـب والفلسفة "قراءة رجل متعقب علىمؤلفيها" .

ويحكي عن نفسه في أحد كتبه:

"حتى أني متى اتفق لي كتاب لم أقـرأه أو رجـل لم ألقـه، لم ألتفـت إلى شـغل البتة- ولو كان في ذلك علىعظيم ضرر- دون أن آتي علىالكتـاب، وأعـرف مـا عند الرجل وإنه بلغ من صبري واجتهادي أني كتبت بمثل خـط التعاويـذ في عـام واحد أكثر من عشرين ألف ورقة.

مـالي وللـنجم يرعـاني وأرعـاه   أمسى كلانا يعـاف الغمـض جفنـاه

لـي فيـك يـا ليـل آهـات أرددهـا   أواه لـــو أجـــدت المحـــزون أواه

لا تحســبني محبـاً أشـتكي وصـباً   أهـون بمـا في سـبيل الحـب ألقـاه

إنـي تـذكرت والـذكرى مؤرقـة   مجـــداً تليـــداً بأيـــدينا أضـــعناه

ويقول ابن أبي أصيبعة عن الرازي مبينا قدره، " له المنزلة الجليلة بسائر بلاد الجبل " :

أيـنَ أربـابُ الحِجَـى أهـلُ النُّهـى   أيـنَ أهـلُ العلـمِ والقـومُ الأوَلْ

سيُعيـدُ الله كـلاً منـهمُ   وسيَـجزي فـاعلاً مـا قـد فَعَـلْ

إيْ بُـنيَّ اسمـعْ وصـايا جَمعـتْ   حِكمـاً خُصَّـتْ بهـا خـيرُ المِلَـلْ

اطلـبُ العِلـمَ ولا تكسَـلْ فمـا   أبعـدَ الخـيرَ علـى أهـلِ الكَسَـلْ

أساتذته:

اعتمد في الطب علىمطالعاته ودرس على يد علي بن سهل الطبري.

تلاميذه:

بزغت شهرة الرازي العلمية والتدريسية في مجال الطب، فأصبح طلاب الطب يقصدونه من مختلف الأماكن والأصقاع كما تذكر بعض الكتب مثل، «وفيات الأعيان ومرآة الجنان».

وقد بلغ من شهرته رجلا قصده من الصين ليدرس عليه الطب باللغة العربية، ونقل عنه كتب جالينوس الستة عشرة. (الفهرست)

وأحد تلاميذه ورد ذكره في عيون الأنباء حين روى قصة إهدائه أحد كتبه وهو« يوسف بن يعقوب» وهي لفتة ذوقية من معلم لتكون ذكرى وتحفيزا لطالبه النجيب.

وكتابه سر الأسرار أيضاً أهداه لتلميذه "يونس بن محمد" وكان يشتغل بالرياضيات والعلوم الطبيعية وهي لفتة أخرى رائعة حين يؤلف المعلم كتابًا بناء علىرغبة طالبه النجيب.

الطبيب الخلوق:

يقول: " ولا ظهر مني شره في جمع المال وسرف فيه ولا علىمنازعات الناس ومخاصماتهم وظلمهم، بل المعلوم مني ضد ذلك كله والتجافي عن كثير من

حقوقي. وأما حالتي في مطعمي ومشربي ولهوي فقد يعلم من يكثر مشاهدة ذلك مني أني لم أتعد إلى طرف الإفراط، وكذلك في سائر أحوالي مما يشاهده هذا من ملبس أو مركوب أو خادم أو جارية".

كان الرازي مؤمنا باستمرار التقدم في البحوث الطبية فليس لديه غرور ولا ضيق أفق ولا تعصب، ولا يتم ذلك التقدم، على حد قوله، إلا بدراسة كتب الأوائل. فيذكر في كتابه "المنصوري في الطب":

"هذه صناعة لا تمكن الإنسان الواحد إذا لم يحتذ فيها على مثال من تقدمه أن يلحق فيها كثير شيء ولو أفنى جميع عمره فيها، لأن مقدارها أطول من مقدار عمر الإنسان بكثير. وليست هذه الصناعة فقط، بل جل الصناعات كذلك".

ويقول في كتابه «محنة الطبيب» نقلا عن جالينوس: « وليس يمنع من عني في أي زمان كان أن يصير أفضل من أبقراط».

أينَ أربابُ الحِجَى أهلُ النُّهى   أينَ أهلُ العلمِ والقومُ الأوَلْ
سيُعيدُ الله كلاً منهمُ   وسيَجزي فاعلاً ما قد فَعَلْ
إيْ بُنيَّ اسمعْ وصايا جَمعتْ   حِكماً خُصَّتْ بها خيرُ المِللْ
اطلبُ العِلمَ ولا تكسَلْ فما   أبعدَ الخيرَ على أهلِ الكَسَلْ

كان الرازي يسير على منهج التفكير العلمي الصحيح ، وله قصص شهيرة توضح أنه كان يعمل كما يعمل الباحثون الآن، فمثلاً، قام بتقسيم عدد من المرضى المصابين بمرض السرسام (التهاب سحائي) الى مجموعتين. ثم فصد جميع أفراد المجموعة الأولى: وترك أفراد المجموعة الثانية: بدون فصد، يقول: "وتركت متعمدا جماعة استدني بذلك رأياً"، فهو يبحث عن حقيقة الأثر الناتج من العملية.

ويقول الرازي في كتاب «المرشد أو الفصول» : "ليس يكفي في أحكام صناعة الطب قراءة كتبها، بل يحتاج مع ذلك إلى مزاولة المرضى، إلا أن من قرأ الكتب ثم زاول المرضى يستفيد من قبل التجربة كثيراً، ومن زاول المرضى من غير أن يقرأ الكتب يفوته ويذهب عنه دلائل كثيرة ولا يشعر بها البتة ولا يمكن أن يلحق

بها في مقدار عمره، ولو كان أكثر الناس مزاولة للمرضى ما يلحقه قارىء الكتب مع أدنى مزاولة، فيكون كما قال الله عز وجل: ﴿وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ [سورة يوسف آية ١٠٥] .

كتب الرازي:

رسائل الرازي وكتبه في الطب والكيمياء وفروع المعرفة الأخرى تبلغ المائتين لكن فقد الكثير منها، وأبرزها بالطبع« الحاوي في الطب» و «الجامع الكبير» .

« الحاوي في الطب» :

مدونات سجل الرازي فيها قصص مرضاه وتشخيصه ومقتطفات من كتب الطب التي وعاها، ويناقش فيها نقد الكتب الأخرى ويشير بعد النقل إلى كون النص منه أو من غيره أو معدلاً فيكتب "لي" أو "لي مصلح"، وتلك هي الأمانة العلمية حيث يذكر ماله وما لغيره فلا ينتحل شيئًا.وقد تمت ترجمة الحاوي إلى اللغة اللاتينية سنة ١٢٧٩ م.

أما الموسوعة الطبية "الجامع الكبير" فيقول عنها:

"وأنه بلغ من صبري واجتهادي أني كتبت بمثل خط التعاويذ في عام واحد أكثر من عشرين ألف ورقة، وبقيت في عمل "الجامع الكبير" خمس عشرة سنة أعمله الليل والنهار حتى في ضعف بصري، وحدث علىفسخ في عضل يدي يمنعاني في وقتي هذا عن القراءة والكتابة. وأنا علىحالي لا أدعها بمقدار جهدي واستعين دائمًا بمن يقرأ ويكتب لي" .

وقيل أنه كان يعد لكتابة قسمين من أجزاء "الجامع الكبير" أحدهما "الجامع في العين" والثاني: "الجامع في الحميات" إلا أنه توفي قبل يحقق ذلك الأمل.

ومن كتبه الأخرى:

كتاب "المنصوري في الطب" وكتاب "الجدري والحصبة، "وكتاب "الأدوية المفردة" ويصف مؤلفاته بنفسه قائلاً:

"كتبنا في صناعة الحكمة التي هي عند العامة الكيمياء وبالجملة فقرابة مائتي كتاب ومقالة ورسالة خرجت عني إلى وقت عملي علىهذه المقالة" .

وله كتاب مخطوط مميز هو "الشكوك على جالينوس" فهو ينتقد كتب جالينوس بشكل علمي فيقول: "يستجهلونني في تأليف هذا الكتاب، وكثيراً منهم يلومونني ويعنفونني إلى مناقضة رجل مثل جالينوس في جلالته ومعرفته وتقدمه في جميع أجزاء الفلسفة، ومكانه منها. وأجد أنا لذلك- يعلم الله- مضضًا في نفسي. إذ كنت قد بليت بمقابلة من هو أعظم الخلق علي منه، وأكثرهم لي منفعة وبه اهتديت وأثره اقتفيت ومن بحره استقيت".

فانظر الأدب مع العالم السابق ، والإقناع المتدرج للقارئ ، وقوة اليقين بالمبدأ التي جعلته يقاوم ذم الناس.

وورد له مؤلفات أخرى لم تصل لنا مثل "كتاب في فصل العين على سائر الحواس" "مقالة في المنفعة في أطراف الأجفان دائمًا"، و"مقالة في علاج العين بالحديد".

يا منزل الآيات والقرآن	بيني وبينك حرمة الفرقان
اشرح به صدري لمعرفة الهدى	واعصم به قلبي من الشيطان
يسر به أمري وأقض مآربي	وأجر به جسدي من النيران
واحطط به وزري وأخلص نيتي	واشدد به أزري وأصلح شاني
واقطع به طمعي وشرف همتي	كثر به ورعي واحي جناني
أنت الذي صورتني وخلقتني	وهديتني لشرائع الإيمان
أنت الذي أطعمتني وسقيتني	من غير كسب يد ولا دكان
أنت الذي آويتني وحبوتني	وهديتني من حيرة الخذلان
وزرعت لي بين القلوب مودة	والعطف منك برحمة وحنان
صلى الإله على النبي محمد	ما ناح قمري على الأغصان
وعلى جميع بناته ونسائه	وعلى جميع الصحب والإخوان
ربوا على الإنصاف فتيان الحمى	تجدونهم كهف الحقوق كهولا

فهـو الـذي يـبني الطبـاع قويمـة   وهو الذي يبني النفوس عـدولا

رشيد الدين ابن الصوري:

هو أبو المنصور بن أبي الفضل بن علي الصوري ، قيل فيه:

" قد اشتمل على جمل الصناعة الطبية واطلع على محاسنها الجلية والخفية، وكان أوحداً في معرفة الأدوية المفردة وماهياتها واختلاف أسمائها وصفاتها وتحقيق خواصها وتأثيراتها " .

ولد عام ٥٧٣ هجرية بمدينة صور وتعلم الطب وانتقل للقدس وخدم بصناعة الطب الملك العادل أبا بكر بن أيوب في ٦١٢هجرية ثم مع ابنه ثم حفيده الناصر داود الذي فوض إليه رياسة الطب، وله كتب كثيرة لطلاب الطب.

وأنشد مهذب الدين أبو نصر محمد الحلبي يمدح الطبيب رشيد الدين بن الصوري ويشكره على إحسان أسداه إليه:

وكـل صـباح فيـه للعـين حظـوة   بوجه رشيد الدين وهـو سـعيد

هو العـالم الصـدر الحكيم ومـن لـه   كلام يضاهي الدر وهـو نضـيد

ولـو أن جـالينوس حيـاً بعصـره   لكـان عليـه يبتـدي ويعيـد

فقل لبني الصوري قد سدتم الـورى   ومـا النـاس إلا سـيد ومسـود

ودوح مـن الإحسـان أثمـر بـالمنى   وظل على اللاجي إليـه مديـد

ولرشيد الدين الصوري من الكتب كتاب «الأدوية المفردة» ، استقصى فيه ذكر الأدوية المفردة وذكر أيضاً أدوية اطلع على معرفتها ومنافعها لم يذكرها المتقدمون، وكان يستصحب مصوراً ومعه الأصباغ ويتوجه إلى المواضع التي بها النبات، مثل جبل لبنان وغيره من المواضع التي قد اختص كل منها بشيء من النبات فيشاهد النبات ويحققه ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأغصانه وأصوله ويصور بحسبها ويجتهد في محاكاتها، يعني أنه يصحب من يتقن الرسم إلى الجبال فانظر الروعة والهمة والإتقان.

ثم إنه سلك أيضاً في تصوير النبات مسلكاً مفيداً وذلك أنه كان يري النبات

للمصور في إبان نباته وطراوته فيصوره، ثم يريه إياه أيضاً وقت كماله وظهور بزره فيصوره تلو ذلك، ثم يريه إياه أيضاً في وقت ذواه ويبسه فيصوره فيكون الدواء الواحد يشاهده الناظر إليه في الكتاب وهو على أنحاء ما يمكن أن يراه في الأرض فيكون تحقيقه له أتم ومعرفته له أبين.

سديد الدين بن رقيقة:

هو أبو الثناء محمود بن عمر الشيباني ، ويعرف بابن رقيقة ذو النفس الفاضلة ، قد جمع من صناعة الطب ما تفرق من أقوال المتقدمين وتميز على سائر نظرائه وأضرابه من الحكماء والمتطببين هذا مع ما هو عليه من النظم البليغ والشعر البديع.

سبحان الله طبيب حكيم شاعر وكان يأخذ أي كتاب شاء من الكتب الطبية وينظمه رجزاً في أسرع وقت مع استيفائه للمعاني ومراعاته لحسن اللفظ.

يعني موهبة لغوية في صوغ الطب كنشيد ينشد وكان لسديد الدين بن رقيقة معرفة بصناعة الكحل والجراحة ، وحاول كثيراً من أعمال الحديد في مداواة أمراض العين وقدح أيضاً الماء النازل في العين وأنجب قدحه وأبصروا.

يعني شفاهم الله على يديه بعد عمليات جراحية في العين، وكان فاضلاً في النحو واللغة.

ويكمل المؤلف ابن أصيبعة فيقول: وتصاحبنا مدة فوجدت من كمال مروءته وشرف أرومته وغزارة علمه وحسن تأتيه في معرفة الأمراض ومداواتها ما يفوق الوصف.

ولم يزل بدمشق وهو يشتغل بصناعة الطب إلى أن توفي رحمه اللّه في سنة خمس وثلاثين وستمائة ومن شعر سديد الدين بن رقيقة وهو مما أنشدني لنفسه فمن ذلك قال:

يا ملبسي بالنطق ثوب كرامة ... ومكملي جواد به ومقومي

خذني إذا أجلي تناهى وانقضى ... عمري على خط إليك مقومِ

واكشف بلطفك يا إلهي غمتي واجل الصدا عن نفس عبدك وارحمِ

فعساي من بعد المهانة أكتسي حلل المهابة في المحل الأكرمِ

وأبوء بالفردوس بعد إقامتي في منزل بادي السماجة مظلمِ

وعليك متكلي وعفوك لم يزل قصدي فوا خسراه إن لم ترحمِ

يا نفس جدي وادأبي وتمسكي بعرى الهدى وعرى الموانع فافصمي

لا تهملي يا نفس ذاتك إن في نسيانها نسيان ربك فاعلمي

وعليك بالتفكير في آلائه لتبوّئي جناته وتنعمي

وتيممي نهج الهداية إنه منج وعن لقم الضلالة أحجمي

لا ترتضي الدنيا الدنية موطناً تعلي على رتب السواري الأنجمِ

وتعايني ما لا رأت عين ولا أذن وعت فإليه جدي تغنمي

وتشاهدي ما ليس يدرك كنهه بالفكر أو يتوهم المتوهمِ

وقال حِكمًا تعليمية رائعة اقتداء بقول أمير المؤمنين علىبن أبي طالب عليه السلام:

"انظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال" يعني لا تعتبر القول إلا بدليله.

لا تكن ناظراً إلى قائل القول بل انظر إليه ماذا يقول...

وخذ القول حين تلقيه معقولا ولو قاله غبي جهول

فنباح الكلاب مع خسة فيها على منزل الكريم دليل

وله حكم رائعة أيضا:

إذا كان رزق المرء من قدر أتى فما حرصه يغنيه في طلب الرزق

كذا موته إن كان ضربة لازب فإخلاده نحو الدنا غاية الحمق

ومن نصائحه الطبية الرائعة: "لا تدم السكون فإن منه تولد كل خلط فيك خام".

يعني عليك بالرياضة والحركة لكي لا تزيد الكيماويات في جسمك والدهون وهو ما نقوله اليوم لكل مريض وصحيح فالرياضة تحرق الدهون وتنشط تطهير الجسم من السموم.

وخل السكر واهجره مليًا فإن السكر من فعل الطغامِ

وأحسن صون نفسك عن هواها تفز بالخلد في دار السلامِ

وهنا المزج بين رعاية الجسم وتقوى الله تعالى وهو التكامل الإسلامي الرائع دائمًا.

وقال منبها أيضاً على ترك التعالم والجهل من الأطباء المدعين المزيفين:

أيا فاعلاً خل التطبب واتئد فكم تقتل المرضى المساكين بالجهل

كأنك يا هذا خلقت موكلا على رجع أرواح الأنام إلى الأصل

ولسديد الدين بن رقيقة من الكتب كتاب«لطف السائل وتحف المسائل» وهذا الكتاب قد نظم فيه مسائل كليات القانون لابن سينا رجزاً ومعاني أخر ضرورية يحتاج إليها.

صدقة السامري:

هو صدقة بن منجا بن صدقة السامري من الأكابر في صناعة الطب والمتميزين من أهلها كان وافر العلم جيد الفهم.

ومن كلامه مما نقلته من خطه قال:

" الصوم منع البدن من الغذاء وكف الحواس عن الخطاء والجوارح عن الآثام وهو كف الجميع عما يلهي عن ذكر اللّه " .

وقال " اعلم أن جميع الطاعات ترى إلا الصوم لا يراه إلا اللّه فإنه عمل في الباطن بالصبر المجرد، وللصوم ثلاث درجات: صوم العموم وهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة وصوم الخصوص وهو كف السمع والبصر واللسان وسائر الجوارح عن الآثام وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنياوية وكفه عما سوى اللّه تعالى " . وقال " صبر العفيف ظريف".

وله شرح كتاب الفصول لأبقراط، وله مقالة أجاب فيها عن مسائل طبية سأله عنها الأسعد المحلي اليهودي، ومقالة في التوحيد وسماها كتاب" الكنز في الفوز».

مهذب الدين يوسف بن أبي سعيد:

هو شيخ إمام عالم يوسف بن أبي سعيد السامري أتقن الصناعة الطبية واشتغل بعلم الأدب وكان كثير الإحسان غزير الامتنان فاضل النفس صائب الحس.

تميز في صناعة الطب واشتهر بحسن العلاج والمداواة ومن حسن معالجاته أنه كانت ست الشام أخت الملك العادل أبي بكر بن أيوب قد عرض لها دوسنطاريا كبدية، وترمي كل يوم دماً كثيراً والأطباء يعالجونها بالأدوية المشهورة لهذا المرض من الأشربة وغيرها، فلما حضرها وجس نبضها قال للجماعة: يا قوم ما دامت القوة قوية أعطوها الكافور ليصلح كيفية هذا الخلط الحاد الذي فعل هذا الفعل، وأمر بإحضار كافور قيصوري وسقاها مع حليب بزر بقلة محمصة وشراب رمان وصندل، فتقاصر عنها الدم وحرارة الكبد التي كانت وسقاها أيضاً منه ثاني يوم فقلّ أكثر ولاطفها بعد ذلك إلى أن تكامل برؤها وصلحت.

بدر الدين المظفر ابن القاضي:

وكان علمًا فاضلاً قيل فيه:

أنعم ولذ بأقدار تؤاتيكا	حتى تنال بها أقصى أمانيكا
مهذب الدين يا عبد الرحيم	لقد شأوت يا ابن علي من يباريكا
فازت قداحك في حفظ الدروس	بأيام سلفن وما خابت لياليكا
ما زلت تسعى لكسب الحمد مجتهداً	حتى بلغت الأواني من مساعيكا
أنت امرؤ أودعت ألفاظه حكماً	أملت دقيق المعاني من معانيكا
حتى ربيت بحجر العلم متخذاً	لك التواضع لبساً في تعاليكا
فللمعاني ابتسام في خلائقك	الحسان مثل ابتسام المجد في فيكا

لـــك الثنـــاء جمـــيلاً حيـــث كنـــت ... فما خلق عن المجد والعليـاء يثنيكـا

متـى تمـادى المجيـد المـدح في مـدح ... يبدّ أقصى المدى أدنى الـذي فيكـا

يا جامعـاً حسـباً عـدا إلى أدب جـم ... عـدمت امـرءاً في الجـود يحكيكـا

عنـــدي إليـــك صـــبابات يؤكـــدها ... حســـن الوفـــاء بمعـــروف يوافيكـــا

ولـــي إليـــك اشـــتياق لا يفـــارقني ... يا ليت لي سـبباً للوصـل مسـلوكا

ولـــو تهيـــأ لـــي المســـعى إليـــك لمـــا ... فارقـــت بابـــك بوابـــاً أناجيكـــا

ولمهذب الدين عبد الرحيم بن على من الكتب:

- اختصار كتاب الحاوي في الطب للرازي.
- مقالة في الاستفراغ ألفها بدمشق.
- تعاليق ومسائل في الطب.
- وشكوك طبية ورد أجوبتها.

أبو الحسن علي بن خليفة بن يونس:

هو من الخزرج من نسل سعد بن عبادة رضى الله عنه ، ولد بحلب في سنة تسع وسبعين وخمسمائة، أقام بدمشق وجعل له مجلساً عامًا لتدريس صناعة الطب واشتغل عليه جماعة وكلهم تميزوا في الطب ، وكـان يجتمـع في ذلـك الوقـت مـع علـم الـدين قيصر بن أبي القاسم بن عبد الغني وهو علامة وقته في العلوم الرياضية، فقرأ عليـه في أسرع وقت ولقد كان علم الدين يومًا عنده وهو وقال له وأنا أسمـع واللّـه يـا رشـيد الدين هذا الذي قد علمته في نحو شهر دأب غيرك في خمس سنين حتى يعلمه.

ومن كلامه في الحكمة مما سمعته منه رحمه اللّه فمن ذلك وصية أول النهار قال:

" قد أقبل هذا النهار وأنت فيه مهيأ لكل فعل فاختر لنفسك أفضلها لتوصلك إلى أفضل الرتب، وعليك بالخير فإنه يقربك من اللّـه ويحببـك إلى النـاس، وإيـاك والشر فإنه يبعدك عن اللّه ويبغضك إلى الناس، وافعل ما تحاسب نفسك عليه عند انقضاء هذا النهار والحذر من أن يغلب شرك على خيرك، وليس الفاضل من بقـي على حالة الطبيعية مع عـدم المؤذيـات، بـل الفاضـل مـن بقـي عليهـا مـع وجـود

المؤذيات ــ يعني الخلق الحسن والثبات في الشدائد هو الفرق فكل الناس قد يكون خيرًا وهو ميسور الحال أما حين تبدأ المشاكل تظهر الصفات الحقيقية ـــ واقبل وصايا الأنبياء واقتد بأفعال الحكماء، وعليك بالصدق فإن الكذب يصغر الإنسان عند نفسه فضلاً عن غيره، واحلم تشكر وتفضل فإن الحقد يعجل الهم ويوقع في العداوات والشرور وكذلك الحسد، واعلم أن نهارك هذا قطعة تذهب من حياتك فأنفقها فيما يعود عليك نفعه، وافعل بالناس ما تشتهي أن يفعلوه بك وإياك والغضب والمبادرة إلى الانتقام من المغضب أو الانفصال عنه فإنه ربما أوقع في الندم وعليك بالصبر فإنه رأس كل حكمة" .

وصية أول الليل:

" قد انقضى نهارك بما فيه وأقبل عليك هذا الليل وليس لك فيه فعل بدني ضروري فاعطف علىمصلحة نفسك بالاشتغال في العلم والفكر في الاطلاع علىالحقائق، واحرص أن في غدك أفضل من يومك المنقضي وفكر فيما يعود علىنفسك نفعه وتهيأ للقاء الله.

إذا حصلت الصناعة فاشتغل بالكتب الجزئية من كلام كل قائل عارياً عن محبة أو بغضة ثم زنه بالقياس وامتحنه إن أمكن بالتجربة وحينئذ اقبل الصحيح وإن أشكل فأشرك غيرك فيه فإن لكل ذهن خاصية بمعان دون معان" .

يعني لا تكن عاطفيًا، بل موضوعيًا واستعن بغيرك فالذكاء أنواع..

وقال: " اطلب الحق دائمًا تحظ بالعلم لنفسك وبالمحبة من الناس " .

وقال: " طابق أعمالك الجزئية ما في ذهنك من القانون الكلي يتيقن علمك وتجود تجربتك وتتأكد تقدمة معرفتك وتكثر منافعك من الناس " .

وقال لكل طبيب: " إذا تطببت فاتق الله واجتهد أن تعمل بحسب ما تعلمه علمًا يقيناً فإن لم تجد فاجتهد أن تقرب منه " .

وقال في انتقاء الطالب المستحق لأن تعلمه الطب: " إذا وصلت إلى رتبة المعلمين فلا تمنع مستحقًا وهو العاقل الذكي الخير الحكيم النفس وامنع من سواه" .

وقال: " الأردياء يطلبون مع من يفنون نهارهم في الحديث واللهو والبطالة،

وأنهم متى خلوا بأنفسهم تألموا مما يجدونه في أنفسهم من الرداءة والأخيار على خلاف ذلك لأنهم يأنسون بأنفسهم".

وقال: "عجبي لمن لا يعلم متى يموت كيف يركن إلى الدنيا ويهمل المهم من أمره"، وقال: "ما أكثر الملتذين بالآمال من غير الشروع في بلوغها". وقال: "لكل وقت أشغال كثيرة فليفعل فيه أهمها". وقال: "فقد الخليل مؤذن بالرحيل" يعني حين يموت صاحبك وهو في مثل سنك فاعلم أنها رسالة لك..

وقال موجهًا من شكى إليه حين كتب بعضهم إلى شيخه يشكو تعذر أموره فكتب إليه: "إنك لن تنجو مما تكره حتى تصبر عن كثير مما تحب ولن تنال ما تحب حتى تصبر على كثير مما تكره والسلام"، لا تخل فعلاً من أفعالك من تقوى الله تعالى.

وقال "ما أكثر ما يسمع الناس الوصايا النبوية والحكمية ولا يستعملون منها إلا ما يجتلبون به المال".

وقال" ما أشد ركون الناس إلى اللذات الجسمانية".

وقال "لا تخل وقتك الحاضر من الفكر في الآتي".

وقال: "من لم يفكر في الآتي أتى قبل أن يستعد له وقال: القناعة سبب كل خير وفضيلة".

وقال: "احرص على أن لا تخل بشيء من العبادات البدنية فإنها نعم المعين الموصل إلى العبادات النفسانية".

وقال: "اعتصم بالله تعالى وتوكل عليه وثق به محقًا يحرسك ويكفيك كل مؤونة ولا يخيب لك ظناً ولا تركن إلى الدول فإن الملل هي الباقية".

وقال: "عود نفسك الخير علمًا وعملاً تلق الخير من الله تعالى".

وقال: "ليت شعري بما أعتذر إذا علمت ولم أعمل".

وله من الكتب كتاب الموجز المفيد في علم الحساب.

وكتاب في الطب ألفه لنجم الدين مسعود بن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد استقصى فيه ذكر الأمور الكلية من صناعة الطب ومعرفة الأمراض وأسبابها ومداواتها.

كتاب «طب السوق» ألفه لبعض تلامذته وهو يشتمل على ذكر الأمراض التي تحدث كثيراً ومداواتها بالأشياء السهلة الوجود التي قد اشتهر التداوي بها.

شمس الدين محمد الكلي:

كان والده أندلسياً من أهل المغرب وأتى إلى دمشق وأقام بها إلى أن توفي رحمه اللّه ونشأ الحكيم شمس الدين محمد بدمشق. حفظ الكتاب الأول: من القانون وهو الكليات جميعها حفظاً متقناً لا مزيد عليه واستقصى فهم معانيه ولذلك قيل له الكلي.

وقرأ أيضاً كثيراً من الكتب العلمية وباشر أعمال الصناعة الطبية وهو جيد الفهم غزير العلم لا يخلي وقتًا من الاشتغال ولا يخل بالعلم في حال من الأحوال.

حسن المحاضرة مليح المحاورة، يعني أدب ولطف مع نجابة وعبقرية وقوة حافظة فسبحان الله الوهاب.

خدم في البيمارستان الكبير الذي أنشأه نور الدين بن زنكي رحمه اللّه.

نجم الدين بن المنفاخ:

هو الحكيم الأجل العالم الفاضل أبو العباس أحمد بن أبي الفضل أسعد بن حلوان ويعرف بابن العالمة، لأن أمه كانت عالمة دمشق وتعرف ببنت دهين اللوز.

كان أسمر اللون نحيف البدن حاد الذهن مفرط الذكاء فصيح اللسان كثير البراعة لا يجاريه أحد في البحث ولا يلحقه في الجدل.

أتى إلى دمشق وأقام بها واشتغل عليه جماعة بصناعة الطب وكان متميزاً في الدولة وكتب إليه الصاحب جمال الدين بن مطروح في جواب كتاب منه:

للّه در أنامل شرفت ... وسمت فأهدت أنجماً زهرا

فاعجب لنجم في فضائله ... أنسى الأنام الشمس والبدرا

وتوفي رحمه اللّه في ثالث عشر ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين وستمائة.

ولنجم الدين بن المنفاخ من الكتب كتاب «التدقيق في الجمع والتفريق». ذكر فيه الأمراض وما تتشابه فيه والتفرقة بين كل واحد منها وبين الآخر مما تشابه في أكثر الأمر، وهو علم هام الآن لتثبيت الفهم في المجال الطبي وله مؤلفات كثيرة:

.Differentials diagnosis

وشرح أحاديث نبوية تتعلق بالطب.

- كتاب المدخل إلي الطب.
- كتاب العلل والأعراض.
- كتاب الإشارات المرشدة في الأدوية المفردة.

عز الدين بن السويدي:

هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد من ولد سعد بن معاذ من الأوس مولده في سنة ستمائة بدمشق ونشأ بها وهو علامة أوانه. اشتغل بصناعة الطب حتى أتقنها إتقاناً لا مزيد عليه.

قرأ علم الأدب حتى بلغ فيه أعلىالرتب. وكان أبوه رحمه اللّه تاجراً من السويداء بحوران، حسن الأخلاق طيب الأعراق لطيف المقال جميل الأفعال، عمل في البيمارستان النوري، كتب كتباً كثيرة جدًا في الطب وغيره "أروع من الرياض المونقة وأنور من الشمس المشرقة"، وحكي لي أنه كتب ثلاث نسخ من كتاب "القانون" لابن سينا.

وله قصة جميلة لطيفة في حرصه علىالعلم لما كان في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة.

وصل إلى دمشق تاجر من بلاد العجم ومعه نسخة من شرح ابن أبي صادق لكتاب منافع الأعضاء، وهي صحيحة معقولة من خط المصنف ولم يكن قبل ذلك منها نسخة في الشام، فكتب إليه عز الدين بن السويدي قصيدة مديحاً:

وامنن فأنت أخو المكارم والعلى بكتاب شرح منافع الأعضاء

وإعارة الكتب الغريبة لم تزل من عادة العلماء والفضلاء

فبعث إليه الكتاب وهو في جزأين فنقل منه نسخة في الغاية من حسن الخط وجودة النقط والضبط.

استعار الكتاب لينسخه وكتبه سريعًا بأروع خط وتقسيم للفقرات فسبحان الله علىالحرص.

ولعز الدين بن السويدي من الكتب كتاب الباهر في الجواهر وكتاب التذكرة

الهادية والذخيرة الكافية في الطب.

عماد الدين الدنيسري:

هو حكيم عالم أديب أريب، عماد الدين أبو عبد اللّه محمد بن القاضي الخطيب الربعي ذو النفس الفاضلة والذكاء الوافر كان له خلق ألطف من النسيم ولفظ أحلى من مزاج التسنيم.فسبحان الله طبيب يفرح المريض لقاؤه وبشاشته وحسن منطقه، ومن شعره:

باللّه يا قارئًا شعري وسامعه أسبل عليه رداء الحكم والكرم

واستر بفضلك ما تلقاه من زللي فإن علمي قد أثرى من العدم

ولعماد الدين الدنيسري من الكتب المقالة المرشدة في درج الأدوية المفردة وكتاب «نظم الترياق».

وأود أن نرحل مع ابن سينا قليلاً فلننظر في نبوغ ابن الحضارة الإسلامية الطبيب العلامة الأريب.

ابن سينا :

له في الطب مؤلفات كثيرة، أقيمها كتاب "القانون في الطب" ولا يقل عدد كلمات كتاب "القانون" عن المليون كلمة، وقد فضله أطباء كثر على كتب جالينوس نفسه.

ومع جو التحري والتمحيص الإسلامي ، وعدم تقليد أحد بلا برهان، فلم يصر ابن سينا معصومًا كما صار جالينوس قبله، بل نقده طبيب علامة من قرطبة هو ابن زهر، وألف كتاب "التيسير في المداواة والتدبير"، ومثله ابن رشد (المتوفى ٥٩٥ هـ/ ١١٩٨ م) مؤلف كتاب "الكليات" .

وولد ابن سينا منذ عشرة قرون تقريبًا ، بمكان في تركستان ((تعرف اليوم باسم أوزبكستان))، وكانت مشعلاً إسلاميًا للنهضة في الفترة من القرن السابع: إلى القرن العاشر الميلادي.

تعلم الفارسية والعربية وحفظ القرآن في صباه، واجتهد في طلب العلم، والتقى بعلماء بخارى مثل البيروني وتحاور معهم في الطبيعة والفلك.

اشتهر كطبيب وبلغ في عام ١٠١٧ م منصب طبيب خاص مقرب لحاكم همدان، وبعد موته رحل لأصفهان حيث أمضى حياته طبيبًا لعطاء الدولة.

وقد كتب جرونر، في رسالته عن طب ابن سينا التي نشرت في لندن عام ١٩٣٠ م، أن إنجازات ابن سينا الطبية وأفكاره هي ما يعتبره البعض الآن إنجازات حديثة، ومنها العلاقة القوية بين المشاعر والتغيرات الجسدية ، وفسيولوجية النوم، وأهمية تنقية مياه الشرب، وتأثير المناخ علىالأمراض، وأهمية اتباع نظام صحي في الطعام، وإدخال العقاقير في مجرى البول، واستعمال الحمام المهبلي، واستعمال التخدير بالفم، واختبار مدى قوة العقار بالتجربة من الشرج، وعلاج الأمراض العقلية باستعمال الملاريا المفتعلة.

نجح ابن سينا في وصف عدد من الأمراض بدقة مثل التيتانوس والسل. وكان أول من شخص مرض التهاب العصب الخامس، وفرق بين أنواع شلل الوجه المختلفة، كذلك كتب عن تأثر بؤبؤ العين بالضوء.

ابن سينا والصيدلة :

ان كتاب " القانون " يحتوي علاوة علىالمعلومات الطبية أجزاء خصصت للصيدلة.

وصنف ابن سينا العقاقير تبعا للون والرائحة والتأثير، ففي الطعم فقط جعلها ثماني مجموعات، وبالتأثير صنفها إلى ٤١ مجموعة.

وذكر ابن سينا الأخطاء التي يمكن أن تحدث أثناء تحضير العقاقير، والتغيرات التي تنتج عن طبخها وتسخينها، ثم شرح طرق تحضيرها بمنهاج صحيح مثل الطحن والعجن والتكسير والتسخين. الخ.

ويشرح في تلك الأجزاء كذلك الفرق بين العقاقير المركبة، والعقاقير البسيطة، ويشمل هذا الجزء من كتاب " القانون " اثني عشر مقالا، وتشمل بجانب العقاقير أنواع الترياقات المضادة للسموم وكيفية حفظ الفواكه والمربى والحبوب والزيوت والمراهم وكذلك طرق التخزين السليم.

ثم يتبع هذا بمناقشة مفصلة عن الاستعمال السليم للعقاقير بالكميات

السليمة تبعا لمرحلة المرض، ففي المرحلة الأولى: يصف الدواء الواقي، وفي المراحل المتأخرة الأدوية المعالجة، ورسالته الألواحية توضح ذلك.

وفي حالة عدم القدرة على تشخيص العلاج يصف في بادئ الأمر دواءً مسكناً للأعراض حتى يتم التعرف على التشخيص الصحيح.

محتويات كتابه الضخم "القانون" :

تتكون هذه الموسوعة الطبية من خمسة كتب: الكتاب الأول: ويسمى "الكليات"، والكتاب الثاني" في الأدوية المفردة"، والكتاب الثالث" في الأمراض الجزئية الواقعة بأعضاء الإنسان ظاهرها وباطنها"، والكتاب الرابع: " في الأمراض التي لا تختص بعضو بعينه "، والكتاب الخامس: " في الأدوية المركبة" .

وقد طبع " القانون" مرات باللغة العربية، وترجم للعبرية واللاتينية ، وبقي محورا لمناهج التعليم الطبية في جامعات العالم كله لمئات السنين.

ومن أمثلة نبوغ ابن سينا شرحه المبهر لعملية التنفس ، وكتب فيها الفاضل الدكتور أحمد عروة من الجزائر، موضحًا أنه إذا كانت فسيولوجيا التنفس تظهر لنا اليوم في أتم الوضوح فإنه ليس من السهل أن نتصور تلك المراحل الشاقة التي مر عليها الإنسان في معرفة هذه الظاهرة البيولوجية الأساسية.

وكان شرح ابن سينا مرحلة هامة في فهم التنفس والدورة الدموية ، أتمها وصوبها ابن النفيس على الوجه الصحيح.فمثلاً:

_ الدورة الدموية الكبرى يشير إليها في تشريح العروق الدموية حيث يقول: "الشريانات هي أجسام ثابتة من القلب ممتدة مجوفة طولا وماطية الجوهر، لها حركات منبسطة ومنقبضة تنفصل بسكونات " (انظر دقة الوصف).

_ وآلية التنفس ودور العضلات والحجاب الحاجز وصفها بعناية فقال: "وحركة التنفس المعتدل الطبيعي الخالي من الآفة ((انظر الوعي: هنا يراعي الحالات المرضية التي تتغير فيها الآلية)) يتم بحركة الحجاب فإن احتيج إلى زيادة قوة شارك الحجاب في هذا لمعونة عضل الصدر كلها حتى أعاليها" .

ووصف بدقة الأعصاب التي تأتي لتتحكم في عضلات التنفس، وهو ما نعني

به الآن من دراسة الإمداد العصبي بعد تشريح العضلات والعظام.

ولابن سينا سبق وتميز في استعمال التخدير للجراحات .

كان ابن سينا أول من فكر واستعمل التخدير عن طريق الفم، وأدرك أن الأفيون أقوى مخدر، وعرف أنواع أخرى أخف مثل اللقاح والشوكران وحبوب الخس والثلج والماء البارد.

اخترع ابن سينا الإسفنجة المنومة أو المخدرة، وهي اسفنجة مبللة بروائح مخدرة وذات رائحة قوية، وتمسك قريبة من أنف المريض.

ونقل الطبيب الفاضل لنا عن ابن سينا شيئًا من لفتاته القيمة من الناحية العلاجية:

أن " علىالطبيب أن يعرف ما يجب أن يخلطه بالدواء لكي يصل إلى العضو بسرعة، كما تخلط بأدوية أعضاء البول المدرات وبأدوية القلب الزعفران.

وأن يعرف جهة اتصال الدواء، فإذا كانت القرحة في الأمعاء العليا أوصل الدواء إليها بالشراب، وإذا كانت في السفلى استعان بالحقنة.

أما الأشياء الملائمة للشفاء فالهواء أولى ما يجب مراعاة أمره، وهل هو معين للدواء أو للمرض؟

وإذا كان المرض خطيراً ويخشى الطبيب هبوط قوة المريض مع تأخير العلاج الواجب فعلىالطبيب أن يبدأ بالعلاج القوي أولاً، وإذا لم يكن هناك خطر فعليه أن يتدرج إلى الأقوى" .

وينصح ابن سينا بما لوحظ حديثًا من تكيف الجسم مع الدواء، فيقول:

" لا يجب أن تقيم علىعلاج واحد بدواء واحد، بل تبدل الأدوية، فإن المألوف لا ينفعل عنه. ولكل بدن، بل لكل عضو، بل للبدن والعضو في وقت دون وقت، خاصية في الانفعال عن دواء دون دواء" .

" وإذا أشكلت العلة فخل بينها وبين الطبيعة ولا تستعجل، فإن الطبيعة إما أن تقهر العلة وإما أن تظهر العلة" . وهو ما نسميه اليوم في الطب "Wait and see" .

" وإذا اجتمع مرض مع وجع أو شبه وجع، أو موجب وجع كالضربة

والسقطة فابدأ بتسكين الوجع ".

وهو ما نفعله لتحاشي الهبوط والصدمة العصبية من شدة الألم ولتحاشي إخفاء الأعراض الحقيقة للمشكلة من شدة الألم وتقلص العضلات وتوتر المريض .To avoid shock and confusion

ولا يفوت طبيبنا أن يذكر وسائل العلاج التي تؤثر في النفس، فيقول للطبيب: " واعلم أن من المعالجات الجيدة الناجعة الاستعانة بما يقوي القوى النفسانية والحيوانية، كالفرح ولقاء ما يستأنس به وملازمة من يسر به، وربما نفعت ملازمة المحتشمين ومن يستحيا منهم، فمنعت المريض عن أشياء تضره.

ومما يقارب هذا الصنف من المعالجات الانتقال من بلد إلى بلد، ومن هواء إلي هواء، والانتقال من هيآت إلى هيآت ".

وبلا شك تلك الأمور الآن صارت بدهية في العلاج الشامل ، الذي يمارس الآن من نظرة للمريض ككيان إنساني يتأثر بما حوله ومن حوله وتتأثر خواص جسمه الفيزيائية والكيمائية وحالة مناعته بحالته النفسية.

الله أحكم خلق ذلك كله	صنعا وأتقن أيما إتقان
قل للطبيب الفيلسوف بزعمه	إن الطبيعة علمها برهان
أين الطبيعة عند كونك نطفة	في البطن إذ مشجت به المآن
أين الطبيعة حين عدت عليقة	في أربعين وأربعين تواني
أين الطبيعة عند كونك مضغة	في أربعين وقد مضى العددان
أترى الطبيعة صورتك مصورا	بمسامع ونواظر وبنان
أترى الطبيعة أخرجتك منكسا	من بطن أمك واهي الأركان
أم فجرت لك باللبان ثديها	فرضعتها حتى مضى الحولان
أم صيرت في والديك محبة	فهما بما يرضيك مغتبطان
يا فيلسوف لقد شغلت عن الهدى	بالمنطق الرومي واليوناني

وشريعة الإسلام أفضل شرعة ... دين النبي الصادق العدنان
هو دين رب العالمين وشرعه ... وهو القديم وسيد الأديان
هو دين آدم والملائك قبله ... هو دين نوح صاحب الطوفان
وله دعا هود النبي وصالح ... وهما لدين الله معتقدان
وبه أتى لوط وصاحب مدين ... فكلاهما في الدين مجتهدان
هو دين إبراهيم وابنيه معا ... وبه نجا من نفحة النيران
وبه حمى الله الذبيح من البلا ... لما فداه بأعظم القربان
هو دين يعقوب النبي ويونس ... وكلاهما في الله مبتليان
هو دين داود الخليفة وابنه ... وبه أذل له ملوك الجان
هو دين يحيى مع أبيه وأمه ... نعم الصبي وحبذا الشيخان
وله دعا عيسى ابن مريم قومه ... لم يدعهم لعبادة الصلبان
والله أنطقه صبيًا بالهدى ... في المهد ثم سما على الصبيان
وكمال دين الله شرع محمد ... صلى عليه منزل القرآن
الطيب الزاكي الذي لم يجتمع ... يومًا على زلل له ابوان
الطاهر النسوان والولد الذي ... من ظهره الزهراء والحسنان
وأولو النبوة والهدى ما منهم ... أحد يهودي ولا نصراني
بل مسلمون ومؤمنون بربهم ... حنفاء في الإسرار والإعلان
وللة الإسلام خمس عقائد ... والله أنطقني بها وهداني
لا تعص ربك قائلاً أو فاعلا ... فكلاهما في الصحف مكتوبان
جمل زمانك بالسكوت فإنه ... زين الحليم وسترة الحيران
كن حلس بيتك إن سمعت بفتنة ... وتوق كل منافق فتان

أد الفـــرائض لا تكـــن متوانيـــا فتكـــون عنـــد الله شـــر مهـــانِ

أدم الســـواك مـــع الوضـــوء فإنـــه مرضـــى الإلـــه مطهـــر الأســـنانِ

ســـم الإلـــه لـــدى الوضـــوء بنيـــة ثـــم اســـتعذ مـــن فتنـــة الولهـــانِ

فأســـاس أعمـــال الـــورى نيـــاتهم وعلى الأساس قواعـــد البنيـــانِ

وقفة ثانية مع التشريح في كتاب "القانون":

لننظر إلى التقسيم Classification سنجده دقيقًا جدًا وراقيًا جدًا ، فلو تبعته بعناية تصير متمكنًا من علم التشريح وفهم تركيب الجسم كجراح بارز ماهر ، فتدرك - ولو كنت مغمض العين - حين تضع يدك على المريض ما تحتها من عصب وعضل وعروق، بل وما دوره للجسم وما الملاحظات التي تهمك فيه.

وهو التشريح التطبيقي العملي Applied anatomy: انظر للتقسيم الذي اتبعه وكيف يسعى لتثبيت المعلومة بشتى الطرق:

- البحث الأول: تقسيم العظام بحسب منفعتها في البدن.
- البحث الثاني: تقسيم العظام بحسب تجاويفها ما تحتوي عليه من التجاويف.
- البحث الثالث: المفاصل وتقسيم العظام بحسبها.

الفصل التاسع تشريح فقار الظهر ومنافعها:

- البحث الأول: منفعة الأضلاع جملة.
- البحث الثاني: هيئة الأضلاع والمنفعة في خلقتها كذلك.

الفصل السابع عشر تشريح الكتف:

- البحث الأول: منفعة عظم الكتف.
- البحث الثاني: صورة هذا العظم.

الفصل الثاني والعشرون تشريح مشط الكف.

الفصل الثالث والعشرون تشريح الأصابع.

الجملة الثانية: العضل.

الفصل الأول: كلام كُلّي في العصب والعضل والوتر والرّباط.

الفصل الثاني: تشريح عضل الجبهة.

الفصل الثالث: تشريح عضل المقلة.

الفصل الرابع: تشريح عضلات الجفن.

الفصل الخامس: تشريح عضل الخد.

الفصل السادس: تشريح عضل الشفة.

الفصل العاشر تشريح عضل الحنجرة:

- البحث الأول: تشريح الحنجرة.
- انظر كيف يتحدث من مئات السنين وبأي دقة.
- البحث الثالث: العضلات التي تبسط الصدر وتقبضه.
- البحث الأول: تعريف هيئة الشريان النازل.
- البحث الثاني: المواضع التي لا تصاحب الشرايين فيها الأوردة.
- البحث الخامس: تشريح الغشاءين المحيطين بالدماغ وهما الأمّان الغليظة والرقيقة فصل تولد الجنين.

ابن النفيس:

فَقَوْمُوا إِلَى سَيْفٍ وعِلْمٍ ومِعْوَلٍ فَلَيْسَتْ تَقِي عِنْدَ الخُطُوبِ الذَّرَائِعُ

وَتُوبُوا إِلَى القُرْآنِ يَا خَيْرَ أُمَّةٍ فَمَا عَزَّ قَوْمٌ لَمْ تَصُنْهُ الشَّرَائِعُ

هو الفقيه اللغوي الطبيب عليُّ بن أبي الحزم القرشيُّ، من أعلام القرن السابع الهجريّ (الثالث عشر الميلاديّ) ، ولد بدمشق سنة ٦٠٧ هجريَّة وهناك درس الطبَّ، ثم ارتحل إلى القاهرة وأقام بها حتى وفاته سنة ٦٨٧ هجريَّة. عاصر عهد سيف الدين الأيوبي أخي الناصر صلاح الدين الأيوبي.

أبدع في الطبِّ والصيدلة. أصبح رئيساً لقسم الكحالة (طب العيون) في البيمارستان الناصري، وتولى في أواخر حياته رئاسة الأطباء في البيمارستان- المنصوري. وكان يدرس اللغة أيضاً في المدرسة المسرورية.

كان شيخًا طويلاً، نحيفاً، وقوراً، ذا هيبة واحترام، دمث الأخلاق، لطيف المعاملة، ذا مروءة وورع، لا يحجب عن الإفادة ليلاً ولا نهاراً. وكان يحضر مجلسه في داره جماعة من الأمراء والمهذب بن أبي حليفة رئيس الأطباء وأكابر الأطباء. وكان قد وقف جميع أملاكه وأمواله وكتبه وداره البيمارستان المنصوري لتصير صدقة جارية لنفع الناس وتعلم الطب.

والمشهور طبعا أنه أوّل من شرح دورةَ الدَّمِ بين القلب والرئتين في شرحه لجزء (التشريح) من كتاب "القانون" لابن سينا، ثم عاد ووصف الدورة الدموية كاملةً في مؤلفاته الأخرى.

وعبقريته كما رأينا متعددة الجوانب، فله إسهامات طيبة جدًا في مجال توضيح منهج البحث العلمي ومجالي البصريات والصيدلة وله اجتهادات في مجال اللغة والنحو.

ولقد كان ذا ذاكرة خارقة، فكان إذا أراد التصنيف توضع له الأقلام مبرية ويدير وجهه إلى الحائط ويأخذ في التصنيف إملاء من خاطره، ويكتب مثل السيل إذا تحدر، فإذا كلّ القلم وحفي رمى به وتناول غيره لئلا يضيع عليه الزمان في بري القلم.

ومن المواقف الشهيرة:

قال أحد تلاميذه "اجتمع ليلة ابن النفيس والقاضي جمال الدين بن واصل وأنا نائم عندهما، فلما فرغا من صلاة العشاء شرعا في البحث وانتقلا من علم إلى علم، والشيخ علاء الدين بن النفيس في كل ذلك يبحث برياضة ولا انزعاج، وأما القاضي جمال الدين فإنه ينزعج ويعلو صوته وتحمر عيناه وتنتفخ عروق رقبته ولم يزالا كذلك إلى أن أسفر الصبح، فلما انفصل الحال قال القاضي جمال الدين: يا شيخ علاء الدين أما نحن فعندنا مسائل ونكت وقواعد، وأما أنت فعندك خزائن علوم.

وصدق ، ويدل عليه ضخامة تراثه وانتشاره وحفاوة الدنيا به، فالموجز في الطب. توجد نسخ منه في برلين ومانشستر وباريس واستنبول والقاهرة ودمشق وحلب وغيرها من المدن والعواصم العربية والأجنبية.

ومن أهم مؤلفاتِهِ:

- الشاملُ في الصناعة الطبيَّة (موسوعة كبرى تقع في ثمانين مجلداً).
- شرح التنبيه للشيرازيِّ في فروع الفقه الشافعيِّ.
- المختصر في علم الحديث النبوي صلى الله علىصاحبه وسلم.
- الموجز في الطبِّ، شرح القانون لابن سينا.
- شرح فصول أبقراط.

ووردت سيرته مفصلة في مراجع منها.

- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٥/ ٤٠١.
- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ٢/ ٤١٩.
- خير الدين الزركلي: الأعلام ٤/ ٣٧٠.

الحـقُّ أصــدقُ والحيــاةُ سِـجالُ   يفنى الغثـاءُ ويخلـدُ الأفعـالُ
والظلمُ يـذهبُ والزمـانُ تَقَلُّـبٌ   ولكـلِّ دهـرٍ دولـةٌ ورجـالُ
ولكـلِّ ليـلٍ ظُلمـةٌ لا تنجلـي   إلاَّ بفجـرٍ جلَّـهُ الإجـلالُ
يا نفس هلْ تبكيَن مَجْدَاً ضـائعاً   أمْ هلْ يشوقك للعلـومِ مقـالُ
أمْ هلْ بكيتِ على المروءةِ والنَدَى   وبنو العروبـةِ فِعلُهُـمْ أقـوالُ
يـا نفـس لا تبكـي فـإن فلاحنـا   بالعلمِ لا بالدمعِ حِيْنَ يُسـالُ

ونقف مع اكتشافه الرائع حين تحدث عن تشريح القلب وصوب كلام السابقين بثقة وعلم حيث قال في تشريح القلب " ولكن ليس بينهما (أي بين بطيني القلب) منفذ فإن جرم القلب هناك سميك ليس فيه منفذ ظاهر، كما ظن جماعة، ولا منفذ غير ظاهر يصلح لنفوذ الدم كما ظن جالينوس " .

وكان وصفه للدورة الدموية الرئوية وصفًا علميًا صحيحاً مبنياً علىالملاحظة الواعية والمشاهدة الدقيقة، لأول مرة في التاريخ، وتصويبه لأقوال جالينوس وابن سينا وغيرهما في هذا الموضوع هو أبرز ما ميزه.

فهو من النقلات الكبرى في عالم الطب، ولم يقر له بالسبق سوى في القرن الماضي فقط. فمن المعروف في كتب تاريخ الطب حتى عام ١٩٢٤ أن المكتشف الأول:

للدوران الدموي هو العالم الإنجليزي ويليام هارفي W. Harvey عام ١٦٢٨ م.

ثم يسر الله للطبيب المصري الدكتور/ محيي الدين التطاوي فقدم رسالة الدراسات العليا إلى جامعة فرايبورغ في ألمانيا عام ١٩٢٤، وأعلن فيها أن ابن النفيس قد وصف الدوران الرئوي وصفًا صحياً في كتابه (شرح تشريح القانون) مستنداً في ذلك إلى مخطوطة موجودة في برلين. وأقر بالأمر الأستاذ (ليون بيني) L. Binet عميد كلية الطب في باريس في كتابه "على هامش المؤتمرات En marge des congres" المنشور عام ١٩٤٧. ثم المؤرخ سارتون Sarton نشر عنها هذا الخبر في آخر جزء من كتابه المشهور (المدخل إلى تاريخ العلوم Introduction of the history of sciences). وبعدها كانت رسالة دكتوراة من باريس للدكتور عبد الكريم شحادة.

وكان الأقدمون يظنون أن الأوردة تحمل الدم في حين تنقل الشرايين الهواء والروح، وأن حركة الدم بين مد وجزر وليس دورانًا وأن الرئة تبرد الدم فقط.

وتوصل ابن النفيس إلى معرفة أن العضلة القلبية تتغذى بأوعيتها الخاصة بها، وهو أول من اكتشف تلك الأوعية ووصفها عالميًا. فيقول ابن النفيس في كتابه شرح تشريح القانون) في معرض كلامه علىتغذية العضلة القلبية:

"وجعله للدم الذي في البطين الأيمن منه يغتذي القلب لا يصح البتة، فإن غذاء القلب إنما هو من الدم المنبث فيه من العروق المثبتة في جرمه".

فقد عارض رأي ابن سينا وكل من سبقه في موضوع تغذية العضلة القلبية، ويكون أول من وصف تغذيتها من الأوعية الخاصة بها.

الحقُّ أصدقُ والحياةُ سِجالُ ... يفنى الغثاءُ ويخلدُ الأفعالُ

والظلمُ يذهبُ والزمانُ تَقَلُّبٌ ... ولكلِّ دهرٍ دولةٌ ورجالُ

ولكلِّ ليلٍ ظُلمةٌ لا تنجلي ... إلاَّ بفجرٍ جلَّهُ الإجلالُ

يا نفس هلْ تبكَين مَجْدًا ضائعاً ... أمْ هلْ يشوقك للعلومِ مقالُ

أمْ هلْ بكيتِ على المروءةِ والنَدَى ... وبنو العروبةِ فِعلُهُمْ أقوالُ

يا نفس لا تبكي فإن فلاحنا ... بالعلمِ لا بالدمعِ حِيْنَ يُسالُ

أبو الوليد بن رشد:

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد مولده ومنشؤه بقرطبة ، تميز في علم الطب وهو جيد التصنيف حسن المعاني، وله في الطب كتاب الكليات وقد أجاد في تأليفه وكان بينه وبين أبي مروان بن زهر مودة، ولما ألف كتابه هذا في الأمور الكلية قصد من ابن زهر أن يؤلف كتابًا في الأمور الجزئية لتكون جملة كتابيهما ككتاب كامل في صناعة الطب، فهي سابقة في التأليف المشترك لمرجع واحد كما نرى الآن....

ومن كلام أبي الوليد بن رشد قال: "من اشتغل بعلم التشريح ازداد إيماناً بالله" .

ولأبي الوليد بن رشد من الكتب:

- كتاب «نهاية المجتهد في الفقه».
- كتاب «الكليات» شرح الأرجوزة المنسوبة إلي ابن سينا في الطب
- كتاب «الحيوان».
- تلخيص كتاب « الحميات لجالينوس ».
- تلخيص أول كتاب «الأدوية المفردة لجالينوس».
- تلخيص النصف الثاني: من كتاب «حيلة البرء لجالينوس».
- مسألة في «نوائب الحمى ».
- مقالة في «حركة الفلك».

فَقَوْمُوا إِلَى سَيْفٍ وعِلْمٍ ومِعْـوَلٍ فَلَيْسَتْ تَقِي عِنْدَ الخُطُـوبِ الذَّرَائِعُ

وَثُوبُـوا إِلَى القُرْآنِ يَـا خَيْـرَ أُمَّـةٍ فَمَـا عَـزَّ قَـوْمٌ لَـمْ تَصُنْـهُ الشَّـرَائِعُ

أبو جعفر بن الغزال:

كان خبيراً بتركيب الأدوية ومعرفة مفرداتها، وكان المنصور يعتمد عليه في الأدوية المركبة والمعاجين ويتناولها منه، وكان المنصور قد أبطل الخمر وشدد بأن لا يأتي بشيء منه إلى الحضرة أو يكون عند أحد. فلما كان بعد ذلك بمدة قال المنصور لأبي جعفر بن الغزال: أريد أن تجمع حوائج الترياق الكبير وتركبه، فامتثل أمره وجمع حوائجه وأعوزه الخمر الذي يعجن به أدوية الترياق وأنهى ذلك

إلى المنصور، فقال له: تطلبه من كل ناحية وانظر لعل يكون عند أحد منه ولو شيء يسير لنكمل الترياق، فتطلبه أبو جعفر من كل أحد ولم يجد شيئًا منه فقال المنصور: واللَّه ما كان قصدي بتركيب الترياق في هذا الوقت إلا لأعتبر هل بقي من الخمر شيء عند أحد أم لا.

أبو العباس بن الرومية:

وهو عبقري في الصيدلة.

أحمد بن محمد بن مفرج النباتي المعروف بابن الرومية من أهل إشبيلية ومن أعيان علمائها وأكابر فضلائها. قد أتقن علم النبات ومعرفة أشخاص الأدوية ومنافعها ومواطنها. وله الذكر الشائع والسمعة الحسنة كثير الخير موصوف بالديانة محقق للأمور الطبية قد شرف نفسه بالفضائل وسمع من علم الحديث شيئًا كثيراً عن ابن حزم وغيره.

وله رحلة عظيمة لم تكن للهو ولا السياحة، بل للحج والعلم. فقد وصل سنة ثلاث عشر وستمائة إلى ديار مصر وأقام بمصر والشام والعراق نحو سنتين، وانتفع الناس به وأسمع الحديث وعاين نباتاً كثيراً في هذه البلاد مما لم ينبت بالمغرب وشاهد أشخاصها في منابتها ونظرها في مواضعها، ولما وصل من المغرب إلى الإسكندرية سمع به السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب رحمه اللَّه وبلغه فضله وجودة معرفته بالنبات، وكان الملك العادل في ذلك الوقت بالقاهرة فاستدعاه من الإسكندرية وتلقاه وأكرمه.

وله من الكتب تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس ومقالة في تركيب الأدوية.

طبقات الأطباء المشهورين من أطباء ديار مصر

خلف الطولوني:

طبيب العيون، له كتاب النهاية والكفاية في تركيب العينين وخلقتهما وعلاجهما وأدويتهما.

وجمع الكتاب في سنين طويلة، يقول فيه: إن معاناته كانت لتأليف هذا الكتاب في سنة أربع وستين ومائتين وفراغه منه في سنة اثنتين وثلثمائة.

التميمي:

صيدلاني عبقري أساسًا .

هو أبو عبد الله محمد بن سعيد التميمي كان مقامه أولاً بالقدس ونواحيها ، وله معرفة جيدة بالنبات وماهياته، وكان متميزاً أيضاً في أعمال الطب والاطلاع على دقائقها.

وصنف كتابًا كبيرًا في عدة مجلدات سماه مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء.

وقد صنف وركب ترياقاً سماه مخلص النفوس وقال فيه هذا ترياق ألفته بالقدس وأحكمت تركيبه لدفع ضرر السمومات القاتلة. ولما كان بمصر صنف مهضما وركبه وسماه مفتاح السرور من كل الهموم ومفرح النفوس ألفه لبعض إخوانه بمصر، وحكي صورة تركيبه وأسماء مفرداته.

وللتميمي من الكتب:

رسالة إلى ابنه علي بن محمد في صنعة الترياق ونعت أشجاره الصحيحة وأوقات جمعها وكيفية عجنه وذكر منافعه وتجربته، ومقالة في ماهية الرمد وأنواعه وأسبابه وعلاجه، وكتاب الفاحص والأخبار.

علي بن سليمان:

كان طبيًا فاضلاً متقناً للعلوم الرياضية. له من الكتب اختصار كتاب الحاوى في الطب، كتاب الأمثلة والتجارب والأخبار والنكت والخواص الطبية المنتزعة من كتب أبقراط وجالينوس وغيرهما.

وهناك الأمير الطبيب المبشر بن فاتك:

هو الأمير محمود الدولة أبو المبشر بن فاتك الآمري من أعيان أمراء مصر وأفاضل علمائها دائم الاشتغال محب للفضائل والاجتماع بأهلها ومباحثهم والانتفاع بما يقتبسه من جهتهم ، وكان ممن اجتمع به منهم العلامة أبو محمد بن

الحسن بن الهيثم وكذلك أيضاً اجتمع بالشيخ أبي الحسين المعروف بابن الآمدي وأخذ عنه كثيراً من العلوم.

وللمبشر بن فاتك تصانيف وكان محبا للقراءة له دأب على المطالعة والكتابة ويرى أن ذلك أهم ما عنده.

له من الكتب كتاب الوصايا والأمثال والموجز من محكم الأقوال وكتاب في الطب.

بلمظفر بن معرف:

هو بلمظفر نصر بن محمود بن المعرف كان ذكياً فطناً كثير الاجتهاد والعناية والحصر في العلوم وصناعة الطب والأدب.

وكان في داره مجلس كبير مشحون بالكتب على رفوف فيه، ولم يزل بلمظفر في معظم أوقاته في ذلك المجلس مشتغلاً في الكتب وفي القراءة والنسخ.

ومن أعجب شيء منه أنه كان قد ملك ألوفاً كثيرة من الكتب في كل فن، وأن جميع كتبه لا يوجد شيء منها إلا وقد كتب على ظهره ملحاً ونوادر مما يتعلق بالعلم الذي قد صنف ذلك الكتاب فيه.

ومن شعر بلمظفر بن معرف:

وقالوا الطبيعة مبدأ الكيان فيا ليت شعري ما هي الطبيعة

أقادرة طبعت نفسها على ذاك أم ليس بالمستطيعة

وقال أيضاً:

وقالوا الطبيعة معلومنا ونحن نبين ما حدها

ولم يعرفوا الآن ما قبلها فكيف يرومون ما بعدها

ابن جميع:

أبو العشائر هبة اللّه بن زين بن حسن بن إفرائيم بن يعقوب بن إسماعيل بن جميع الإسرائيلي من الأطباء المشهورين.

خدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وكان رفيع المنزلة عنده، وكان له نظر في العربية وتحقيق للألفاظ اللغوية، وكان لا يقرأ إلا وكتاب الصحاح

للجوهري حاضر بين يديه ولا تمر كلمة لغة لم يعرفها حق المعرفة إلا ويكشفها منه ويعتمد على ما أورده الجوهري في ذلك.

ويروي صاحب عيون الأنباء عنه:

حدثني بعض المصريين أن ابن جميع كان يومًا جالساً في دكانه عند سوق القناديل بفسطاط مصر وقد مرت عليه جنازة، فلما نظر إليها صاح بأهل الميت وذكر لهم أن صاحبهم لم يمت وأنهم إن دفنوه فإنما يدفنوه حياً، قال فبقوا ناظرين إليه كالمتعجبين من قوله ولم يصدقوه فيما قال ، ثم إن بعضهم قال لبعض هذا الذي يقوله ما يضرنا إننا نمتحنه فإن كان حقًا فهو الذي نريده وإن لم يكن حقًا فما يتغير علينا شيء، فاستدعوه إليهم وقالوا بيّن الذي قد قلت لنا فأمرهم بالمسير إلى البيت وأن ينزعوا عن الميت أكفانه وقال لهم احملوه إلى الحمام، ثم سكب عليه الماء الحار وأحمى بدنه ونطله بنطولات وغطسه فرأوا فيه أدنى حس وتحرك حركة خفيفة، فقال أبشروا بعافيته ثم تمم علاجه إلى أن أفاق وصلح، فكان ذلك مبدأ اشتهاره بجودة الصناعة والعلم وظهرت عنه كالمعجزة، ثم إنه سئل بعد ذلك من أين علمت أن ذلك الميت وهو محمول وعليه الأكفان أن فيه روحاً؟ فقال: إني نظرت إلى قدميه فوجدتهما قائمتين وأقدام الذين قد ماتوا منبسطة فحدست أنه حي وكان حدسي صائبًا.

وفي رثائه قيل:

أعيني بما تحوي من الدمع فاسجعي	وإن نفذت منك الدموع فبالدمِ
فحق بأن تذرفي على فقد سيد	فقدنا به فضل العلا والتكرمِ
وأفضل أهل العصر علمًا وسؤدداً	وأفضلهم في مشكل القول مبهمِ
وأرحبهم صدراً وكفاً ومنزلاً	ووجهاً كمثل الصبح عند التبسمِ
وأنجد من يمتّه لملمة	وأنجد من أملته لتألمِ
ولو كان يفدى من حمام فديته	بنفس متى تقدم على الموت تقرمِ
وما رد بقراطاً عن الموت طبه	وقد كان من أعيانه في التقدمِ

ولا حاد جالينوس عن حتف يومه فسلم ما أعياه للمتسلمِ
لا كسر كسرى ثم تابع تبعاً وعاد بعاد ثم جر بجرهمِ
فلا فرح إلا ويعقبه الأسى ولا غاية البنيان غير التهدمِ
ولا كل من أجرى المدامع ثاكل وأين جميل في الأسى من متممِ
فلا تعذلوني إن بكيت تأسفاً فقدر عظيم الحزن قدر المعظّمِ
ووالله ما وفيت واجب حقه ولو أن جسمي كل عين بمرزمِ
وإني لأفني مدة العمر والهاً تصرم أيامي ولم يتصرمِ

وله رسالة في الطب كتبها لقاض لم يجد طبيًا، وهي سابقة في باب طب نفسك.

وله كتاب اسمه مقالة في الليمون وشرابه ومنافعه.

مقالة في الراوند ومنافعه.

مقالة في علاج القولنج واسمها الرسالة السيفية في الأدوية الملوكية.

القاضي نفيس الدين بن الزبير:

ومن أجدادنا طبيب قاض. هو هبة اللّه الكولمي والكولم من بلاد الهند وهو ينسب من جهة أمه إلى ابن الزبير الشاعر المشهور الذي كان بالديار المصرية.

تميز في صناعة الطب وأتقن أيضاً صناعة الكحل وعلم الجراحة. وولاه الحاكم رياسة الطب بالديار المصرية وطب العيون في البيمارستان الناصري.

توفي القاضي نفيس الدين بن الزبير رحمه اللّه بالقاهرة في سنة ست وثلاثين وستمائة.

رشيد الدين أبو حليقة:

هو العالم رشيد الدين بن الفارس أبي الخير.

قيل فيه: أوحد زمانه في الطب والمعالجة لطيف المداواة. كان رؤوفاً بالمرضى محباً لفعل الخير مواظباً للأمور الشرعية التي هو عليها كثير العبادة.

ويقول ابن أبي أصيبعة عنه: ولقد اجتمعت به مرات ورأيت من حسن معالجته وعشرته وكمال مروءته ما يفوق الوصف، فسبحان الله علم وأدب، حفظ

كتاب الفصول لأبقراط، وكان طبيبًا مقربًا من الظاهر ركن الدين بيبرس الملك الصالح وبقي في خدمته.

ومن جملة نوادره أنه حكم معرفة نبض الملك الكامل حتى أنه في بعض الأيام خرج من خلف الستارة فرأى نبض الجميع ووصف لهم، فلما انتهى إلى نبضه عرفه فقال: هذا نبض مولانا السلطان وهو صحيح بحمد اللّٰه فتعجب منه غاية العجب وزاد تمكنه عنده.

ومن حكاياته أن الملك الكامل كان عنده مؤذن يعرف بأمين الدين جعفر حصل له حصاة سدت مجرى البول وقاسى من ذلك شدة أشرف فيها علىالموت، فكتب إلى الملك الكامل وأعلمه بحاله وطلب منه دستوراً يمشي إلى بيته يتداوى، فلما حضر إلى بيته أحضر أطباء العصر فوصف كل منهم له ما وصف فلم ينجع فاستدعى الحكيم أبا حليقة المذكور فأعطاه شربة من ذلك الترياق فبمقدار ما وصلت إلى معدته نفذت قوتها إلى موضع الحصاة ففتتتها وخرجت من الإراقة وهي مصبوغة بالدواء.

وله من الكتب:

- مقالة في حفظ الصحة.
- وكتاب في الأدوية المفردة سماه المختار في الألف عقار.
- كتاب في الأمراض وأسبابها وعلاماتها ومداواتها بالأدوية المفردة والمركبة التي قد أظهرت التجربة نجحها ولم يداو بها مرضاً يؤدي إلى السلامة إلا ونجحت بفضل الله ، التقطها من الكتب المصنفة في صناعة الطب من آدم عليه الصلاة والسلام وإلى وقتنا هذا ونظم متشتتها ومتفرقها.

وله مقالة في ضرورة الموت .

ابن البيطار:

هو الحكيم العالم أبو محمد عبد اللّٰه بن أحمد المالقي النباتي، علامة وقته في معرفة النبات واختياره ونعت أسمائه علىاختلافها وتنوعها.

سافر إلى اليونان وإيطاليا وعاين كل نبات في مواضعه، واجتمع أيضاً في

المغرب وغيره بكثير من الفضلاء في علم النبات وعاين منابته.

ويقول عنه المؤرخ: رأيت أيضاً من حسن عشرته وكمال مروءته وطيب أعراقه وجودة أخلاقه ودرايته وكرم نفسه ما يفوق الوصف ويتعجب منه.

وقرأت عليه أيضاً تفسيره لأسماء أدوية كتاب «ديسقوريدس» فكنت أجد من غزارة علمه ودرايته وفهمه شيئًا كثيراً جدًا. وكنت أحضر لدينا عدة من الكتب المؤلفة في الأدوية المفردة مثل كتاب «ديسقوريدس وجالينوس والغافقي» وأمثالها من الكتب الجليلة في هذا الفن فكان يذكر أولاً ما قاله ديسقوريدس في كتابه باللفظ اليوناني على ما قد صححه في بلاد الروم، ثم يذكر جمل ما قاله ديسقوريدس من نعته وصفته وأفعاله ويذكر أيضاً ما قاله جالينوس فيه من نعته ومزاجه وأفعاله وما يتعلق بذلك ويذكر أيضاً جملاً من أقوال المتأخرين وما اختلفوا فيه ومواضع الغلط والاشتباه الذي وقع لبعضهم في نعته، فكنت أراجع تلك الكتب معه ولا أجده يغادر شيئًا مما فيها. يعني يحفظ نصوص كل عالم بكل لغة والتعليق على ما قال ونقده علميًا.

وأعجب من ذلك أيضاً أنه كان ما يذكر دواء إلا ويعين في أي مقالة هو من كتاب ديسقوريدس وجالينوس، وفي أي عدد هو من جملة الأدوية المذكورة في تلك المقالة، يعني ذاكرة موسوعية قياسية.

وكان في الديار المصرية رئيساً على سائر العشابين، وخدم الملك الصالح نجم الدين أيوب. وتوفي ضياء الدين العشاب رحمه اللّٰه بدمشق في شهر شعبان سنة ست وأربعين وستمائة فجأة.

ولضياء الدين بن البيطار من الكتب:

- كتاب الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام.
- شرح أدوية كتاب ديسقوريدس.
- كتاب الجامع في الأدوية المفردة وقد استقصى في ذكر الأدوية المفردة وأسمائها وتحريرها وقواها ومنافعها وبين الصحيح منها وما وقع الاشتباه فيه، ولم يوجد في الأدوية المفردة كتاب أجل ولا أجود منه وصنفه للملك

الصالح نجم الدين أيوب.

- كتاب المغني في الأدوية المفردة وهو مرتب بحسب مداواة الأعضاء الآلمة.
- كتاب الأفعال الغريبة والخواص العجيبة.

فَقوْمُوا إِلَى سَيْفٍ وعِلْمٍ ومِعْوَلٍ   فَلَيْسَتْ تَقِي عِنْدَ الخُطُوبِ الذَّرَائِعُ

وَتُوبُوا إِلَى القُرْآنِ يَا خَيْرَ أُمَّةٍ   فَمَا عَزَّ قَوْمٌ لَمْ تَصُنْهُ الشَّرَائِعُ

الشريف الكحال:

هو برهان الدين أبوالفضل سليمان أصليته من مصر وانتقل إلى الشام. شريف الأعراق لطيف الأخلاق حلو الشمائل مجموع الفضائل.

وكان عالمًا بصناعة الكحل وافر المعرفة والفضل، متقناً للعلوم الأدبية، بارعاً في فنون العربية متميزاً في النظم والنثر متقدماً في عمل الشعر، وخدم بصناعة الكحل السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى أن توفي رحمه اللّه.

ومن ملح ما للقاضي الفاضل فيه أنه كان قد أهدى الشريف أبو الفضل الكحال المذكور إلى شرف الدين بن عنين خروفاً وهو يومئذ بالديار المصرية، فلما وصل إليه وجده هزيلاً ضعيفاً فكتب إليه يقول على سبيل المداعبة:

أتتني أياديك التي لا أعدها لكثرتها   لا كفر نعمى ولا جهل

ولكنني أنبيك عنها بطرفة   تروقك ما وافي لها قبلها مثل

أتاني خروف ما شككت بأنه   حليف هوى قد شفه الهجر والعذل

إذا قام في شمس الظهيرة خلته   خيالاً سرى في ظلمة ما له ظل

فناشدته ما تشتهي قال قتة   وقاسمته ما شفه قال لي الأكل

فاحضرتها خضراء مجاجة الثرى   مسلمة ما خص أوراقها الفتل

فضل يراعيها بعين ضعيفة   وينشدها والدمع في العين منهل

أتت وحياض الموت بيني وبينها   وجادت بوصل حين لا ينفع

الصاحب نجم الدين بن اللبودي:

هو أبو زكريا يحيى بن الحكيم الإمام شمس الدين محمد بن عبدان ولد بحلب سنة ٦٠٧.

نادر في العلوم مفرط الذكاء فصيح اللفظ شديد الحرص في العلوم متفنن في الآداب.

وله من الكتب:

- مختصر الكليات من كتاب "القانون" لابن سينا.
- مختصر كتاب الملخص لابن خطيب الري.
- مختصر كتاب المعاملين في الأصولين.
- مختصر كتاب إقليدس.
- غاية الغايات في المحتاج إليه.
- المتوسطات.

تدقيق المباحث الطبية في تحقيق المسائل الخلافية على طريق المسائل خلاف الفقهاء.

أبو الفضل عبد الكريم المهندس:

هو محمد بن عبد الكريم الحارثي مولده ومنشؤه بدمشق، وكان يعرف بالمهندس لجودة معرفته بالهندسة وشهرته بها قبل أن يتحلي بمعرفة صناعة الطب. وكان في أول أمره نجاراً بارعًا شهيرًا، وأكثر أبواب البيمارستان الكبيرة الذي أنشأه الملك العادل نور الدين ابن زنكي رحمه اللّه من نجارته وصنعته.

وأول اشتغاله بالعلم أنه قصد إلى أن يتعلم كتاب إقليدس ليزداد في صناعة النجارة جودة ويطلع على دقائقها وحل كتاب إقليدس بأسره وفهمه فهماً جيداً وقوي فيه، ثم نظر أيضاً في كتاب هندسي شهير هو المجسطي وشرع في قراءته وحله وانصرف بكليته إلى صناعة الهندسة وعرف بها.

ثم ورد دمشق في ذلك الوقت الشريف الطوسي وكان فاضلاً في الهندسة والعلوم الرياضية ليس في زمانه مثله، فاجتمع به وقرأ عليه وأخذ عنه شيئًا كثيراً من معارفه. وقرأ أيضاً صناعة الطب على أبي المجد محمد بن أبي الحكم ولازمه حق

الملازمة، ونسخ بخطه كتباً كثيرة في صناعة الطب، ووجدت بخطه الكتب الستة عشر لجالينوس وقد قرأها على أبي المجد محمد بن أبي الحكم وعليها خط ابن أبي الحكم له بالقراءة يعني شهادة وإجازة أنه شرحها له.

وهو الذي أصلح الساعات التي للجامع بدمشق، وإصلاح الساعات الكبيرة في تلك الأزمان كان مهمة المهندسين ، ومارس الطب في البيمارستان الكبير، وكان فاضلاً في صناعة الطب جيد المباشرة لأعمالها محمود الطريقة. وكان قد سافر إلى مصر وسمع علم الحديث بالإسكندرية من رشيد الدين الحراني وأبي طاهر السلفي الأصفهاني. واشتغل أيضاً بالأدب وعلم النحو وعاش نحو السبعين سنة.

ومن شعره في مقالته في رؤية الهلال ألفها للقاضي محيي الدين بن القاضي زكي الدين ويقول فيها يمدحه:

ضد النعوت تراهم أن بلوتهم ... وقد يسمى بصيراً غير ذي بصرِ

والنعت ما لم تك الأفعال تعضده ... اسم على صورة خطت من الصورِ

وما الحقيق به لفظ يطابقه المعنى ... كنجل القضاة الصيد من مضرِ

فالدين والملك والإسلام قاطبة ... برأيه في أمان من يد الغيرِ

يرجو بذاك نعيماً لا نفاد له ... جوار ملك عزيز جل مقتدرِ

فاللّه يكلؤه من كل حادثة ... ما غردت هاتفات الورق في الشجرِ

وله من الكتب أيضاً:

رسالة في معرفة رمز التقويم، مقالة في رؤية الهلال، كتاب في الأدوية المفردة على ترتيب حروف أبجد.

موفق الدين عبد العزيز :

شيخ إمام عالم، هو عبد العزيز بن عبد الجبار بن أبي محمد السلمي، كان كثير الخير مؤثراً للجميل عزيز المروءة وافر العربية شديد الشفقة على المرضى وخصوصاً لمن كان منهم ضعيف الحال، يفتقدهم ويعالجهم ويوصل إليهم النفقة

وما يحتاجونه من الأدوية والأغذية وكان كثير الدين طلق الوجه يحبه كل أحد.

وكان في أول أمره في المدرسة فقيهاً في المدرسة الأمينية بدمشق عند الجامع واشتغل بعد ذلك على إلياس بن المطران بصناعة الطب وأتقن معرفتها وعملها وصار من المتميزين فيها وكان له مجلس عام للمشتغلين عليه بالطب وخدم بصناعة الطب في البيمارستان الكبير الذي أنشأه نور الدين محمود بن زنكي.

رضي الدين الرحبي:

هو أبو الحجاج يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي من الأكابر في صناعة الطب والمتعينين من أهلها وله القدر ، كان كبير النفس حسن السيرة محباً للخير وأهله، شديد الاجتهاد في مداواة المرض رؤوفاً بالخلق طاهر اللسان ما عرف منه في سائر عمره أنه آذى أحداً ولا تكلم في عرض غيره بسوء، وكان يجاور صلاح الدين الأيوبي في بيمارستانه وقلعته دومًا.

ويقول المؤرخ بلفظه وفاءً لمعروفه وفضله:

كنت قد قرأت عليه كتابًا في الطب ولا سيما فيما يتعلق بالجزء العملي من كلام أبي بكر محمد بن زكريا الرازي وغيره وانتفعت به. وكان الشيخ رضي الدين محباً للتجارة، وكان يراعي مزاجه ويعتني بحفظ صحته، وقال لي: الذي ينبغي أن تعتمد عليه أنك تأكل وقت تكون الشهوة للأكل صادقة في أي وقت كان سواء أكان مرتين في النهار أو مرة أو ليل أو نهار، فالأكل عند الشهوة الصادقة للأكل هو الذي ينفع وإذا لم يكن كذلك فإنه مضرة البدن. وصدق في قوله ، وقد لزم في سائر أيامه أشياء لا يخل بها وذلك أنه كان يجعل يوم السبت أبدًا لخروجه إلى البستان وراحته فيه ويتركه يوم بطالة عن الاشتغال، وكان في يوم الجمعة يقصد من يريد رؤيته وزيارته من الأعيان.

وله من الكتب تهذيب شرح ابن الطيب لكتاب الفصول لأبقراط واختصار كتاب المسائل لابن إسحاق .

موفق الدين عبد اللطيف البغدادي:

هو الشيخ الإمام الفاضل، موصلي الأصل بغدادي المولد، كان مشهوراً

بالعلوم متحلياً بالفضائل مليح العبارة كثير التصنيف وكان متميزاً في النحو واللغة العربية عارفًا بالطب.

وكان بيته بيت علم ووالده يوسف مشتغلاً بعلم الحديث بارعاً في علوم القرآن والقراءات وسليمان عمه فقيها.

يقول عن نفسه: وتربيت في حجر أبي النجيب لا أعرف اللعب واللهو وأكثر زماني مصروف في سماع الحديث، وأخذت لي إجازات من شيوخ بغداد وخراسان والشام ومصر وقال لي والدي يومًا: قد سمعتك جميع عوالي بغداد وألحقتك في الرواية بالشيوخ ، وكنت في أثناء ذلك أتعلم الخط وأتحفظ القرآن والفصيح والمقامات وديوان المتنبي ونحو ذلك ومختصراً في الفقه ومختصراً في النحو، فلما ترعرعت حملني والدي إلى كمال الدين عبد الرحمن الأنباري وكان يومئذ شيخ بغداد وله بوالدي صحبة قديمة أيام التفقه بالنظامية فقرأت عليه خطبة الفصيح.

إلى أن قال: وتخرجت إلى أن صرت أسبقه في الحفظ والفهم وأصرف أكثر الليل في الحفظ والتكرار وأقمنا علىذلك برهة. ثم حفظت أدب الكاتب لابن قتيبة حفظاً متقناً، وفي اثناء ذلك لا أغفل سماع الحديث والتفقه علىشيخنا ابن فضلان بدار الذهب وهي مدرسة معلقة بناها فخر الدولة بن المطلب. وأقبلت علىالاشتغال وشمرت ذيل الجد والاجتهاد وهجرت النوم واللذات.

إنما الأيام والعيش كتاب ... كل يوم فيه للعبرة باب

إن رزقت العلم زنه بالبيان ... ما يفيد العقل إن عى اللسان

قال:« ولما كان في سنة خمس وثمانين وخمسمائة حيث لم يبق ببغداد من يأخذ بقلبي ويملأ عيني ويحل ما يشكل علي ودخلت الموصل فلم أجد فيها بغيتي لكن وجدت الكمال بن يونس جيداً في الرياضيات والفقه قد استغرق عقله ووقته حب الكيمياء وعملها.

وسافرت إلى مصر... إلى أن قال: وشاع أن صلاح الدين عاد إلى القدس فقادتني الضرورة إلى التوجه إليه، فأخذت من كتب القدماء ما أمكنني وتوجهت إلى القدس فرأيته عظيمًا يملأ العين روعة والقلوب محبة قريباً بعيداً سهلاً محبباً

وأصحابه يتشبهون به يتسابقون إلى المعروف كما قال تعالى: ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ وأول ليل حضرته وجدت مجلساً حفلاً بأهل العلم يتذاكرون في أصناف العلوم وهو يحسن الاستماع والمشاركة ويأخذ في كيفية بناء الأسوار وحفر الخنادق ويتفقه في ذلك يحمل الحجارة على عاتقه ويتأسى به جميع الناس الفقراء والأغنياء والأقوياء والضعفاء حتى العماد الكاتب والقاضي الفاضل ويركب لذلك قبل طلوع الشمس إلى وقت الظهر، ويأتي داره ويمد الطعام ثم يستريح ويركب العصر ويرجع في المساء ويصرف أكثر الليل في تدبير ما يعمل نهاراً فكتب لي صلاح الدين بثلاثين دينارًا في كل شهر على ديوان الجامع، وأطلق أولاده رواتب حتى تقرر لي في كل شهر مائة دينار. ورجعت إلى دمشق وأكببت على الاشتغال وإقراء الناس بالجامع وكلما أمعنت في كتب القدماء ازددت فيها رغبة وفي كتب فلسفة ابن سينا زهادة ».

ومن كلامه:

"ينبغي أن تحاسب نفسك كل ليلة إذا آويت إلى منامك وتنظر ما اكتسبت في يومك من حسنة فتشكر الله عليها، وما اكتسبت من سيئة فتستغفر الله منها وتقلع عنها وترتب في نفسك مما تعمله في غدك من الحسنات وتسأل الله الإعانة على ذلك.

وإذا قرأت كتابًا فاحرص كل الحرص على أن تستظهره وتملك معناه وتوهم أن الكتاب قد عدم وأنك مستغن عنه لا تحزن لفقده. وإذا كنت مكباً على دراسة كتاب وتفهمه فإياك أن تشتغل بآخر معه ولصرف الزمان الذي تريد صرفه في غيره إليه. وإياك أن تشتغل بعلمين دفعة واحدة، وواظب على العلم الواحد سنة أو سنتين أو ما شاء الله، فإذا قضيت منه وطرك فانتقل إلى علم آخر ولا تظن أنك إذا حصلت علمًا فقد اكتفيت، بل تحتاج إلى مراعاته لينمو ولا ينقص ومراعاته تكون بالمذاكرة والتفكر واشتغال المبتدئ بالتلفظ والتعلم ومباحثة الأقران واشتغال العالم بالتعليم والتصنيف.

وينبغي للإنسان أن يقرأ التواريخ وأن يطلع على السّير وتجارب الأمم فيصير بذلك كأنه في عمره القصير قد أدرك الأمم الخالية وعاصرهم وعاشرهم وعرف

خيرهم وشرهم".

قال: "وينبغي أن تكون سيرتك سيرة الصدر الأول: فاقرأ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وتتبع أفعاله وأحواله واقتف آثاره وتشبه به ما أمكنك وبقدر طاقتك، وإذا وقفت على سيرته في مطعمه ومشربه وملبسه ومنامه ويقظته وتمرضه وتطببه وتمتعه وتطيبه ومعاملته مع ربه، ومع أزواجه وأصحابه وأعدائه وفعلت اليسير من ذلك فأنت السعيد كل السعيد".

قال: "وينبغي أن تكثر إيهامك لنفسك ولا تحسن الظن بها وتعرض خواطرك على العلماء وعلى تصانيفهم وتتثبت ولا تعجل ولا تعجب فمع العجب العثار ومع الاستبداد الزلل، ومن لم يعرق جبينه إلى أبواب العلماء لم يعرق في الفضيلة، ومن لم يخجلوه لم يبجله الناس، ومن لم يبكتوه لم يسد، ومن لم يحتمل ألم التعلم لم يذق لذة العلم، ومن لم يكدح لم يفلح.

وإذا خلوت من التعلم والتفكر فحرّك لسانك بذكر اللّه وبتسابيحه وخاصة عند النوم فيتشربه لبك ويتعجن في خيالك وتكلم به في منامك، وإذا حدث لك فرح وسرور ببعض أمور الدنيا فاذكر الموت وسرعة الزوال وأصناف المنغصات، وإذا أحزنك أمر فاسترجع، وإذا اعترتك غفلة فاستغفر، واجعل الموت نصب عينك والعلم والتقى زادك إلى الآخرة، وإذا أردت أن تعصي اللّه فاطلب مكاناً لا يراك فيه واعلم أن الناس عيون اللّه على العبد يريهم خيره وإن أخفاه وشره وإن ستره فباطنه مكشوف للّه واللّه يكشفه لعباده، فعليك أن تجعل باطنك خيرًا من ظاهرك وسرك أصبح من علانيتك، ولا تتألم إذا أعرضت عنك الدنيا فلو عرضت لك لشغلتك عن كسب الفضائل وقلما يتعمق في العلم ذو الثروة إلا أن يكون شريف الهمة جدًا أو أن يثري بعد تحصيل العلم وإني لا أقول إن الدنيا تعرض عن طالب العلم، بل هو الذي يعرض عنها، لأن همته مصروفة إلى العلم فلا يبقى له التفات إلى الدنيا، والدنيا إنما تحصل بحرص وفكر في وجوهها فإذا غفل عن أسبابها لم تأته وأيضاً فإن طالب العلم تشرف نفسه عن الصنائع الرذلة والمكاسب الدنية وعن أصناف التجارات وعن التذلل لأرباب الدنيا والوقوف على أبوابهم ، وجميع طرق

مكاسب الدنيا تحتاج إلى فراغ لها وحذق فيها وصرف الزمان إليها والمشتغل بالعلم لا يسعه شيء من ذلك وإنما ينتظر أن تأتيه الدنيا بلا سبب وتطلبه من غير أن يطلبها. وهذا ظلم منه وعدوان ولكن إذا تمكن الرجل في العلم وشهر به خطب من كل جهة وعرضت عليه المناصب، وجاءته الدنيا صاغرة وأخذها وماء وجهه موفور وعرضه ودينه مصون، واعلم أن للعلم عقبة وعرفاً ينادي على صاحبه ونوراً وضياء يشرق عليه ويدل عليه كتاجر المسك لا يخفى مكانه ولا تجهل بضاعته وكمن يمشي بمشعل في ليل مدلهم، والعالم مع هذا محبوب أينما كان وكيفما كان لا يجد إلا من يميل إليه ويؤثر قربه ويأنس به ويرتاح بمداناته، واعلم أن العلوم تغور ثم تفور في زمان بمنزلة النبات أو عيون المياه وتنتقل من قوم إلى قوم ومن صقع إلى صقع".

ومن كلامه أيضاً:

"اجعل كلامك في الغالب بصفات أن يكون وجيزاً فصيحاً في معنى مهم".

وقال: "إياك والهذر والكلام فيما لا يعني وإياك والسكوت في محل الحاجة ورجوع النوبة إليك إما لاستخراج حق أو اجتلاب مودة أو تنبيه على فضيلة، وإياك والضحك مع كلامك وكثرة الكلام وتبتير الكلام، بل اجعل كلامك سرداً بسكون بحيث يستشعر منك أن وراءه أكثر منه وأنه عن خميرة سابقة ونظر متقدم".

وقال: "إياك والغلظة في الخطاب والجفاء في المناظرة فإن ذلك يذهب ببهجة الكلام ويسقط فائدته ويعدم حلاوته ويجلب الضغائن ويمحق المودات".

وقال: "انتزح عن عادات الصبا وتجرد عن مألوفات الطبيعة واجعل كلامك في الغالب لا ينفك من خبر أو قرآن أو قول حكيم أو بيت نادر أو مثل سائر".

وقال: "تجنب الوقيعة في الناس والغلظة على المعاشر وكثرة الغضب وتجاوز الحد فيه".

وقال: "استكثر من حفظ الأشعار الأمثالية والنوادر الحكمية والمعاني المستغربة".

ومن دعائه رحمه الله قال: اللهم أسلس لنا مقاد التوفيق وخذ بنا في سواء الطريق يا هادي العمي، يا مرشد الضلال يا محيي القلوب الميتة بالإيمان، يا منير ظلمة الضلالة بنور الإتقان خذ بأيدينا من مهواة الهلكة طهرنا من درن الدنيا الدنية بالإخلاص لك والتقوى إنك مالك الآخرة والدنيا. سبحان من عم بحكمته

الوجود واستحق بكل وجه أن يكون هو المعبود تلألأت بنور جلالك الآفاق وأشرقت شمس معرفتك على النفوس إشراقاً وأي إشراق.

وله من الكتب:

- كتاب غريب الحديث .
- كتاب الواضحة في إعراب الفاتحة.
- شرح أربعين حديثًا طبية .
- اختصار كتاب " العمدة " لابن رشيق .
- كتاب الجلي في الحساب الهندي .
- اختصار كتاب النبات لأبي حنيفة .
- شرح كتاب الفصول لأبقراط .
- شرح كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط .
- اختصار شرح جالينوس لكتب الأمراض الحادة لأبقراط .
- اختصار كتاب الحيوان لأرسطوطاليس.
- اختصار كتاب الصوت.
- اختصار كتاب آلات التنفس .
- اختصار كتاب العضل.
- اختصار كتاب الحيوان للجاحظ.
- مقالة في إحصاء مقاصد واضعي الكتب في كتبهم وما يتبع ذلك من المنافع والمضار .
- مقالة تشتمل على أحد عشر باباً في حقيقة الدواء والغذاء ومعرفة طبقاتها وكيفية تركيبها.
- مقالة في البادئ بصناعة الطب.
- مقالة في شفاء الضد بالضد.
- مقالة في ديابيطس والأدوية النافعة منه .
- مقالة في الراوند.

- مقالة في الرد على اليهود والنصارى.
- مقالة في تدبير الحرب كتبها لبعض ملوك زمانه في سنة ثلاث وعشرين وستمائة ووجدته أيضاً وقد ترجمها.
- مقالة في السياسة العملية.
- كتاب "العمدة" في أصول السياسة.

فَقومُوا إِلَى سَيْفٍ وعِلْمٍ ومِعْوَلِ فَلَيْسَتْ تَقِي عِنْدَ الخُطُوبِ الذَّرَائِعُ

وَتُوبُوا إِلَى القُرْآنِ يَا خَيْرَ أُمَّةٍ فَمَا عَزَّ قَوْمٌ لَمْ تَصُنْهُ الشَّرَائِعُ

أهم المراجع

مفتاح، رمزي _ إحياء التذكرة في النباتات الطبية والمفردات العطارية.

السويدي _ مختصر التذكرة .

ابن البيطار، ضياء الدين أبي محمد عبد الله _ تحفة ابن البيطار في العلاج بالأعشاب .

ابن كثير ، إسماعيل _ البداية والنهاية.

تركماني، المظفر يوسف _ المعتمد في الأدوية المفردة.

بلخي، أبو زيد _ مصالح الأبدان والأنفس _ معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية (فؤاد سكريه)، جامعة فرانكفورت، ألمانيا.

ابن سينا _ القانون في الطب _ دار الحلبي للنشر.

الرازي _ الحاوي في الطب _ موقع الوراق.

إبن النفيس _ شرح تشريح القانون.

حسين، محمد كامل وعقبي، محمد عبد الحليم _ طب الرازي _ إدراة الثقافة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. دار الشروق القاهرة ١٩٧٧ م.

موسوعة الشعر العربي _ المجمع الثقافي، الإمارات .

إبن أصيبعة _ عيون الأنباء في طبقات الأطباء.

حمادة، حسين _ تاريخ العلوم عند العرب _ الشركة العالمية للكتاب.

كعدان، عبد الناصر_ الجراحة عند الزهراوي _ دار القلم العربي، حلب .

مظهر، جلال _ آثار العرب في الحضارة الأوروبية _ دار الرائد، بيروت.

شاكر، محمود _ الدولة الأموية.

الخضري _ الدولة العباسية .

المسعودي _ مروج الذهب.

ابن خلدون، عبد الرحمن _ مقدمة ابن خلدون.

جبرتي، عبد الرحمن _ عجائب الآثار في التراجم والأخبار.

شلبي، أحمد _ موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية.

الشوقيات.

موقع إسلام أون لاين.

موقع المنظمة الطبية للعلوم الإسلامية.

موقع الوراق.

فهرس المحتويات





Dr. Islām Ṣubḥi al-Māzini

RAWĀʾIʿ TĀRIḤ AL-ṬIBB WAL-ʾAṬIBBĀʾ AL-MUSLIMĪN

(Wonders of Islamic medical treatment and Moslim physicians)

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon